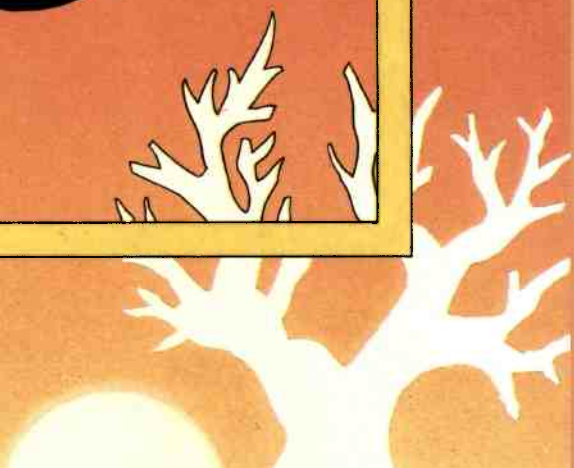
زاهية محمد علي

الرّحيل إلى مرافئ الحلم



خالد علي بورفيع

عيسى يوسف الحريثي

الرّحيل
إلى
مرافئ الحلم

خالد علي بوريسق

زاهية محمد علي

الرّحيل إلى مرافئ الحلم

محمد يوسف الدريشي

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

ص.ب 17459 مبرق (تلكس) 30098 "مطبوعات"

الطبعة الاولى	1398و.ر - 1989م
الكمية المطبوعة	5000 نسخة
رقم الايداع	527 - 1987 م - دار الكتب الوطنية - بنغازي

عيسى يوسف الدرويشي

شعر

مَنْ يُطفِئُ الحُزْنَ ؟

قصة

رَحيلٌ نحوَ الخلاص

مسرح

الدائرة

الأعمال التي باغتها الرحيل المبكر فلم تكتمل

استهلال : ـ

الراحلة والهاجس الدايم بالرحيل

حين انسحبت الكاتبة الشابة زاهية محمد على من حياتنا وهى فى أوج تدفقها وتوهجها وعطائها لم يكن أحد منا ليستوعب هذا الديالكتيك الآلهى !! الموت فى أوج الحياة أو كما عبر عنه الصديق الشاعر/ على الفزانى ،(الموت فى العنفوان) .

فالكاتبة حتى وجسدها يتشظى بفعل فوضانا المرعبة فى قيادة السيارات لم يكن بقربها سوى إحدى مسودات قصصها التى امتزجت بدمائها وبقيت كشاهد ماثل على جرائم فوضانا القاتلة .

لكننا حين نعود لأعمالها الإبداعية يغادرنا الاستغراب ولا نجد أية مفارقة فى ذلك ففى تلك الأعمال نكتشف فى الكاتبة هذا التوق الأبدى للرحيل .

• الذى هو تارة رحيل نحو الحلم العصى على التحقق لعالم مطلق جميل لا مكان فيه للقهر ، للظلم ، للعسف لا مكان فيه . . للعسكر ، للعسس ، للمقاول واختطاف اللقمة ما بين الأنامل والفم : ـ

« يجذبنى الحلم المستحيل
فتعشوشب الذاكرة
وتنهض من القلب غاباته
وتصبو السنابل

للركض بين الحقول . . »[1] .

« أشتهى للأرض
أن ترتدى خضرتها
كما لم ترتديها من قبل
أشتهى بعثاً . .
بذاكرة جديدة . . »[2]

● وهو تارة أخرى رحيل نحو الأبدية : -

« من يغمد سكينة في جراحى
من يمنحنى راحة الموت
فأهوى كبنفسجة دابلة
إن ركاماً من الحزن يغتالنى
فأطوى أمام الرياح شراعى
واحفر من سفر الجنون
موعد بدء الختام . . »[3]

« أجدى به
وقد انكوى بالموت
قبل الموت
وأشتهى ألماً سريعاً
ينقصنى
أن يستكين لغربة
تنفيه فى أرض السبات

---

(1) قصيدة موعد بدء الختام .
(2) قصيدة اشتهاء .
(3) قصيدة موعد بدء الختام .

وسكين يمزق ما تبقى
من فتات . . » [1] .

• ويأخذ الرحيل دلالات أخرى فى أعمال الكاتبة ـ القصصية منها على نحو خاص ـ كالرحيل نحو الجنون/ الهذيان كما فى قصص وحيد ، الجدار الآخر ، الهذيان .

« بين الحلم واليقظة تذكر بشكل مشوش أنه حدّث جمال عن حالة التأرجح القاسية بين السقوط والوقوف أو بين الوعى وفقدانه . آه تلك اللحظة الفاصلة القاسية ، وإن جمال قاطعه ووعده بإحضار الطبيب . . »[2] .

« أدركت أنها بدأت تهذى والهذيان صدق »[3] .

« ابتسم . . غضب . . حزن حتى بكى ، ثم صرخ ، لست مجنوناً أيتها المرآة البليدة كوّر يده اليمنى وضربها بقسوة تساقطت شظايا الزجاج وسال دم قان من يده . . »[4] .

• أو دلالة الرحيل من دنيا الآخرين إلى دنيا الحبيب كما فى قصص اختلاس ، اجتياح ، فراغ كالجحيم .

« الثانية عشرة ظهراً من كل يوم . . منذ اسبوعين مضيا . . أجد نفسى هاربة من القاعة إليه تمتد يدى فى لهفة إلى يده . . يجتاحنى حزن عينيه للمرة المليون ويأكلنى القلق . . أندفع إليه وأتوقف حين تقترب يده من يدى أو أتوقف حيث يتطلع إلىّ فألتفت بشكل عفوى إلى جهة أخرى . . »[5] .

---

(1) قصيدة هذا جحيمى .

(2) قصة وحيد .

(3) قصة الهذيان.

(4) قصة الجدار الآخر.

(5) قصة اجتياح.

ـ « أنت تعرف أن الحب العلنى مقضى عليه مسبقاً !
ـ رغم الثورة .
ـ أوف أنت تجادل جدلاً بيزنطياً . . الثورة لا دخل لها . . أمر موروث .
ـ لكننا نعطى أغلب وقتنا للآخرين نحن نعمل من أجلهم طوال الوقت. نتعب أكثر من غيرنا . . فلِمَ لا يكون لنا أن نتنزه معاً تحت الشمس أو نجلس معاً على الشاطىء فى وضح النهار دون خوف ؟ . . »[1] .

« وإذاً . . همستُ لها فهزت كتفيها بلا مبالاة ثم قالت : كلانا بلا وطن أتقبل صداقتى وحبى ؟ ! إننى أكثر احتياجاً الآن للذف من أى وقت مضى . . هل نمضى إلى البيت . . »[2] .

• أو الـرحيل إلى الـوطن كما فى قصص عـودة ، من هنـا تبـدأ الخارطة ، خط مستقيم والذى تتداخل دلالاته مع الحلم/ الحبيب « فتحت الرسالة التهمت الحروف بعينيها (لتذهب الـدراسة إلى الجحيم سـأعود قريباً . . لا قدرة لى على البقاء فى عالم تأكله القذارة) كل الأشياء تعود إلى المنبع . . »[3] .

« بل تقول اللحظة أن الفعل بداية الانتماء. . أحلام الفقراء صعبة لكنها ليست مستحيلة . . ضغط بقوة على يدها بينما رسمت خطواتهما على الطريق خطاً مستقيماً لا ينحنى . . »[4] .

• أو الرحيل نحو الذات كما فى قصص تفتت ، امرأة الرمل .

« اغتراب ذاتى يمزقنى ، فى كل مرة أعود فيها إلى غـرفتى متعبة منهكة فى المساءات الشتائية الباردة وأغلق دونى الباب أشعر باغتراب حاد

---

(1) قصة اختلاس.
(2) قصة فراغ كالجحيم.
(3) قصة من هنا تبدأ الخارطة.
(4) قصة خط مستقيم.

حتى حريتى لا تشفع لى ولا تخلصنى من ألمى هل تعرف ؟ حاولت الارتباط بأكثر من رجل متمنية أن يزيل وهج الحب اللطخ السوداء العالقة بنفسى فأفشل وفى كل مرة أعود وحيدة . . »[1] .

• وتتمحور الدلالتان الرئيستان للرحيل . الرحيل نحو الحلم أو نحو الموت فى القصص رحيل نحو الخلاص ، شرخ فى الذاكرة تجسدات الحلم ، لحظة ما ، المدينة اللزجة ، اغتصاب .

• وفى العمل المسرحى الوحيد الذى تركته الكاتبة « الدائرة » تغتال الدائرة أو تكاد حلم الكاتبة المستحيل بعالم عصى على التحقق بفعل الثورة .

« قلت لكم : إن الدائرة تدور من نقطة الصفر إلى نقطة الصفر وما كنتم لتصدقونى فتسحقنا فى دورانها فرداً فرداً كالفئران الصغيرة وستتلذذ بالتهامنا ونحن نتقاذف بالسباب كأطفال الشارع. . »[2] .

وفى المقالة الصحفية تنسحب دلالات الرحيل إلى الموت أمام دلالات الرحيل إلى الحلم المستحيل والعصى على التحقق لتفسح المجال أمام وهج الثورة والتجاوز واستشراف المستقبل ونقد وتعرية الواقع السياسى والاجتماعى القائم فتعرى الذهنية النفطية الاتكالية واللامبالية والتى غادرها الغضب أو حتى مجرد التأثر لمشاهد القتل الجماعى والتشريد للعرب الفلسطينيين واللبنانيين . .

• وتعرى على المستوى المحلى الكثير من الممارسات الخاطئة والانحراف المسلكى والعقائدى لعدد من العناصر الثورية أو المحسوبة . . على الثورة .

---

(1) قصة تفتت.

(2) الدائرة .

• وتقوم أيضاً بتعرية الذهنية الرجالية المتعالية على المرأة والمعطلة لانطلاقتها والذهنية النسائية الإذعانية المستسلمة للوضع القائم .. فى جرأة منقطعة النظير . . .

• وترسم آفاق عالم الحلم الجميل فى لغة راقية ترتقى بلغة المقالة لتلامس لغة الشعر .

موسى الأشخم

أولاً: الشعر

اشتهاء

يومان :
لم يفارقنى الحنين
ما رأيتك
لكنى
تشهيتك
قلت
سأراك غداً
ثم
اجتاحنى
وجهك فى الحلم
كما يجتاحنى
حزن الشتاء
وميعاد المطر

* * *

أدن منى
لا تفارق
فأنا
أحتاجك

كى تبعثرنى
وتنشرنى
مع الريح
المسافرة
شمالاً
ها هى حريتى
تحاصرنى
وتصبح أطواق حديد ونصالا
كم اشتهيت
إننى ما كنت
ولكن
ها أنا
أمارس التحديق
والدهشة
ويذبلني
ذهولى

* * *

أشتهى سليمانىّ
بعثاً جديداً
أن ترتدى الأرض خضرتها
كما لم ترتدها من قبل
أشتهى
بعثاً
بذاكرة جديدة
وأن أنساها
لوحة الحزن

حرقة
الغربة
وليالى
الجراحات
القديمة

المرج فبراير 86

حزن المسافات البعيدة

ينتابنى قلق
إذاً
مر المساء
ولم
تحاصرنى بصوتك
حاملاً
حزن
المسافات البعيدة
وكل أوجاع
البشر

* * *

لا تبتعد عنى
فقلبى مُشرع ـ عسفا ـ
لكل هذى الريح العاصفة
وزنبقتى
استعدت
للبكاء

* * *

مرحى لهذا الذى يسكننى الآن
وعلى امتداد الجرح
والدم المهدور ـ عبثا ـ
ينتشر

المرج فبراير 86

ما همنى موتى غداً

أرتشف الآن اسمك
أرتل الحرف تلو الحرف
وأصلى
هل ستأتى الشمس فى ميعادها
أو يأتى القمر
ما همنى موتى غداً
يكفى أنك فاجأت قلبى ليلة
واغتلت الحياد

* * *

إننى أختارك
وأختار رصاصى

* * *

سوف نمضى
لم يعد فى الوقت
من متسع
للصمت
أو للانتظار

فبراير 86

ضد الريح نمضى

رسم على الهواء
لون بدون لون
محض تحديق
وكل ما قلناه
ينصهر بالريح
يمضى عبثاً
إن لم نلتزم بالآخرين

* * *

لا تتخذ شكلاً
لمشروع هزيمة
ولا يغتالك
الوهم
فتسقط
قبل أن تبدأ
وقبل أن
تصل الوطن

* * *

أردت أن تلغى الحياة
وأردت أن أحبيك
توجت هجرتك الطويلة
بالكآبة

* * *

فأشتهى الآن
انفجارك
كى أعيدك
فتخضر على أرضك
سنبلتى
اليتيمة

* * *

توجت طيفك بالأخضر
قلت الآن
تمضى
مسرعاً
وتخترق الحصار

* * *

ضد الريح نمضى
ما هم إن تقـاذفنا التشرد فترة
الآن ينتبه الجميع لقاربى
ويرسم وجهك القمرى
خارطة الخلاص

المرج فبراير 86

ما عادت الأشياء تحمل طعمها

تشابهت كل الفصول
تكررت كل المواويل الحزينة
ما عادت الأشياء
تحمل طعمها العـادى
ولا العصافير تغنى
مثلما كانت تغنى
إننا
ـ ولا أستثنى أحد ـ
نحفر
قبراً
للوطن
ونعرى
صدره
لنهر من دماء
ثم نستعذب
ـ ونحن القتلة ـ
دون أن نخجل ـ
أن نبكى للوطن

المرج فبراير 86

بعض من جنون وحنين

لماذا توقفت
عن الترتيل ؟
إن صوتك
لا تشبهه الأصوات
ولعينيك
لون
هو الأزرق
متحداً
يالدهشة
وبعض
من جنون
وحنين

* * *

لماذا توقفت ؟
أعطى للزنبقة الرائحة العذبة
وللبحر سكونه
وللشعر الذى يأتيك إلهاماً
نزق
الطفولة

فبراير 86

داوها يا سيد الحزن الكبير

سليمان
الذى يأتينى
كل ثانية
يختزل فى وجهه
قمر الطفولة
يرتفع فى الريح
متوحداً بكل شىء
ويقترب من السماء

* * *

داوها
يا سيد الحزن الكبير
داوها
بلقيس
من وجـدهـا
واجلب لها
نرجسة
الشوق
ولا تمضِ بعيداً ؟

مقاطع قصيرة للوطن

(1)

قوى . . قوى
صوت دقاتك فوق دارى . . يا هذا المطر
فلتمت كل جراحاتى القديمة
ولتمت كل هزيمة
هذا زمان الوعد
هذا زمانك يا مطر
هذا زمانك يا مطر

(2)

هبينى يا جذور الأرض
الامتداد
وأنـا أعطيك من دم القلب . . يـا قلمى . .
المداد
ولنخط مقاطع العشق الملون بالعذاب
آه يا أرض هبينى الامتداد
لأكون الجسر بين نور الشمس . .
بينك . . والمداد

آه يا أرض هبينى منطق القوة . .
وإصرار الشبـاب
لأكون الفصل بين هذا الشوق فى أعماقنا
وبين ذاك الاغتراب
ولنحـطم كل باب . .
يمنع الشوق المسافر . . نحو أرض الاتحاد

(3)

يا رفاق . .
فى تاريخنا الحاضر . .
سفر من جنون
وأنا يغرقنى الموت فى ظل الهزيمة . .
واحتمائى كالذليلة بالشجون . .
وأنا يسحقنى وقع الهزيمة . .
والجريمة . . ومراثينا السقيمة . .
وحكايانا القديمة . .
والتكايا والبخور . .

* * *

ألف آه يا رفاق
أن نكون فى العالم . . كالإسلفت
ذل وانسحاق . .
أن نكون للغباء . . الراسمين
للطريق وللزقاق . .
ألف آه يا رفاق . .
أن يكون الشعر مدحاً . . للسلاطين الغبية
أن يكون الشاعر دوماً سبية

أن يزيد الشعر بعداً
عن قضية . . عربية
أن يزيد الشعر قرباً
من جوار للخليفة
وقصور. . وبخور
وتكية . .
أى مأساة غبية !

(4)

أنا فتاة عربية يا رفاقى عربية
قسماتى عربية . . وجذورى عربية
وأنا أحمل بين كفى قضية . .
وأنا أحلم بالثورة . . زخماً أبدياً
من هنا يبدأ زحف هادر . .
يلتحم بالفجر . . يلتحم بالنور . .
يلتحم أبداً بصوت البندقية . .

هذا جحيمى

اثخن هذا القلب
أثخن بالجراح
لا الأمانىّ تعـزيه
ولا وهج الكفاح
أجدى به
وقد انكوى بالموت
قبل الموت
وأشتهى ألماً سريعاً
ينقضى
أن يستكين لغربة
تنفيه في أرض السبات
وسكين يمزق
ما تبقى من فتات
لا تسل عما مضى
أو عن الذى هو آت
هـذا جحيمى يحيط بى
وأعيشها قبل الممات

86 . 3 . 16

موعد بدء الختام

هى الوحدة الآن تغتالنى
ويسحقنى وقع هذا السكون البليد

* * *

تتفتح ذاكرتى الآن
للقاء قديم
وتمضى مختارة
مواعيد أحزانها
كان شتاءً طويلاً
انهالت دموع السماء
وامتزجت بحنينى
هوى النجم القتيل
وبقى نجم وحيداً

* * *

من يغمد سكينه فى جراحى ؟
من يمنحنى راحة الموت
فأهوى
كبنفسجة ذابلة ؟

إن ركاماً من الحزن
يغتالنى
فأطوى أمام الرياح
شراعى
وأحفر في سفر الجنون
موعد بدء الختام

* * *

على بعد خطوة واحدة من حنينى
استدار الرصاص إليه

* * *

يعـذبنى وجهه وتلك العيون الحبيبة
حين تجىء فى هدأة الليل
فتوقظ
فىّ طائر
المساء الجميل
شهوة للرحيل
ورغبة فى البكاء
يجذبنى الحلم المستحيل
فتعشوشب الذاكرة
وتنهض فى القلب غاباته
وتصبو السنابل
للركض بين الحقول

* * *

حينما ألغت الأرض مواعيدها
وأغلقت صدرها دون اللقاء
غطى الرماد الفصول
قبل الوصول

* * *

وردة للفقير المقاتل
الذى لامس الشمس
ونما الموج بين كفيه
واستحال الجرحُ
رصاص

* * *

وردة للفقير القتيل
الذى استنهض العشق فينا
ولم يستكن
لأوجاعه
ولم ينحنِ
واقفاً صلبوه
ولم ينحن

بنغازى 1984

ستغتالنى اللحظات التى بيننا

للابتسامة المغتالة
فوق الشفة المتيبّسة
فى الوجه الجامد
فى الجسد المتكوم
قرب البحر الخامد
والأفق المتلون
بلون الحزن
والوجع المتراكم
فى قلب القمر الشاهد

* * *

هنا
بداية النهاية
هنا
الطفلة سقطت
جرحها امتد
حزنها اشتد

وضاع من عيونها
لون الفرح

* * *

لا
لا تسألوا
بأى ذنب قتلت
لأى ذنب سقطت
هنا بداية النهاية
تفترع براءة الأشياء
تفر عن ليلها النجوم
وتنهار المدينة
فى أول الحصار

* * *

استفاقت الطفلة قبل الهزيمة
أشرعت صدرها للريح
مدت يدها للشمس
فى أى جانب ينمو النهار
فتحت نافذة للحب
إن أفواجاً من العشاق يأتون

* * *

كان صباحاً جميلاً
غير أن حزناً خفياً
ساد المدينة
الطفلة قالت : سأعبر حاجز الخوف

مبهورة بحالة الشوق
مشتبكة بالمسافات المترامية
متشحة بلون ابتسامتها الصافية
فاتحة قلبها للقصيدة

* * *

وفى لحظات التحقق
وفى لحظات الدنو من زرقة البحر
تأتى الفجيعة
كمن يستعيد الطفولة
أستعيدك
فى الذاكرة
التى تتفتح الآن

* * *

ألاقى حبيباً قديماً
نمتطى لغة الصمت
وتقهرنا حروف الليالى الطويلة
التى باعدتنا
ونختزل
فى لحظة الوجد
حزن المسافات البعيدة

* * *

أستعيدك الآن
تتشكلين فى القلب
ألقا مستمراً

أضرب موعداً متأخـراً للقاء
فيصفعنى الرحيل المبكر
لا الأرض بقادرة على وقف دورانها
لا البحر
لا الشمس

* * *

لا . . لا
لا القلب بقادر
على كسر نتوءات الحزن

* * *

ستغتالنى اللحظات التى بيننا
ذاكرتى المشبعة بتوهجك
تغلغلك عبر الشرايين
وعبر خلايا الجسد

* * *

سيقتلنى يا طفلتى
إنك عبرت حاجز الخوف
فاغتالوك فى هدأة الليل
حاجز الخوف
مخبر الدولة البليد
الواقف عند زاوية الشارع الساكن
والمقصلة
المحملة دوماً بالرؤوس التى أينعت
وحان قطافها

سيقتلنى يا طفلتى
إنك تركتنى
أعتصر فى القلب
عشقنا
قطرة . . قطرة
ستغتالنى
اللحظات
التى
بيننا

بعض دمى المتختر

هذا بعض دمى المتختر
جرحى الراعف
انهمار الدموع
فى حضرة الحزن العظيم
احتضار المواويل فوق الشفاه الحزينة
أسمى المدنية سجناً
أسمى الوجوه القتيلة
فى لحظة الجور
ضحايا
كأنما يهرب البحر منا
يدين الوجوه
التى حاولت
أن تسرق الماء منه
وتسحب عن زرقته
لون الهدوء
كأنما ترحل الشمس عنا
ممتطية تفردها
أشعتها المتناثرة

لوحات خضرتها
على الأرض
معلنة احتجاجها الصامت
تاركة لليل أن يحقق كثافته
ويحتل زوايا المدينة

* * *

أصلى لاشتعال الفتيل
وبدء الحريق
أصلى لانهيار المدينة
التى يفقأ الجبن
عيون سكانها
ولا تستفز
يتشح ليلها بالخوف
ولا تنضو
عنها
السواد المقيم
يطوقها سياج العساكر
والهراوات الثقيلة
فتجثوا على ركبتيها
طالبة رحمة سجانها

* * *

أصلى للإنهيارات المتتالية
لإنفلات المسافة
بين حلم التفجر، والانفجار الحقيقى

* * *

وامنح أطفال المدينة
رائحة التوقع
للطوفان القادم
والزمن الأخضر
انهمار الغيوم
على ذاكرة المدينة الصدئة
واليباس الذى يحتل
زوايا الحقول

* * *

لا وقت للخوف
لا وقت للوعود المراوغة
اتسامق كالنخلة
مثقلة بالنداء الأخير

بنغازى 1984 م

لن يسعفك الوقت

أركض
أركض
حاول أن تهرب
من نفسك
من حولك
سيحاصرك الحزن
سيحاصرك البحر
الحب
الوطن
الأسماء
الأشياء
الذاكرة
الأصحاب
وجوه الأطفال
ولن
يسعفك الوقت

* * *

أركض

إن الأرض موات
والوطن قتيل

* * *

ستقاتل وحيدك
الجدب
الليل
السجن
وهذى العزلة

* * *

هل سيقيك الحب
اليأس القاتل
أركض . . أركض
إلى أبعد حد ممكن
أوقف نبضك
هذا الماضى
نحو
الحلم الأخضر
ولا تتوهج
فالكون جحيم

بنغازى 23 - 10 - 86
الساعة الواحدة ليلاً

لكن هذا ما حدث

سدت علينا كل منافذ الهواء
كان مشهداً مأساوياً بما فيه الكفاية
والحزن فى أعماقنا كان كذلك
سدت كل المنافذ
فتعالى يا صديقى
أيها العالم إنك قذر إلى درجة بعيدة
وإن وجهك محفور بالجدرى حتى البشاعة
فبأى كلمات موآساة ملفقة
يمكن أن تقابلنا ؟
وإلى كم من الوقت تحتاج
لتكتب عرائض الاحتجاج
الموقّعة بالرياء والوباء ؟
أيها العالم البشع : الطفلة الجميلة احترقت
وأحرقت قلبى
وتلبدت مشاعرى
وما عدت أستطيع البكاء بشدة
أيها الصديق : هكذا كانت القضية
الطفلة أرادت العبور إلى الحرية

عبر الطريق الصعبة
عيون الشر كانت كلها ملتهبة
تعثرت الطفلة أمام مستنقع نتن
ومتراس وحاجز
تعثرت الطفلة أمام القتلة
هل يمكن أيها الصديق
أن نرسم خطاً آمناً بين الحريق والحريق ؟
هل يمكن أن لا نرتبك
أمام شرايين الدم المتفجر
صدقني أيها (. . .)
السماء أيضاً أمطرت دماً
فيما مضت الطفلة الجميلة
فتعثرت بقاذفها الثقيل
نحو أول مشنقة
أوه أيها الطفلة المحترقة
لو تدرين كم أصبحت شهيرة
وكيف كنت مصدر رزق لا يصدق
لصحف على وشك الإفلاس
ولكتاب فاشلين
ولشعراء جبناء وحكام أجبن
أيها الصديق . . هكذا كانت القضية
الطفلة عبرت نحوأول مشنقة
وكان من المضحك جداً
أن نساعدها
بقصيدة مقفاة
بصراخ أجوف
بحقنة « مورفين » لتخدير آلام الحروق

والجراح المتفتحة
ببطاقات مواساة
وكلمات رقيقة
منتقاة من كل القواميس
وبكل اللغات الحية والميتة
بـاقات زهور طبيعية وصناعية
بحقنة تغذية صدئة فى الأوردة الملتهبة
وبرسائل غزل منمقة
تمتدح العيون الواسعة
والجدايل الطويلة
لكنها تتجنب الحديث عن الشظايا التى أحرقت خلايا الجسد
وعن محاولة الطفلة الخارقة للعادة
للعبور إلى الحرية

* * *

أيها العالم
إنك قذر إلى درجة بعيدة
وإن وجهك محفور بالجدرى حتى البشاعة
أيها الصديق
كان من المضحك جداً
أن نفعل ذلك
لكن هذا ما حدث

المرج 19 - 9 - 82

عن البوح والموعد الآتى

لغة
لغة
لغة وحروف ساكنة
لا تعرف كيف تترجم هذا الوهج المتدفق
يسكننى الفقـراء
يسكننى أنت
ويبحث عنك الفقراء
وكل المقهورين ينادونك

* * *

تعب أنت ومرهق
واعرف أن الليل كئيب
لكن الزهرة تفتح
كفيها وتدعو
عند الفجر
وأنت تنام
سويعات ثم تقوم
وتدعو

كالزهرة
كما قلبى
المسكون بكل الفقراء
كما البحر حين يقذف وعداً
فتتلقفه السحب
وترسل أولى بشائرها

* * *

أغفو
ثم أعب
فى الحلم
رائحة الأرض
المشبعة بالـوعد وبالحب

* * *

كل لغات العالم ترتبك
وهذى حروف لا تتسع لحجم الأمل
لا تعرف كيف تترجم هذا الوهج المتدفق كالحمم

* * *

هذى حروف بلّلها النـوم
فوق وسادة
ملك نفطى
وتركها عاجزة
فتعلمت الاسترخاء
ولم تقو

على البوح
بسر العشق

* * *

أنتظر متلهفة
فتعلمنى كيف تبدأ
الأرض دورتها
وأوقظ فيك
مواسم ترحل نحو مواسم أخصب
ومد أخضر
يا لغة الأرض
يا لغة العشاق
والفقراء
يعلمنى وجهك
تعلمنى تقاطيع الحزن
كيف يصير الحزن وتداً أخضر
في قلب رماد الزمن الداعر
وترينى حين يكتمل القمر
كيف يصير جنوناً
وترينى سيوف الفقراء
وأريــك الوجه الرافض
الحرف المتمرد
والموج الثائر
نتفق على الموعد
نتفق
فلم يبق من يقوى على البوح سوانا

81 - 5 - 18

مخاضات الثورة والانتماء

ماذا يقول الحزن فى عينيك
يا إفريقيا
ماذا يقـول؟
للشاعر المهووس بـالعنف
فى أغانيك . . بدقات الطبول
بهذى الكبرياء
فى شجر الأبنوس
فى الرقص
وفى صوت الطبول الرافضة
للقهر يا إفريقيا؟
ماذا يقول العنف فى الرقص
يا إفريقيا
ماذا يقـول؟
للبيض الحارسين على القبور
ماذا يقول ؟
انتظروا القافلة العطشى
تأتى بها ريح الجذور العاصفة
هل أذنت ساعتك
بـالاقتـراب؟

هل أذنت، ساعة
عشق الانتمـاء؟
للحزن فى عينيك
للصمت فى شفتيك
للكبرياء
هل تأذنى لى بالانحنـاء
لتقبيل التراب
هل تأذنى لى بالارتفاع
لتقبيل السحاب
وقمـة الأبنوس
وأشجار البهار
هل تأذنى للعاشق المهووس
يـا إفريقيـا
برقصة لاهبة
كما طعم البهار وبالغناء
أواه يا إفـريقيا
الوجع الدامى نما
وأنا هنا
أمتص من عنف الغناء
أمتص من عنف الطبول الصارخة
أمتص يـا إفريقيـا
إرهاص الثورة
إ ر هـ ا ص ة ا ل إ ن ت م ا ء

1981 م .

أوراق من الغربة

1 ـ الغريب

تسقط الثلوج على دروب
المدينة القديمة
فتبكى الشموع
وفى النهاية تحترق
وتمضى . .

* * *

الصمت يأكل المسافات
ولا شىء غير صوت الثلوج
على النوافذ المغلقة

* * *

يحس الغريب بالحنين
يحس بشوق إلى عالم بعيد
فيفتح النافذة
عله يجد عالمه البعيد
لكن الثلج يسقط بين راحتيه

وتدخل الريح
وتنطفىء الشمعة الوحيدة
ويعود إلى مقعده
فعالمه ما زال بعيداً

* * *

ها أنت أيها الغريب
يهزك شوق قوى
إلى الرجوع
إلى احتضان الشمس
عند المغيب
لكن هنا
لا تجد غير احتضار النهاية

* * *

ما زال الثلج بندوفه البيض
يأكل حبة جسد الـطريق
وفى النهاية لا شىء
سوى مساحات بيضاء
لا نهائية

* * *

أسدل الستارة
وأوقد المدفأة
فتلونت الغرفة بلون النار والأخشاب
وتراقصت ألوانها على الجدار
فبدت كأشباح مرعبة
تـرقص رقصة الموت الأخيرة

المرج 1979 م .

أوراق من الغربة

2 ـ آذار

تطلق الوردة الحمراء
أريجها
فتسحر النسمة وتنحنى
للثمها
وكذا تفعل كل الزهور
حين تطل الشمس
من وراء أبواب السماء

* * *

ها أنت أقبلت
لقد انتظرتك طويلاً
ولكن لم أمل الانتظار
فالحقل ملىء بالحب
وقد أحسست بأنك معى

* * *

ها هى الحياة تضمنا
أنظر إن القمر يغنى لنا
والغابة تفتح ذراعيها
مالئة الكون بالضجيج
لا شك أنها ترحب بقدومنا إليها

* * *

يهدر سيل الماء
يلمع ببريق خاطف
فالشمس تغتسل فى مياهه
وأنت تضم يدى بين يديك
فأحس بالدفء والانتعاش

* * *

الصغار يتبعوننا
ويصيحون بأصوات محتجة
كلما رأوك تضم يديا
يرفرف قلبى سعيداً
عندما يقذفنا الصغار بندوف الثلج
فدعهم يمرحون
فالجو ربيعى
وستذوب الندوف فى الطريق إلينا

المرج 1979

يحاصرنى البحر

لفافة يتيمة
أدفن رأسى
هاربة
من الوحدة
والضجر القاتل
من فراغ الغرفة الباردة
أهرب
من بقايا اللفافات المتناثرة
والـذاكـرة الصدئة
الممتلئة إحباطاً ونزقاً
بى رغبة للصراخ
بى رغبة للبكاء
أسلم نفسى للفافة الأخيرة

* * *

بحر ، موج يتكسر
فوق نتوءات الحزن
أدعو قلبى إليك
يحاصرنى البحر

تحاصرني أنت
أووف
لا منفذ

* * *

متعبة أتسلل إلى قلبك الدافيء
يتفتت اسمي بين أصابعك
فيغدو
زهراً

7 - 85 م

من يطفئ الحزن

أنتشل الآن عقولكم منكم
وأذهانكم التى يملأها الصدأ
وأرغب أن تمارسوا مهنة لم تحترفوها قط
أليس عجيباً ألا يفكر
أن لا يفكر بالقهر والعسف
وهذا النزيف القديم الجديد
ليس غريباً إذن
أن يسد العدو المنافذ
حين يفر الصحاب
وينكمش العربى على نفسه
خائفاً من أخيه الذى
اشتراه العدو
تربع النجم الذى أوقف نفسه للشهادة
إذا شئت الحق والحقيقة تؤلم
وتحتل طعم الفضيحة
كتب النجم شهادته
هذه أمة أسلمت نفسها
للفجيعة

وضعت يدها على قلبها
وانتظرت . . موسم الجوع . . الظمأ الحارق
وأخبار الهزيمة
كتب ملاك السماء
من لا يستحى يطلب من الله التدخل
وأغلق الله أبوابه
أمام وجوه النفاق
أضاف النجم أننا
هؤلاء أبناء أمة قوضت نفسها
وأجادت ذرف دموع الرثاء
كم يخجل الله منهم
لكنهم من أنفسهم لا يخجلون

* * *

تحرر . . أيها العربى الجريح
من قلبك هذا المريض
ومن جسدك المتآكل
استأصل كل الخلايا الخبيثة
وأفصد دمك الفاسد
بماء العاصفة
اغتسل وتطهر

* * *

أصرخ أيها الأخرس
أيها الصامت دهراً

لينتهِ صمت القبور البليد
وينهض الموتى
غرباء المدينة . . وفقراؤ ها
أطفالها الجوعى
وسجّل ! إن كل العيون أغلقت أبوابها
واستراحت
بعضهم فكر فى حفلة الأمس
وآخر فى صديقته الغاضبة
ثمة من اشتهى استبدال امرأته
وثمة من اشتهى زجاجة خمر معتق
آخر فكر فى ادعاء النبؤة
وكان هناك مثقف يحلم بحل معضلة فلسفية
لإثبات أن الكون مسير
وإن الإرادة وهم
وكان العدو يسد المنافذ
راوغت أيها المطعون وحدك هذا الانهيار
وأخذت تئن من هول الجريمة
الخيبة تلو الخيبة تأتى
واليأس توالد حتى صار وباء
مشهد ذبح ألف فلسطينى فى لبنان
أمر مألوف جداً كمن يستمع إلى حالة الطقس اليومى
هذا طفل يقتل . . أمر عادى
هناك حصار . . أمر عادى
حرب قذرة . . أمر عادى
جوع ، خطف ، حاجز أمر عادى
عادى جداً جداً وأقل من العادى
من يطفىء الحزن بالسر حتى البكاء

من يمتطى صهوة الحلم
ويعبر كل زقاق وشارع

* * *

ليمتطوا جميعاً . . فاتحين
قبراً طويلاً لكل الطغاة

* * *

ثانياً: القصة

وحيد

كيف تكررين نفسك كل يوم ؟ . . . ابتعد عن النافذة ملتفتاً تجاه أمه الجالسة قرب المدفأة منتظراً إجابة ما . اقتربت من المدفأة أكثر قائلة : البرد شديد هـذا اليوم ثم أضـافت بعد لحـظة تفكـير قصيـرة : ماذا أفعـل ؟ تعودت . .

حدق بفضول فى المطر المتدفق فرك يديه بشدة حتى احمرتا . رد بعض خصلات شعره إلى الوراء وخطا نحو غرفته .

ـ هل هذه غرفتى ؟ تساءل عندما احتوته وأضاف حين وقف أمام المرآة : هل أنا أنا ؟

جلس على الكـرسى المواجـه للمرآة وهمس أنـا وحـدى فلمـاذا تحاصرنى الأشياء ؟

منهك وجهه فى المرآة وغائم كيوم شتائى صديقه « جمال » قال له : أنت مريض وهذه هى الحقيقة .

ـ الحقيقة ؟ماذا يعنى بها ؟ ردد متطلعاً لأخيه الصغير الواقف أمام الغرفة . آه لم أقبله أبداً من قبل . خطرت له الفكرة قفز ليفعـل فرمى الصغير لعبته وجرى باكياً فى خوف نحو أمه أستغرب ذلك وتساءل بصوت عال لماذا يخاف منى ؟ نظر فى المرآة أمامه . هل أنا فظ قبيح ؟ تجاهل

الأمر وعاد إلى سريره مكتئباً استلقى فى استرخاء وحدق فى نافذة الغرفة ثم فى صورة أخيه المعلقة قبالته والمحاطة بإطار باهت صرخ فى الوجه الباسم فى الصورة هل مت حقاً ؟ أتضجرون هناك ؟ هل تكررون أنفسكم ويجتركم الوقت المريض ؟

انتبه إلى وجه أمه الذاهل المحدق به فصمت فجأة ووضع وسادة فوق رأسه . وعندما سمع صوت قدميها مبتعداً ، رفع الوسادة وصرخ ثانية فى الصورة : هيه أنت . أيها المرحوم لِمَ لم تجب ؟ هل لديكم هموم قاتلة كهمومنا وهزائم بشعة كهزائمنا ؟صمت قليلاً ثم تنهد قائلاً : لكن الموتى لا يتكلمون بدت له الفكرة غريبة فتساءل ولكن لماذا ؟ ابتسم فى سخرية وهز كتفيه قائلاً لا يهم . قفز بنشاط عندما شعر بحاجته إلى فنجان قهوة - ساعدها بنفسى - قال لشقيقته عندما دخل المطبخ نظرت إليه فى دهشة ثم وقفت فى مكانها تراقبه عندما قال لها : رجل فى المطبخ !! لكن لا بأس فكل شيء قابل للتغيير .

ـ هكذا فجأة ؟ . . سألته وهى تراقب طريقة إعداده المرتبكة . .

التفت إليها قائلاً فى برود لماذا تحدقين بى هكذا ؟

ـ يا إلهى . . لماذا عيناك متوحشتان إلى هذا الحد ؟ قالتها بخوف فازداد ارتباكه . غادر المطبخ نحو غرفته تاركاً قهوته على الموقد . شعر بسعادة غامضة عندما سمع صوت القهوة يسيل على النار تذكر أن صديقه « جمال » قد سأله عن سبب قلقه وارتباكه وأنه أجابه : إن شيئاً ما يتكسر فى داخله شيء ما يتحطم ثم ينتشر كالدوائر التى تتكون عندما يرمى حجر فى الماء . تذكر أيضاً أنه قرأ فى الصباح كتاباً ولم يفهم منه شيئاً فرماه وحاول كتابة بعض الأبيات مصمماً على إهدائها إلى أمه . تذكر ذلك فومضت عيناه ببريق مشع وركض باحثاً عنها فى منتصف المسافة بينه وبين الغرفة الأخرى توقف فجأة متذكراً أنه لم يكمل لوحته الزيتية التى بدأها منذ أسبوع : أنهيها وأهديها لها . قال بفرح وهو يعود إلى غرفته .

ـ ماذا ترسم ؟ سأله صديقه « جمال » ذلك اليوم الذى بدأ فيه رسم لوحته .

ـ لا أعرف . أجابه وهو منهك جداً فى وضع خطوط مبهمة على اللوحة . قد أرسم نفسى . أضاف قائلاً دون أن يكون متأكداً من حقيقة رغبته . كان ذلك منذ أسبوع ـ قال لنفسه وهو يعد أدواته لإكمال اللوحة مردداً لحناً متقطعاً كالأنين .

ـ ماذا تعنى ؟ سألته أمه وهى تتطلع للألوان المتفجرة فى اللوحة .

ـ العالم ضيق يا أمى وأنا أردت تلخيصه لك . كان يبكى ذلك الطفل وهو يرتد إلىّ ؟

ـ أى طفل ؟ سألته بدهشة وهى تمرر أصابعها بين خصلات شعره الملتوية بينما تتأمل اللوحة .

ـ كيف لا تعرفينه ؟ قال لى وهو يدخل قلبى : العالم فجوة صغيرة مظلمة . اعتدل فى جلسته ونظر فى عينى أمه متسائلاً : لماذا علىّ أن أرتدى ملابسى ؟ ارتبكت للحظة قصيرة ثم أجابت فى قلق : لأن كل الناس يفعلون ذلك .

ـ وهل يشعرون برغبة فعلاً لعمل ذلك ؟ توقف عن التساؤل حين لمح فى عينها دموعاً حائرة لا تسيل ولا تجف . فتح ذراعيه وصرخ فى توجع : ضمينى إليك أنت تبكين . . جمال لم يعد يأتى هذه ـ مشيراً نحو شقيقته ـ تخاف منى وتلك الصورة لا تجيب وأبى لماذا يرحل دائماً وينسى ؟

شىء يتكسر فى نفسى ولا يتوقف شىء ما يتآكل ؟ ! صمت فجأة دافناً رأسه فى صدر أمه ازداد هدوؤه حين بدأ فى الإنصات إلى دقات قلبه المتسارعة ـ كدقات الساعة ـ قال وأخذ يردد : تك . . تك . . تك . . لا . . لا كدقات القنبلة الموقوتة ـ عندما بدأ النوم بشك سألها لماذا لم يعد

يأتى « جمال » ؟ أجابته بحزن وهى تحدق فى الفراغ : سيأتى . بين الحلم واليقظة تذكر بشكل مشوش أنه حدث جمال عن حالة التأرجح القاسية بين السقوط والوقوف أو بين الوعى وفقدانه . آه تلك اللحظة الفاصلة القاسية . وإن جمال قاطعه ووعده بإحضار الطبيب .. من قلب أمه اقتـرب أكثر وهمس قبل أن يغيب . هل يأتى جمال ؟ المطر يتساقط بقوة فى الخارج ، دقات الساعة الرتيبة تك . . تك . . تك تلتحم فى الداخل بصوت الخشب فى المدفأة . وذلك الإيقاع السكونى الموحش وحدها تلك اللوحة المعلقة على الجـدار تنبض بالقلق وحـده حـرف « لا » الملتهب على الجـدار المتصدع الرطب وحـده يتوجـع كلما انعكس ضـوء البرق على الألـوان المتفجرة والمطر لا يتوقف . . .

اختلاس

تبدو بنغازى كامرأة تنضح بالدفء وتشع حرارةً وتوهجاً . . متشحة بلون شمسها السارى نحو غروب متجدد . . لون أحمر كالدم القانى وسماء انهالت عليها كتل السواد فكادت تغطيها إلا قليلاً . . أقف بجواره مرتعشة من موجات البرد القادمة من البحر . . تضرب الموجة تلو الموجة صخور الشاطىء . . يتلاطم صوت الموج المتكسر مع صوت السيارات المارة فى الشارع خلفنا . .

تلفحنى الريح فانكمش . . يمد يده ليطوقنى فأسرق قبلة من عنقه . . يدير وجهه نحوى ويقول وهو يبتسم ألا تخشين أن يرانا أحد ؟ هذا مكان عام والحب هنا ممنوع . ازداد التصاقاً به فيما اختلس قبلة ثانية : لا أستطيع مقاومتكم أنتم الثلاثة معاً . . البحر والليل وأنت : ـ

ـ ألا تبدو بنغازى رائعة ؟ سألته فيما نحن نخطو نحو السيارة الواقفة على رصيف الشارع المحاذى للبحر .

ـ هل تحبينها ؟

ـ جداً : أحس دائماً أنها تفوح ثورة وعشقاً . كفتاة تُعد لعرسها . . هل تتركنى أقود السيارة بنفسى ؟ .

لكنك لا تجيدين قيادتها . . أخشى أن تصطدمى بأحد . .

لليل بنغازى نشوته.. أتنفس بعمق وأعب هواءها ثم أنفثه بقوة كأنما أتخلص من كل الركام القديم العالق بذاكرتى.. إحساس بالتجدد يغمرنى.. كأنما عشت لحظة ولادة أخرى.. أو كأنما اغتسلت من وجع عتيق.. أووه لا تهتم أنت ستكون بجوارى.

ــ لماذا لا نستطيع أن نفعل هذا بحرية ودون خوف ؟ قال وهو يضمنى إلى صدره .. بعد أن أوقفت السيارة فى طريق جانبى .

ــ لن يقبل أحد ذلك ؟

ــ ولماذا ننتظر (فرمان) الموافقة من الآخرين ؟

ــ أنت لا تعيش فى جزيرة وحدك ليكن لك فعل ما تريد .

ــ كل منا يقتله الخوف من الآخرين . أنا وأنت بالنسبة لغيرنا (الآخرين) ومع ذلك .. لا أدرى .. أنا لا أمتلك الشجاعة الكافية لا أفعل هذا علناً .

ــ ألا تجد لذة فى قبلة مختلسة ؟

ــ أووه أنت جبانة ..

ــ وأنت أجبن .. ورغم ذلك فأنا أحبك .

ــ فى الظلام ؟

ــ لتكن الشمس فى داخلنا ولنا أن ننشرها ،كل منّا على الآخر ، لن نحتاج لأحد .

ــ أتسمين هذا حباً أم هروباً ؟أ

ــ سمه ما شئت .. نحن نعيش لحظات تجددنا معاً .

ــ لكننا نعيشها بقلق وندرك تماماً إننا لسراق الليل ..

ـ أنت تعرف، أن الحب العلنى مقضـى عليه مسبقاً !!

ـ رغم الثورة .

ـ أوف أنت تجادل جدلاً بيزنطياً . . الثورة لا دخـل لها . . أمـر موروث .

ـ لكننا نعطى أغلب وقتنا للآخرين . نحن نعمل من أجلهم طوال الوقت . . نتعب أكثر من غيرنا . . فلماذا لا يكون لك ولى أن نتنزه معاً تحت الشمس أو نجلس معاً على الشاطىء فى وضح النهار دون خوف ؟ .

ـ مللت من خروجنا خلسة . . والقلق الذى يقتلنا فى كل مرة نخرج فيها مستترين بالظلام .

عـانقته بهدوء مستسلمة لـدقات قلبـه المتلاحقـة وصـوت تنفسـه السريع . . كأن شيئاً ما قد بدأ الانهيار فى داخلى . .

ـ نفترق ؟قلت له .

ـ لا . . أجاب بسرعة كمن صعق فجأة . . لا أستطيع . وطوقنى بذراعيه بشدة :

ـ نتزوج ؟

ـ أريدك أنت لا أريد الزواج . أنت أول من يعرف أنه قيد مكروه لا أحبه ولا تحبينه .

ـ إذن ؟

ـ لست أدرى قالها هامساً فيما تغلغلت شفتاه فى شعرى .

كان وجهى لا ينم عن شىء ، حينما دخلت صالة الاجتماع و اتخذت مجلسى فى مواجهته . . بعد أن ألقيت السلام على الرفاق المجتمعين حينما حاولت أن أرفع عينى لتنظرا إليه أحسست كأنما كل الآخرين المحيطين بى

يعرفـون ما بيننا فاستدركت ورميت ببصرى بعيداً . . كأن شيئاً كضربة سهم ينغص ويفسد لذة الجلوس قبالة وجهه الحبيب . .

لكزتنى زميلتى بمرفقها قائلة : هيه ، نحن فى اجتماع . قلت لها فى ارتباك واضح : نعم . . أنا معكم . وحينما خرجت بمفردى . . سرت فى الشارع وحيدة . كقطة تحت مطر . وحينما انحرفت إلى الشـارع الآخر توقف بسيارته فركبت إلى جانبه . كمن ارتكب ذنباً خفضت رأسى فيما ضاعف هو من سرعة السيارة ،حزن عميق اجتاحنى فتطلعت إلى صفحة وجهه الساكن كبحر قبيل العاصفة . . التفت إلى متسائلاً .

ــ وإذن .

ــ لا أعرف أنا حزينة . قلت وأنا أرقب اندفاع السيارة على الطريق .

تفتت

لم أعد أستطيع الاحتمال ، هذا الكبت يقتلنى ، يفتتنى من الداخل ، يجعلنى أهرب من صورتها إليها وأقسم حينها بأننى سأتكلم ثم حين أواجهها وأفشل أهرب منها إلى صورتها الغافية بين أوراقى .

لتوهج وجهها وقت الانفعال تألق النار حين توقد فى مساء صحراوى ، لصمتها شفافية الدمعة حين تسقط ، لها كلها هى الشبيهة بقطرة مطر حين تتجول عيناها بهدوء حزين ، أو حين تخرج من تمركزها الذاتى إلى العالم فتتموج بين حالات الفرح القصوى الطاغية أو حالات الحزن القصوى الطاغية ما من حد أبداً لانفعالاتها . ولا يمكن وضع حد فاصل بين هذه التقلبات التى تعتريها .

لم تكن لتعادل « فائزة » صديقتى القديمة جمالاً ولكن فائزة ، لم تكن لتقف أمامها من فرط جاذبيتها ، جاذبية تنبع من داخلها وتلتحم بحيويتها المتدفقة كتيار الماء المندفع دون توقف أو كبركان على وشك الانفجار . . أووف، هذه الجميلة الممتلئة ثورة واندفاعاً . كم تأسرنى كتبت لها أكثر من عشر رسائل . فى كل مرة كنت أعيد فيها قراءة الرسالة تمتد يدى لتمزقها ،كل الكلمات قليلة لتعبر عنها ولها والحرف أعجز من أن يترجم هذه الحرارة المنبعثة من كل شرايين دمى ، فكرت أن أكتب لها رسالة وأتركها لها فى إحدى «كراسات» . المحاضرات كى أتجنب حرج

تسليمها بنفسى ، غير أنى لم أطق التفكير فى ردة فعلها . هى التى تطلق ضحكاتها الصافية أو تطلق حزنها الذى يداهمها فجأة وتحدق فى كوب العصير أمامها ترسم خرائط لمدن مجهولة أو تستحضر البحر الذى تحب . . .

سألتنى ذات مرة ونحن نتناول إفطاراً سريعاً فى مقهى الجامعة ، هل لديك أخوة ؟ وعندما أجبتها « نعم » عادت تسأل ، هل تشعر بالحنين لأسرتك ؟ هززت رأسى موافقاً ثم استطردت .

أسرتى فقيرة جداً وأتمنى أن أتم دراستى بسرعة لأساعدهم .

ــ وأنا كذلك . فيما مضى كنت أمقت فقرنا بحقد رهيب وكدت أكفر بالإله الذى خلق الناس طبقات ثم عندما وعيت أن كل ما يحدث فى هذا العالم محض فعل إنسانى ، أخذ حقدى مجراه الصحيح .

أنا لست سعيدة بالطبع للفقر، ما من أحد يحبه لكنى أشكر له نعمة تحويلى إلى ثورية.

رفعت عيناها إلىّ وعقدت حاجبيها بطريقتهما المعتادة وردت بسرعة الأغنياء لا يخونون طبقتهم .

ــ حدث ذلك والتاريخ شاهد .

ــ شواذ قلة لا تُعد على الأصابع . الأشياء لا يمكن أن تندفع فى إتجاه معاكس لتركيبتها ولا تتوقع من برجوازى إلا أن يلد برجوازياً صغيراً . كنت أرقبها تتحدث بعفوية وبشحنة إيمان عظيمة . بتلك الروح الثورية المناهضة لكل ما هو سطحى وزائف وبذلك الذكاء الأخاذ، والتألق الذى يضفى على وجهها تورداً محبباً آسرتنى وكثيراً ما كنت أقول لها آراء لا أؤمن بها ، فقط لأننى أعشق ردود أفعالها التى تحمل نزقاً طفولياً وأفكار فيلسوف .

ــ هل ستتزوجين ؟ سألتها مرة وقت خروجنا من « المثابة » إلى قاعة المحاضرات .

ـ لا قالت ببساطة وكأنها تتحدث عن وجبة لا تحبذ تناولها .

ـ حتى ولو كان رجلاً ثورياً .

ـ ثوريو العالم الثالث يحملون فى نفوسهم ركاماً رجعياً تجاه المرأة لا تمسحه مائة ثورة .

ـ حتى لو سمح لك بممارسة ما تريدين ؟

ـ « سمح لى » ؟ ! ها أنت تقولها بنفسك . الرجل لا يملك أصلاً حق الوصاية حتى يسمح أو لا يسمح ، هى حريتى . حقى. ما من أحد يقبل حريته على أقساط أو جرعات أو يقبلها كصدقة أو هبة .

ـ ليس الـرجل فى العالم الثالث فقط . هو الرجل فى كل مكان من العالم هكذا .

ـ إذن لا أحد يستحق . أليس كذلك يا صديقى ؟ !

بمثـل هذه المجادلات كنا نعيش أوقات فراغنا القصيرة ،بين المحاضرة والمحاضرة أو بين الاجتماع والاجتماع أو حين نمضى معاً لعمل ثورى نقرر فعله . فى كثير من الأحيان يتملكنى شعور بأنها حرة إلى الحد الذى لا يمكن السيطرة عليها وأنها تعشقت هذه الحرية حد الهوس . لكنهـا فى لحظات حزنها الصافية التى تنساب منها روحها كدمعة شفافة كانت تقول بشكل عارض ودونما استفاضة « كم أنا وحيدة . اغتراب ذاتى يمزقنى .فى كل مرة أعود فيها إلى غرفتى متعبة منهكة فى المساءات الشتائية الباردة وأغلق دونى الباب أشعر باغتراب جـاد . حتى حريتى لا تشفع لى ولا تخلصنى من ألمى هل تعرف ، حاولت الارتباطِ بأكثر من رجل . متمنية أن يزيل وهج الحب اللطخ السوداء العالقـة بنفسى فأفشل وفى كل مرة أعود وحيدة » .

كانت تقول ذلك فيما تبدو هالة ضبابية متماوجة تحوم فـوق عينيها

وتلتصق بأهدابها ثم تتساقط كمطر يهمى .تحدق فى الفراغ ولا تمد أصابعها لتمسح وجعها تقول بصوت كالهمس !

كل الناس يخجلون من حزنهم ويعتبرون بكاءهم ضعفاً عداى أنا أعتبر البكاء ممارسة حقيقية للصدق . أعمق اقتراب من الإنسان فى الإنسان . .

85 . 2 . 12

المدينة اللزجة

تسع ساعات من السفر المتواصل !! هذا كثير . . أكـاد أنهار من التعب . قالت أمال وهي تتمدد فوق السرير وتمرر أصابعها على وجهها وشعرها كأنما تطرد إرهاقاً جاثماً ، ثم هل رأيت فى حياتك مثل هذه الرطوبة « كراتشى » تبدو كفرن تشوى سكانها ببطء . أووف نفخت فى ضيق ثم صمتت .

كنت أقف بجوار النافذة أرقب المدينة المتماوجة . سكانهـا يبدون كجيش من النمل من نافذة الفندق المرتفعة فكرت فى فتحها ثم تراجعت أمام الرطوبة . كل المدن تتشابه . وكلها تثير الضجر والاشمئزاز من ارتفاعات مبانيها وانخفاضاتها المفاجئة وضجيجها والإحساس بالتفـرد والكآبـة التى تصيب أفرادها .

ــ لماذا يحب أغلب الناس سكنى المدن ؟ تساءلت بصوت مرتفع وأنا أنفخ الهـواء ساخنـاً من فمى على الزجـاج وأخط دون تفكير إسم صديقى .

ــ ضريبة الحضارة على ما أعتقد . ردت آمال وهى تعبث بجهـاز المرئية وتثبته على قناة تبث برنامجاً دينياً . وقتها تذكرت الجوع والعطش .

ــ آه كم بقى على الإفطار ؟ سألت أمال ودون أن أنتظر إجابة ذهبت لأغتسل .

ـ أخبرونى أن مياه كراتشى غير نظيفة وأن الملاريا متفشية .

ـ الملاريا مرة واحدة سأستعمل الماء الساخن إذاً «كراتشى» واسعة لكنها تضيق ببشر يتزاحمون ويتدافعون ويتداخلون . . كأنما يضيق كل منهم بالآخر ، وجوه لزجة يتقاطر منها العرق . وأجساد بالية لا يكاد يسترها سوى خرق بالية . حرارة ورطوبة تصل بالنفس حد الاختناق . كيف يتكدسون هكذا ولا يموتون ؟ كدت أرفع صوتى وأجهر بالسؤال استدركت الأمر حين فكرت بأنه سؤال سخيف . تماماً كردود المترفين على الفقراء.

المدينة واسعة . لكن الإحساس الأول بالاختناق يفقدها اتساعها، والفقراء فيها أكثر من المبانى. أحدهم جرى خلفى ليغرينى بشراء طوق من زهر الياسمين. لم يكن في جيبى نقود فأحسست بالحزن وأنا أهز رأسى نفياً لأبدى عجزى. لكنه استدار وألبسنى الزهر المنظوم على شكل عقد طويل، وقال وكأنه عرف من شكلى هويتى هذه (مشيراً إلى الزهور) هدية وابتسم ومضى حافياً بسرعة. تركنى واقفة بدهشة من لم يستوعب الموقف نظرت إلى عقد الياسمين، شيء ما كان يحزنى كسكين حاد. حتى الفقراء قادرون على تقديم ابتسامة حزينة وهدية لا يملكون ثمنها!!.

ـ متاجر الذهب هنا أكثر من فقرائهم !! لو كنت مثلهم لتحولت إلى قاتلة دون أى إحساس بالذنب . قالت أمال وهى تشير بأصبعها الصغير وكأنها تلقى بشهادة إدانة .

ـ وما يجدى ذلك ؟

ـ فى كل الأحوال هذا أفضل من نومهم على الأرصفة . تصورى أن ينام فقير أمام متجر للذهب وهو يعلم أن ثمن قطعه واحدة من هذا المعدن تكفيه ليشبع جوعه . . .

ـ ربما كان لا يعى ذلك ؟ قلتها بنزق وأنا أمرر أصابعى فوق وجهى لأمسح اللزوجة المقززة ولأفتح زر القميص . .

ـ يعـى ذلك ؟ هل تحتاج معرفة الجوع إلى وعى .

ـ الجوع يدفع إلى مزيد من الذل لا التمرد ولهذا ترينهم يتكدسون للتسول وبيع أشيـاء بسيطة والاستعـداد لأداء أى عمـل. الجوع يعـطل التفكير.

ـ إذا كـانت الخسارة والربح هما المقياس . فهو قـد يخسر وقـد يكسب إذا تمرد . هناك احتمالين يتوقف ارتفاع كفة أى منهما على ما يبذله المرء من جهد أما الاستسلام فهو الخسارة بعينها .

ـ حسناً يا عزيزتى إن لك شهية طيبة للخطابة . ما رأيك وسط هذه الرطوبة التى تحرق الأجساد وهذه اللزوجة التى تثير الاشمئزاز أن أرفعك على كتفى لتلمى حولك جموع الفقراء ,وتبدأى فى تحريضهم . وربمـا يشطح بك الخيال فتتصورى نفسك عروة بن الورد وهم صعاليك .ولكنى أحذرك فلكراتشى بوليسها القمعى .

ـ لا يحتاج الأمر لشطحات الخيال . بإمكان كل واحد من هؤلاء أن يكون عروة قالت أمال بامتعاض ووسط السكون الذى أحاط بنا أحسست بموجات من الإحباط تتقاذفنى رغبتُ فى قبض العالم بين يدى وقتله ثم إعادة بعثه وتشكيله من جديد . بصمت وذهول مشيت كمن يمشى خلف نعش قتيل . تأملت الوجوه التى تمر بسرعة وتختفى يربطها قاسم البؤس الذى رسم تفاصيله على خرائط الوجوه والأجساد وفيما رجلاى ترسم طريقى على الأرض أحسست بشىء رخو على الأرض ينسحق تحت قدمى تبعتها صرخة وجع . التفت خلفى بسرعة فرأيتها طفلة كلوحة مجسدة لوجع العالم وحقارته تعلو وجهها لوعة الألم وهى تمسح كفها الموجوعة من ضغط حذائى عليها بكفها الآخر أخذت يدها سمراء متسخة تظهر ندوب كثيرة سوداء على سطحها .

ـ أعتقد أن فى حقيبتى بعض النقود قالت أمال وهى تفتش حقيبتها ثم

أخرجت بعض الدولارات وهى تقول بسخرية . يعيش الدولار !نجده فى أى مكان رغماً عن أنوفنا . مدت النقود إلى الطفلة الصغيرة التى أفلتت يدها من بين يدى وجرت بعيداً .

ـ كثير من الأطفال يفعلون ذلك هنا يضعون أيديهم تحت أقدام المارة حتى إذا صرخوا أسكتوهم ببعض النقود . قال أحد الأصدقاء بعد عودتنا إلى الفندق .

وكنت ما أزال صامتة أشعر بوطأة ألم تلك الطفلة حين سحقت أصابعها تحت قدمى وحين كنت أصعد السلم إلى غرفتى انتابنى شعور حاد بالغثيان يد الطفلة الرخوة اللينة تحت قدمى فيما أنا أضغط دون وعى منّى . ثم صرختها الحادة ذلك الشعور بالانسحاق . لو تملك تلك الطفلة أن تسحق العالم برجلها الصغيرة ، هل تفعل !! على كل درجة من درجات السلّم أسترجع لحظة انسحاق أصابعها ثم خيل إلىّ أن الدم ينبثق من يدها ويغطى كل السلّم وهذه الرغبة الحادة فى التقيؤ والدم المتناثر يغطينى . . هذا العالم القذر . . آه . .

85 . 2 . 16

الهذيان

الأمر لا يستدعى كل هذه الضجة . . بانفعال قالتها ووقفت أمام الحجرة ضغطت بأصابعها على جبينها . . أحست بمرارة تمتد بدفء إلى أصابعها توهجت وجنتاها فيما داخلها إحساس كامل بالإعياء. صداع ؟؟ تساءلت الأم وترقبت إجابة ما . . «نعم» باقتضاب أجابتها وفى أعماقها شعرت برغبة لشرح الحالة التى تعانيها . . . « هذه الرغبة المجنونة » . . قالت بحنق وهى تنظر إلى أخواتها . . « كل وجه يحمل تعابير فرح ولهفة وترقب . . راودها شعور بقلق مفاجىء حين استطردت الأم قائلة : كل عام وأنت بخير . . عندما تذكرت أنه عيد شعرت بكآبة حقيقية غير إنها لم تبد حركة تدل على ذلك . . حتى تعابير وجهها ظلت محتفظة بذلك المزيج المدهش من الغموض المبهم والترقب القلق . . والإعياء الذى يصل حد التخاذل . . « كأننى استسلم » ؟ تساءلت وهى تقفل باب الحجرة خلفها . . تراءت لها تفاصيل متقطعة من حلم البارحة . . حدقت فى سقف الغرفة . . وفى أكداس الكتب التى جلبتها معها مساء الأمس . . انعكست صورتها المتأملة فى المرآة أمامها . . ظهرت ملامح وجهها واضحة . . وبدا أنها تبذل مجهوداً حقيقياً لتذكر تفاصيل الحلم . . فى الدوائر المتداخلة أمامها أحست بأنها تعى وجودها ولكنها تفتقد إلى تحديد الزمان والمكان . . بدهشة مقرونة بحيرة تطلعت حولها « لماذا يلتهمون كل شىء بسرعة ونهم مجنون » ؟؟ سألت نفسها عندما تبينت مجموعة غير متجانسة من البشر . .

لكن شعوراً « بالقرف » الشديد لازمها حينما بدا أن المجموعة تلتهم أجساد بشر مشوهين . . تراجعت إلى الوراء . . لماذا يفعلونها ؟ ! . . « أمر طبيعى تماماً » أجابها شبح ما بجوارها . . « صوته ليس غريباً » همست فيما تابع الشبح المدهش هو أن لا تريهم هكذا ؟ . . أفزعها أن تسقط بعض الكتب من الكومة المكدسة بجانب حقيبتها . . إحساس عميق بقوة الحرارة الخارجة من جسدها جعلها تفكر بجدية فى أنها مريضة جداً . . « ربما سأموت بعد قليل وينتهى كل شىء بفلسفة ساخرة همست « أنا أتألم . . إذاً أنا موجودة » ضحكت ثم أكملت : معادلة متواضعة ومتوافقة مع غرابة حالتى والكابوس الناقص . . « وبما أننى موجودة . . إذاً فأنا لم أمت . . ولكن سيكون من الغباء المطلق أن أموت الآن . . وبهذه الطريقة . . خيل لها أنه من المنطقى أن تختار هى كيف تموت ومتى شعرت بتبلد مبهم من التفكير بهذا الأمر . . « اليوم عيد . . لا أظن أن الله على استعداد لمناقشة مثل هذا الأمر . . ازداد تحديقها فى الفراغ الممتد بينها وبين النافذة المفتوحة . . تطلعت إلى ساعة الحائط . . رأت أنها تتجاوز العاشرة بقليل . . فى مثل هذه الساعة من مساء الأمس سألها صديقها تمر بك حالات مثل هذه من قبل ؟ عندما لاحظ أن شعوراً بالإشمئزاز الحاد الممتزج بالمرارة يظهر بجلاء على ملامح وجهها . . هزت رأسها بالإيجاب . . وحاولت أن تشرح الأمر . . اهتزت الطائرة بعنف وأعلن المضيف إن الأمر لا يعدو مطباً هوائياً . . « أحس بشىء مبهم وبمعاناة حقيقية » . . حاولت أن تفسر أكثر حين لمحت تساؤلاً جاداً فى عينى صديقها . . حركت يديها كمن يعلن عن عجزه ويأسه . . « لا أعرف كيف أعبر أكثر . . » فيما عاودها ذلك الشعور العنيف المتصاعد فى داخلها بالغثيان حاولت أن تسترخى فى المقعد وألقت برأسها إلى الوراء . . « لا فائدة لا أستطيع الشرح » . . فيما امتلأت عيناها بدموع حقيقية . . تذكر جيداً عندما ركبت السيارة من المطار إلى البيت أن صمتاً مشحوناً بالقلق داهمها . . وأنه طوق أيضاً صديقها . . بعد أن فشل فى إخراجها من الدائرة التى تحاصرها . . « لا فائدة من الشرح » . . أعادتها ثانية . . قالت لها أمها بعد عودتها إلى البيت : غداً

العيد .. للمرة الخامسة تقمعها فى ذلك اليوم .. وفى كل مرة كان يحاصرها شعور بالكآبة والقلق .. « ولكن لا أحد يفهم أننى لا أهتم بهذا العيد .. فلماذا يصرون على إخبارى وكأنهم يتعمدون مطاردتى .. « لا فائدة من الشرح » أعادتها لصديقها ولأمها وهمست بها لنفسها وهى تحدق فى سقف الغرفة فيما طاردتها تفاصيل الكابوس .. يأكلون أجساداً بشرية مشوهة ويبتسمون كمن ينتظر المزيد .. لا يبدو عليهم الاستغراب « أمر طبيعى أن يفعلوا ذلك « فاجأها سؤال بدا لها فيما بعد أنه غريب : حسن عندما ينتهون من التهام ما أمامهم ماذا يفعلون ما داموا قد تعودوا على ذلك ؟؟ غثيان .. غثيان .. غثيان .. رغبة حادة فى التقيؤ راودتها .. وشعور بالحنق والغضب اللامحدود .. / .. قهوة ؟ .. سألها أخوها الصغير .. حدقت بذهول فى وجهه بدت لها ملامحه أنيسه .. هى تحب النظر فى عينيه الضاحكتين على الدوام .. ابتسمت ابتسامة صغيرة وهمست : نعم .. شكراً تراءى له أن ابتسامتها تشجعه على الحديث .. انطلق يثرثر فتيقنت أن الاستماع لثرثرته أمر ممتع للغاية لكن الإحساس بالكآبة والحزن عاودها حين تحدث عن العيد .. « هم جميعاً يتحدثون عنه .. لا أرى سبباً واحداً يستدعى الاحتفاء به » قالت ذلك واستدارت استدارة كاملة فواجهها الحائط حدقت فى شقوقه وفى الرطوبة المنتشرة على جوانبه وتساءلت بحزن ، أى شىء يدعوهم إلى الاحتفال بالعيد وتلك المجموعة غير المتجانسة تلتهم فى جشع الأجساد المشوهة؟ ازدادت الحرارة المنبعثة من جبينها وازداد توهج وجهها.. «أيها الحائط لا أريد إجابتك ولكن على الأقل لتستمع زواياك المتصدعة إلىّ؟ أدركت أنها قد بدأت تهذى «والهذيان صدق » قالت وهى تتذكر وتذكرت أنه يسألها دائماً أن تكتب له .. لكنه فى آخر مرة كان حزيناً .. أتعسها مجرد التفكير فى كونها جزء من مسببات حزنه .. لكن كبرياءها . رفضت الاعتراف بذلك أمامه .. وعندما رأت حبات العرق تتجمع على جبينه لتنحدر على شكل خيوط قصيرة متقطعة راودتها رغبة عارمة فى ضم وجهه بيديها ولكنها لم تفعل وبقيت واقفة ترقب تعابير وجهه الحاسمة .. (كان يرشدنى فى التخطيط

لأشياء رائعة . . تذكرت ذلك فيما انبعثت من ذاكرتها كلمات أغنية تعشقها . . « يا فاتحة الأمل القتال ، وفاتحة السجين أترجل عندك ، بعد رحيلي فيك ، فلا ألقاك ، أرتد وحيداً وأقول : لعلك . . أعرف أنك لست بعيداً)* اختلطت كلمات الأغنية بكلماته لها . . فيما تراءت لها بعض تفاصيل الكابوس فى تصدعات الحائط أمامها . . فكرت أنه شىء رائع أن تتذكر فى تلك اللحظة بالذات .؟ حدّقت فى الفراغ « لكنه معها دائماً » « على الرغم من أنه رائع إلا أنه يخطىء أحياناً . . المشكلة أنه يكرر الخطأ ولا يعترف » . همست لنفسها . . سوف أقوله له أننا لم نخطىء على الأقل نحن لن نكون مثل تلك المجموعة التى تأكل أجساد البشر وترى أن ذلك أمر طبيعى . . لا « أتحامل ، هذا الفجر على جرحى . . وأجىء/ . . فى وجهى أرضك مثخنة وأجىء/ . . أحرقت ورائى ما وهبته بحار التيه من السفن / . . وقصدتك أندى فى الطرقات . . « وأنا أحتمل المزيد من الألم . . وأنا أرحل بنحوك . ممتزجة أغنية نحبها معاً » . همست . « لن أسقط فى الهذيان». سوف أقول له: إننى لا أجد مبرراً للإحتفال بالعيد . . وأن هناك أشياء أكثر سننفذها معاً . . عاودها الشعور بالغثيان . . والحرارة المتصاعدة . . وهى تهمس بقوة : لن اسقط فى الهذيان. . ألفظ تفاصيل الكابوس من ذاكرتى . . لن أسقط . . أرفض .

(*) مقطع من أغنية خالد الهبر « عينى يا عينى يا وطنى »

تجسدات الحلم

الحلم . . « أنا/ عندما أبحرت فى عينيك . . وغنت طيور الفجر فى خاطرى . . ورسمت على جفنيك كوخك والشلال . . تجسدات الحلم ، ، أغمض عينيه وحاول تذكر صورة أفضل لتقاسيم وجهها بدأ يخطها على اللوحة أمامه . . دخلت ووقفت وراءه بهدوء شديد ووضعت يديها على عينيه ، وصاحت بصوت حاولت قدر الإمكان جعله مكتوماً : ـ من ؟؟ ـ أجاب : فتاة الحلم ، ضحكت بصوت عذب . . وبدت ـ غمازة ـ صغيرة فى خدها الأيسر . . زادت فى إيضاح تقاسيم وجهها ، ، رمت حقيبة يدها على كرسى مجاور وجلست بجانبه . . ثم نظرت إلى اللوحة وقلبت شفتيها مخفية ابتسامة ماكرة ونظرت إليه بإمعان وسألته ، لم تصر على مناداتى بفتاة الحلم ؟ لم يلتفت إليها وإنما أغمض عينيه من جديد ثم بدأ يكمل بقية اللوحة التى بدت تقاسيم الوجه فيها تتبلور لتتخذ شكلاً مقارباً لوجه الفتاة الجالسة بجواره والتى التزمت الصمت لحظات ثم ما لبثت أن سألته لماذا تحاول رسمى من الذاكرة ؟؟ ـ إننى أمتحن قدرة ذاكرتى على تذكرك . . أجاب دون أن ينظر إليها . .

ـ ولكن لم ترسم على جفنى كوخاً وشلالاً؟؟ ـ . . . !!
ـ لماذا لاترد ـ . . . . ؟

ـ إننى أسألك ؟ ! ـ . . . . . !! أحسست بضيق عميق فتناولت حقيبة

يدها وأسرعت بالخروج من الحجرة لكن سالم أسرع خلفها وهو يصيح بها انتظريني!! توقفت قليلاً لدى سماع صوته ثم ما لبثت أن واصلت مسيرتها دونما التفات إلى ندائه لها.. جرى وراءها حتى حاذاها ثم أحاط ذراعيها بيده، وساد الصمت بينهما لحظات، وما لبث سالم أن قطعه بقوله: أنظرى إلى ريشتى.. قد رسمتك ريشتى فى إزار شتائى رسمتك كثيراً.. وحلمت بك كثيراً قبل أن ألقاك حقيقة.. أنت أيضاً رأيت رسوم ريشتى قبل اللقاء وأنت أيضاً قلت إنها لا تختلف كثيراً عن رسمك الحقيقى أليس كذلك يا حلوتى؟؟

ابتسمت ابتسامة سريعة ثم قالت: لن أجيب قبل أن أعرف سرّ اللوحة والشلال.

تنفس بعمق ثم نظر إلى عينيها، وقال كأنه يناجى طيفاً بعيداً: (فى البدء كانت الكلمات.. ثم تشكل الحلم.. كان هدير الشلال طاغياً فى أذنى.. وكنت أنت فتاة الكوخ.. كنت أنت الشلّال. آه.. كنت أحلم بفتاة تسير معى بحذاء الشمس.. كنت أحلم بفتاة كالشمس.. فتاة أعشق فيها التغيير.. أعشق فيها التحدى..

أدار وجهه بعيداً عنها فجأة وقال بصوت مرتفع فهمت يا فتاتى؟؟ أشاحت بوجهها عنه، فنظر إليها ومد يده وأمسك يدها برفق وقال: هل كنت مخطئاً؟؟

أدارت وجهها بسرعة إليه.. فبدت فى عينيها الواسعتين قطرات من دموع تحدت المقاومة.. همست: مخطىء؟! كلا.. لكنى لا أدرى ما سأقول.. إننى.. أعشق التغيير.. نعم، أسعى إليه بكل قوتى.

نشرت بجريدة الطالب 1980/8/31 م.

الاجتياح

- 1 -

محادثة أُولى

ـ هناك مشكلة ؟

ـ لا تسأل . . تكفى رطوبة الجو الخانق والصوم اللامجـدى وهذا القلق .

ـ لو سمعك أحدهم لقال كافرة .

ـ لا يسعد الإنسان أن يصبح كماً متبلداً دون جدوى . نحن نرث ولا نفكر . . أجبته بعصبية واضحة .

ـ أنت قلقة . . هناك مشكلة ما ؟

ـ لا . . لا تسأل .

- 2 -

محادثة ثانية

ـ تضحكين ؟

ـ من القهر .

يأتى صوته متردداً .. كالعادة حين يشعر بضيق .. ولكن .. آه .. حسناً لا أعرف تماماً .. أتخيل أنه كالعادة أيضاً يجتاحه الحزن فيظهر جلياً فى عينيه وأنه يطرق برأسه ليدارى الوجع الدائم .

- 3 -

الحادية عشرة صباحاً .. اقتربت من الجهاز ابتعدت ثم اقتربت .. بحركة سريعة امتدت يدى إلى القرص .. رقم .. ثم رقم .. ثلاثة هى ابتسمت لنفسى فى زجاج النافذة المقابلة وقذفت بالهواء من رئتى إلى النافذة بعنف مكونة طبقة عزلت عنى صورتى الباهتة .. مسحت الهواء بيدى وأنا أستمع إلى دقات الهاتف .. واحدة .. اثنان .. ثلاثة .. ابتسمت ثانية .. ثلاثة أرقام ثلاث دقات .. عندما سمعت صوته ينساب عبر الهاتف .. أغلقت الهاتف بعنف ابتسمت للمرة الثالثة بألم غطيت وجهى بكفّى المرتعشتين .. كل الأشياء تفقد أحياناً معناها .. دونما مبرر أفعل ذلك .. كانت القاعة واسعة لكننى أحسستها تضيق .. تزحف نحوى ونحو النافذة .. بالطاولة المستطيلة التى تتوسطها .. بكراسيها الخشبية الكثيرة .. بالمصابيح القوية الإضاءة المتدلية من أعلى .. باللون البنفسجى الذى يلون غطاء الطاولة .. وبمنافض السجائر الصفراء .. آه .. بكتبى .. مذكراتى المتناثرة وبجدول الامتحانات الذى يندفع نحوى ضارباً وجهى فى كل مرة أفر هاربة خارج القاعة .

ابتسم بعصبية لتقاطيع وجهى المتقلصة البادية فى زجاج النافذة .. أنظر إلى وجهى بحدة .. يبدو غريباً ؟؟ أسأل نفسى .. لا .. لا وإذاً .. أوه لا شيء بعد غير الامتحانات .. أخرج لسانى ساخرة للوجه القلق المكتئب فى زجاج النافذة ثم أسرع هاربة .

- 4 -

الثانية عشرة ظهراً من كل يوم .. من أسبوعين مضيا .. أجد نفسى

هاربة من القاعة إليه .. تمتد يدى فى لهفة إلى يده .. يجتاحنى حزن عينيه للمرة المليون ويأكلنى القلق .. أندفع إليه وأتوقف حين تقترب يده من يدى .. أو أتوقف حيث يتطلع إلىّ فالتفت بشكل عفوى إلى جهة أخرى ..

- 5 -

ـ بنغازى مدينة المتناقضات .. قال ذلك حينما توقفت بنا السيارة بين جموع السيارات المزدحمة عند الإشارة الحمراء.. عندما انعطفت بنا السيارة يساراً باتجاه المعسكر الكبير قلت له فى سخرية من الفويهات الغربية وحتى حى بن يونس والصابرى .. أليس كذلك من قصر برجوازى بليد وحتى بيت صديقى الفقير « عمر » أليس كذلك .. وبنغازى هذه المجنونة .. لا تتراجع بعد من الضجيج إلى الضجيج ولكننى مع ذلك أحبها وأقسم أننى أحسست فعلاً بذلك الحب حين ركز نظراته على عينىّ هامساً . وأنا أيضاً كذلك .

بنغازى والسيارة والضجيج والإشارة الخضراء .. الطريق والناس والأشياء .. هو وأنا .. أردت أن أقول له شيئاً ما .. لكننى نسيته ظل يلح على ذهنى خاطر مجنون .. غطيت وجهى الشاحب بكفى المرتعشين ولم أتكلم ..

حين عدت إلى البيت .. سألنى فى إحدى « مكالماته » الهاتفية ، متى تأتين ؟

ـ لكنها الإجازة . فلم تسأل ؟

فى سرعة أجاب لا شىء .. لا شىء .

لم نتحدث كثيراً ذلك اليوم ولربما كنت مكتئبة وجافة إلى درجة لا

تشجع على الاستمرار لكنه عاد فى النهاية يتساءل فى تردد : متى تأتين ؟ .

لم أجب لكننى تنفست بعمق . .

بتقاطيع وجهه الهادئة .؟ بعينيه الحزينتين . . بأشيائه البسيطة . . بسيارته البيضاء وأشرطته وكتبه . . بكل شىء فيه . . ينساب عبر الذاكرة . . بهدوء يناقض نفسيتى القلقة المرتبكة والمندهشة دوماً أمام الأشياء . . أوه يناقض ؟؟ ربما لم يكن الأمر كذلك تماماً . . فخلف حزن عينيه اضطراب عميق . . أعرف ذلك جيداً . . هى اللحظات كذلك تنساب هادئة بتفاصيلها عبر الذاكرة . . تختلط بخيوط الفجر الأولى المتسللة من فجوات الشباك . . أتطلع إلى السقف المتصدع . . وإلى الدولاب المتداعى وطلاء الغرفة الباهت . . السادسة صباحاً ؟ إذاً ماذا بعد ؟ . . . أغطى وجهى الشاحب المتعب بكفى المرتعشتين وأهمس : هل يمكن أن تكون هذه هى اللحظة ؟

- 6 -

للفوضى طعمها المحبب للاضطراب جماله وللضجيج حركته المتفاعلة مع الأفكار وفى المطار تتراكم الأشياء وتتداخل . . ازدحام وقلق . . ارتباك وضجيج . . كل شىء ولا شىء ارتدت عيناى أكثر من مرة مصطدمة بالفراغ . . كان هناك عدد كبير من البشر لكنه لم يكن هناك . . عندما اقتربت من الطابور المتدفق نحو البوابة التفت نحو باب الدخول فتعلقت عيناى بأول الداخلين ولم أستطع أن أوقف الاندفاع(*) . .

كان القلق يتآكل فى داخلى . .
اجتاحنى بحزن عينيه فاندفعت . .
بالوجع الذى يسكن تقاطيع وجهه . .

---

* الاندفاع فى اضطراب لذيذ نحو الطائرة

اجتاحنى بابتسامته الطيبة . .
اجتاحنى بكل ما فيه
بكل شىء
كانت تلك هى اللحظة فعلاً
أحبك

فراغ كالجحيم

بهدوء تام وبسكينة متناهية أتذكر الآن كيف كنت أسند رأسى المتعب على صدرها النافر وأمد يدى محتضناً جسدها الدافىء . . وأقص عليها حكاياتى المتناثرة التى كثيراً ما تفتقد إلى جودة السبك فتنهار فى النهاية وتفقد خيوط نسيجها لتتحول إلى همهمات غير مفهومة قبيل الإغفاء . . فيما تغرق شفتيها فى شعرى ناشرة عطرها الحار فى الغرفة الباردة . .

ــ لا أعرف لماذا أعود إليك دائماً كانت تقولها وسط أحاديث أخرى كثيرة وتسأل دون أن تنتظر إجابة ما : هل تحبنى ؟! كنا نلتقى دونما موعد ونفترق دون أن نتفق على اللقاء ثم يحدث أن نتقابل صدفة فى شارع ما فنمضى معاً وذات مرة التقينا فى الحديقة المجاورة لبيتى . . مرحباً . . قالت هل أنت على ما يرام . . تبدو شاحباً . . وعندما كنت أعمّق نظراتى إلى عينيها . . ينتابنى الإحساس الغامر الحار بحبها ولذة عناقها كطفلة برية لا حدود لتمردها وعصيانها ورائحتها الشبيهة برائحة الزعتر البرىّ كأنى أتنشق عبير الجبل الذى تنام على سفحه مدينتى القديمة أو كأن صباحات تلك المدينة الجميلة تسكننى الآن .

ــ هل تحبيننى ؟ سألتها حينما ضمتنا الغرفة الباردة . . وتمددت على الكرسى الطويل مخرجة علبة سجائرها . .

ـ لا أعرف تماماً .؟ قالت وهى تنفث دخان سيجارتها . . وتمرر أصابعها الصغيرة الخالية من الحلى فى شعرها القصير المتناثر دونما تنظيم . . حسناً . . فى أحيان كثيرة حينما نلتقى هنا أشعر أننى أحبك بطريقة لم ولن تحدث . . تخالجنى مشاعر متدفقة وأنسى إننى لا أقدر على الابتعاد عنك . . وحينما نفترق يحدث أن لا أتذكرك أبداً وأعود إلى حياتى العادية كأن شيئاً لم يحدث أنا لا أعرف . . كثيراً ما يصيبنى قرف واشمئزاز من كل الرجال . . ربما لأننى عصبية وسريعة الانفعال . . أو ربما لأن الرجال فعلاً لا يستحقون شيئاً .

تعود لتدخين سيجارتها فيما تحدق عيناها فى صورة لقطة صغيرة معلقة على الجدار المقابل - يزداد إحساسى بأنها حقيقية أكثر من أى امرأة أخرى . . وأرغب أكثر فى أن أحدثها عن الغربة التى أعانيها وعن طفولتى التى أختزنها وأختزن معها صورة أمى التى طلقها أبى لأنها كانت تكرهه ولم تكن تريد أن تتزوجه . . أتابع بعينى سحابات الدخان المتلاحقة من سيجارتها . . ونظرتها الساهرة الشاردة . . كل منا يعيش وحدته رغم أننا معاً وكأننا ندفع ضريبة جريمة لم نرتكبها .

ـ هل تعرف أننى أكره إسمى ؟ ! « نجاح » ألا يبدو حقيراً هذا الإسم . . أنا من لبست هذا الإسم أو ألبسونى . . لم أحقق نجاحاً واحداً ولا حتى على ألمى . . أعيش حالة فراغ قاسية حياتى رخيصة لأنها بدون جدوى ولا أجد معنى للارتباط بأحد لكنك حرة !! تستطيعين أن تعيدى للأشياء معانيها . . ثم ضحكت فجأة وضحكت هى أيضاً لأنى فهمت أننى أقول ما لا أستطيع أنا نفسى فعله . .

ـ أووه أعذرينى . . قلت لها وأنا أُقبل أصابع يدها اللينة كطفلة ألا تكفين عن التدخين ؟ سألتها وحاولت سحب بقايا السيجارة من يدها الأخرى .

ـ حسناً وماذا يعنى أن أكف عن التدخين !! لا شىء . . هل سيتغير

شيء ؟ ! منذ سنوات وأنا أدخن ثم أتوقف عنه ثم أعود إليه دونما فائدة . . إننا نتبادل الصفعات دائماً . . أنا أحرق اللفافات تباعاً وأقضى عليها وهى تدمرنى من الداخل . . لكننى أجد لذة فى هذا العذاب لأنه يحدث بصمت .

ـ هل يرضيك أننى أحبك وأجد سروراً لا يوصف حين تكونين معى . . ؟ كانت فى تلك اللحظات تجلس قبالتى على ذات الكرسى ترفع رأسها . . فتعبرنى عيناها وتجتازنى إلى الجدار المقابل شفافية حزينة تغلف وجهها الطفولى العذب . . كأنه لم يتدنس قط . . تخفض رأسها وترسم على شفتيها ابتسامة صغيرة سافرة تحدق فى عينىّ مباشرة ولا تتكلم .

ـ هل تتألم لأنك غريب عن وطنك ؟ سألتنى ذات مرة ونحن نتجول فى الحديقة .

ـ لا أدرى تماماً ربما كان مصدر حزنى أننى لا أملك شيئاً له بمفردى مدينتنا التى كانت تغفو على سطح الجبل المتوج بالاخضرار دائماً . وتصحو على رائحة الزيزفون والضباب الخفيف أنا أتذكرها بشكل مبهم كذكرى تلح عليك أو كقطعة موسيقية حزينة تحبها ولا تذكر إلا نتفاً منها . . تفاجئك فى كل مرة وترتد عنك كمد وجزر . . كانت جميلة كفتاة فى السابعة عشرة من عمرها . . لكنهم أخرجونا منها وكنت صغيراً . . وأنت ؟

ـ أنا . . كانت نظراتها المباشرة في عينى تصيبنى بدوار لذيذ وبارتعاشة غامضة .

ـ أنا اخترت أن أغادر مدينتى بنفسي . . لم يكن لى شيء هناك وفوق كل ذلك لم يكن لى أحد لماذا أبقى إذاً !!

ـ مدينتك هل كانت جميلة . . هل تتذكرينها !! سألتها :

ـ ها . . لم أكن فقط أملك القدرة على نسفها . . إن شرايينها تتغذى بالقذارة والفقر والجوع كل يوم وأهلها يطعمون سياط العسكر

والجفاف والرعب كل لحظة .. كان ذلك بديلاً لوجبـات الطعام المفقودة والمكدسة فى بيت المحافظ وعسكره .

تسللت أصابع يدى لتضغط على أصابعها المتشجنة .. هى هكذا إذاً صديقتى العشرينية المتمردة .. لم تكن تتحدث لكنها كانت مشحونة بالحقد والمرارة ..

ـ وإذا .. همست لها فهزت كتفيها بلا مبالاة ثم قالت: كلانا بلا وطن أتقبـل صداقتى وحبى ؟ ! إننى أكثـر احتيـاجـاً الآن للذف من أى وقت مضى .. هل نمضى إلى البيت ؟

فى المساء عاودتنى صورة أمى ومدينتى الصغيرة والجبل الذى يحضنها وكان ذلك مثل حلم هادىء ..

فتحت عينىّ فوجدتها غافية بين يدى بوداعة وقد تخلى وجهها عن تعبيرات التمرد والعصيان التى كانت تملؤه .. أقبل جبينها الناصع البياض فتفتح عينيها وتتمطى كقطة حلمت بأمى وهى تضحك ! قالت وهى تعود لتدفن رأسها فى صدرى .. أين هى الآن ؟ ! سألتها .

ـ ماتت منذ زمن بعيد .

ـ ألم تراودك رغبة فى عمل ما ؟

ترفع رأسها وتنظر فى عينى كعادتها كأنما تحاول أن تفهم ما أود قوله دون أن أتكلم ..

هل يعنى أنه يمكننا أن نفعل شيئاً ؟ سألت .

ـ ربما ليس لنا أعنى أننا قد نسبب الخسارة لأنفسنا ولكننا فى كل الأحوال لا نجد معنى لوجودنا هكذا هل تفهميننى ..

ـ آه أنت تعنى الآخرين .. أليس كذلك ؟ شىء ما للآخرين .؟ يبرر لك وجودك .

ـ لم لا ؟

لا ترد . . تعود لتدفن رأسها فى صدرى . . ثم ترفعه مجدداً أو تضعه على الوسادة . . تهب فى ذاكرتى صور متناثرة لمدينتى . . تموجات ليس لها حد . . توق عارم لعـمل ما صورة أمى ورائحة الجبل المندفع باتجاه السماء . . والطفل الدامع العينين يوم الـرحيل . . أى آلام لا تحـد ولا تنتهى .

سحبت لفافة من علبة سجائرها . . حـزن عينيها كـان جلياً ووراء سحابات الدخان المتواترة تألقت عيناها وومضت ثم أمطرت مددت يدى ببطء مسحت وجهها بـأصـابعى وتلقيت بهـا القـطرات المتسـاقـطة فى صمت همست وهى تنظر فى عينىّ مباشرة كعادتها دائماً تلك النظرة التى تصيبنى بالارتعاشـة ذاتها كأنما هى المـرة الأولى . . همست : نعم لمَ لا ؟ ! .

85 - 2 - 9

سبعة مشاهد ورحلة

- 1 -

موسى بسيط جداً ونقى إلى حد لا يصدق ، لروحه شفافية الحزن ولعينيه براءة الأطفال موسى كتب قصة ولم يكملها . . قال لى سأعطيها لك لتكملي كتابتها لكنه لم يفعل . . ربما استطاع إكمالها بمفرده . . ربما لم يستطع . . ربما لم يجرؤ على تقديمها لى . . موسى لم يفعل . . لكننى لم أنسَ أنه قال ذلك . .

- 2 -

ضربوه بشدة كي يعترف بأنه « ماركسى »
ما خاف ولا جبن
تألقت عيناه
واعترف بأنه من اللجان الثورية
سقطوا كلهم وبقى « موسى » .

- 3 -

كانت الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً من ظهر ذلك اليوم . . أذكر أنه كان يوم « الإثنين » عندما دخلت « المثابة » كالعادة حين يقترب موعد حلقة النقاش . . لم يكن هناك أحد غير « موسى » كان مبتسماً وبسيطاً إلى الحد الذي دفعنى للابتسام بطريقة تلقائية . . ولكنه وجم لبرهة حين حييته قائلة :

مرحبا أيها الرفيق ، ثم ما لبث أن رد قائلاً : أهلاً **بصديقتى** الشقية وعندما بـدأ بقية الشبـاب يتوافـدون إلى المثـابـة **قلت** لمـوسى : كـان لعيسى حواريوه . ولمحمد صحابته . ولماركس رفاقه ونحن ؟

كان ذلك الإثنين شتائياً بارداً وممطراً جداً اختلط صوت موسى بصوت المطر حين قال دعينا نفتش فى تلابيب الذاكرة علنا نجد البديل بعد ذلك بأيام أو بأسابيع . . لا أذكر تماماً . . قلت له : ربما لن نجدها تلك الكلمة فاحتج قائلاً لكننا ما زلنا نحاول وكان ذلك اليوم شتائياً أيضاً بارداً وممطر جداً . .

- 4 -

عندما بكيت مرة وجعى وحزنى
وكان موسى شاهداً
أقسم أن يكتب لى قصة
يعنونها « بالطفلة الشقية »
لكنه لم يفعل
ربما خاف أن يقولوا عنه
(. . . . .)

- 5 -

أهدانى موسى رواية « غارودى » « من أكون فى اعتقادهم » وأهدانى شريط لفرقة الطريق العراقية قال لى يومها : هذه مجموعة أغنيات رائعة لمغنين منـاضلين . . صمت فجأة ثم دنـدن كلمات من إحـدى أغنيـات الفرقة :

« حبينا كل الورد . . والأكثر القداح
حبينا أحلى التمر والأكثر التفاح »[1] .

(1) مقاطع من أغنيات فرقة الطريق العراقية.

زفر بقوة ونظر إليّ قائلاً : إنهم يستخدمون التراث الموسيقى بشكل إبداعى ويوظفون كل شىء لصالح عقيدتهم ، هل يمكن أن يكون لنا فى يوم أن نغنى مثلهم للأخضر الطالع من قلب الرماد هل لنا ذلك يا صديقتى ؟ . . كان ذلك منذ فترة طويلة . . لكننى أتذكره بوضوح كلما امتلأت شقوق غرفتنا المتصدعة وامتلأت تجاويف الذاكرة بأغنية فرقة الطريق :

« أهون ألف مرة أن تطفئوا الشمس وأن تحبسو الرياح
أهون ألف مرة من أن تميتوا باجتهادكم وميض فكرة
وتحرفونا عن طريقنا الذى اخترناه قيد شعره »[1] .

كان ذلك يدفعنى وما زال إلى البكاء دون دموع وأتذكر أيضاً أنه يسألنى عما إذا كان بإمكاني البدء فى كتابة مجموعة قصائد صغيرة . . بكلمات بسيطة . . كى ننفخ فيها من روحنا ونتغنى بها جميعاً لذلك الأخضر الطالع من قلب الرماد .

- 6 -

لم يكن مزعجاً أن نخرج من « المثابة » دون اتفاق وجه موسى كان شاحباً وتقاطيعه متقلصة بعض الشىء . . عندما لفحه الهواء البارد همس قائلاً : كان جدالاً حاداً . . صمت ثم قال فجأة أليس من الرائع أن تحتفظ « الحركة » لكل منا ذاتيته ولا تجعل منا نسخاً مكررة . . فتحت للريح ذراعي كانت بى رغبة مجنونة أن يتوزع صوتى فى الاتجاهات الأربعة وأن تحمله الريح إلى كل مكان . !!

---

(1) مقاطع من أغنيات فرقة الطريق العراقية .

- 7 -

موسى . . صديقى . . لم أره منذ فترة طويلة . . وربما ستمضى مدة أخرى دون أن أراه ولكنى أذكر دائماً . . إن له روحاً شفافة كقطرة مطر وعينين بريئتين مبتسمتين دوماً وإن الذين احتجزوه يوماً سقطوا وإنه ظل واقفاً كالشجرة .

83 . 6 . 10

شرخ فى الذاكرة (*)

لمـاذا؟؟ تصلبت عضلات وجهـه.. زم شفتيـه بقـوة وصـرخ مـرة أخرى ! لمادا ؟ . . حدق بدهشة فى الجدار المواجه كأنه يرى تصدعاته للمرة الأولى . . بإعياء شديد أحس وانهار كتلة واحدة على الأرض . . اعتصر قلبه حزن عميق . . ماذا يمكننى أن أفعل ؟ .

رقم (1) : يعتصرك الحزن . . يقتلك العجز فى اللحظة مليون مرة .

رقم (2) : أكتب بصدق . . ارخ المرحلة . . كلهم يتقيأون الكذب .

عوى الكلب من الخارج/ هزت الريح أوراق الشجرة القريبـة من النافذة/ التصق بالجدار لسعته البرودة فابتعد/ سمع دوى الرصاص فاهتزت أعماقه/ إلى الأوراق أمامه نظر/ بصق عليها/ صرخ بقوة : لماذا ؟/كسر القلم بين يديه/اقترب من الجدار/ ضربه بقبضة يده/ التصق به : ماذا يمكننى أن أفعل ؟ بضعف قالها ، ارتخت يده وبكى . .

رقم (1) : أكتب . . ارخ المرحلة أو أخرج للريح .

رقم (2) : والأشجار العاشقة . . والعاصفة الهوجاء .

(*) نشرت بصحيفة « الجماهيرية » العدد 162 1 ناصر 1983 م .

ازدادت شقوق الجدار اتساعاً/ اقترب عواء الكلب/ اهتزت أوراق الشجرة بعنف ،/ أمسك بالأوراق أمامه/ انفجر ضاحكاً بصخب/ امتـزجت ضحكته بصوت الرصاص فيما بدأ الجدار فى الانهيار/ لم يلتفت إليه/ مزق الورقة الأولى قطعاً صغيرة/ رماها من النافذة فى وجه الريح/ بصق على الورقة الثانية وعلقها على قضبان النافذة تابع الجدار انهياره ببطء قاتل/ كوّم الأوراق ودفنها فى أرض الحجرة/ انفجر ضاحكاً مرة أخرى وغطى وجهه بيده . . / وقف وتأمل المكان/ بدأ يحفر فى الأرض فتحة كهيئة القبر . .

رقم (1) : لا يمكن أن تموت دون أن تقول شيئاً ! !

رقم (2) : اخرج للريح . .

رقم (1) : **لا يمكن أن تموت دون أن تكتب شيئاً!!**

رقم (2) : اكتب شيئاً ما . .

سقط آخر حجر فى الجدار/ وقف فى وسط الحجرة/ من جيبه أخرج مسدساً صغير الحجم نظر إليه للحظات ، ارتعشت يده لكنه تمالك نفسه/ أرهف سمعه لدوى الرصاص وعواء الكلب وزمجرة الريح/ رصـاصة . . إثنتان/ كآخر حجر فى الجدار سقط فى الحفرة فيما سقطت الورقة المعلقة على قضبان النافذة المقابلة . .

رقم (1) : شاعراً كان ولكن القصيدة يبست فى الذاكرة[1] .

رقم (2) : مهزوماً كان ؟؟

رقم (1) : قد يكون الأكثر جرأة وصدقاً .

رقم (2) : مهزوماً كان ؟ !

---

(1) من قصيدة « عازف الجيتار المتجول » لمحمود درويش .

رقم (1) : ليس له فى الأرض درب ، موطىء ، سقف ، سرير ، فاته حظ الأسير[1] .

رقم (2) : مهزوماً كان .

(1) من قصيدة خليل حاوى بلاد الغربتين .

الجدار الآخر (*)

وقف أمام المرآة . . استخدم عضلات وجهه للتعبير عن كل الحالات الشعورية التى يمر بها الإنسان . . ابتسم . . غضب . . حزن حتى بكي ثم صرخ فى المرآة : لماذا يحتجزوننى فى هذا المكان . . لست مجنوناً . . أعرف نفسى لست مجنوناً أيتها المرآة البليدة . . كوّر يده اليمنى وضربها بقوة تساقطت شظايا الزجاج وسال دم قانٍ من يده التفت إلى شخص ما يقف مستنداً إلى الحائط أنت لا تعرفنى سأله بحزن مشوب بقلق . . لم يجب الشخص . . ولا أنا أعرفك ، تنهد وأكمل : « لكننى أعرف نفسى » أنظر : واحد . . إثنان . . ثلاثة . . أليس هذا العدد صحيحاً . . لم أقل شيئاً خطأً . . فقط قلت لهم إن دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس هو سبب تعاقب الليل والنهار . . وإن درجة الحرارة عند خط الاستواء مرتفعة إلى الحد الذى لا تحتمله بشراتهم الرقيقة . . أخبرتهم أيضاً أن هناك شيئاً اسمه زاوية قائمة وأنها تساوى 90 درجة لكنهم أصروا على أن هناك زوايا منفرجة فقط . . واحتجزونى عندما قلت لهم أن الطلقة طريق الحرية وإن الحرية تساوى الحب . . وإن الفقراء مهيؤون للانفجار فى كل الأوقات . . دون تحديد . . نظر إلى الشخص أمامه مترقباً ردة فعله . . ظل الشخص صامتاً . . محدقاً فى شظايا الزجاج . . وفى الدم المتناثر . . قلت لهم ذلك ولم يصدقونى دار فى فراغ الممر حول نفسه . . هكذا تدور الأرض حول

(*) نشرت بصحيفة الجماهيرية 8 . 7 . 83

نفسها . . لتُصيغ شكل الليل والنهار . . وقف أمام الحـائط . . بأصبعـه الدامى كتب :

ــ الحب فى درجات الحرارة المرتفعة .

ــ القادمون فى القصور باردون حتى درجة الصقيع .

ــ لا تسكنوا قصوراً كى تعشقوا الخيانة[1] .

ــ الفقراء خارجون على قانون السادة .

ــ الفقراء مهيؤون للحب/ الحب يساوى رصاصة/ وأنا قابل لكل الاحتمالات القاتلة .

ــ هيه أنت !! جاءه الصوت فالتفت مسرعاً .

ــ أنا موسولينى وهتلر . . قال الشخص المستند إلى الحائط مشيراً إلى صدره .

ــ معاً ؟ سأله بدهشة .

ــ أنا الحاكم . . صمت الشخص لحظة ثم تدريجياً بدأ يزداد التصاقاً بالجـدار . . يتحسس الجدار بأصبعه وينكمش أكثر . . بصوت أقرب إلى البكاء سأله الشخص :

ــ أنت أيضاً قالوا لك مجنون ؟ بحدة أجابه : لست مجنوناً وأنا أعقل من أعقلهم .

بصوت باكٍ قال الشخص : لقد قتلونى مئة مرة ، أنظر إننى ميت . . ميت تماماً **وإلههم** لا يعرف الرحمة . . **إلههم** لم يكن رحيماً أبداً . . لم يكن .

بإصبعه ضغط على الجدار : لست الحاكم . . لـو أننى . . لكنهم قتلونى . . ما الفائدة . . الموتى لا يفعلون . . الموتى لا يتكلمون والموتى

---

(1) من إحدى أغانى خالد الهبر .

صامتون كهذا الجدار قالها الشخص بصوته الباكى وعيناه تتطلعان صوب النافذة المغلقة .

كل شىء باطل الأباطيل وقبض الريح[1] لا شىء يبقى لهم . . كررها ثلاثاً . شخص قادم من الممر المظلم المقابل لهما . . ودار حول نفسه ورتل : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة »[2] دار ثانية ورتل « اعدلوا فهو خير لكم »[3] كرر ترتيله واندفع باتجاه الممر الآخر . . حدق فيه بقوة قال له الشخص وهو يشير إلى المرتل المندفع : قتيل آخر .

لقانونهم أنياب حادة رد عليه مشيراً بحركة يديه إلى ما وراء الباب الموصد فى نهاية الممر . . تقدم نحو الباب . . ركله بقوة بقدمه . . فلم يهتز صرخ بقوة : لست مجنوناً . كرر ركله للباب . عاد للوراء خطوات . . أعقل من أعقلهم قالها للخارجين من الممرات المظلمة والمحدقين بذهول وعيون تعبة أعقل من أعقلهم . . رددها شاملاً بحركة يده الدائـرية كـل المجموعة أمامه « لكنهم موتى » قال الشخص بصوته الباكى .

ــ أعقل من أعقلهم . . رددها غير مهتم بالشخص . . فى أعينهم نظر بقوة وللجدران والممرات الرطبة حد العفونة أشار بأصابعه العشرة . . لوجوههم الشاحبة حد الموت . . وللأيدى المعروقة النحيلة . . للدم المتناثر من يده وللنافذة المعلقة . . ولشظايا الزجاج اللامع فوق الأرضية القذرة . .

للجدران التفت راسماً بأصبعه الدامى زهرة وشمساً وقنبلة فى أوج التفجر للباب الموصد اتجه . . فانكمشوا . . سار خطوة أخرى فحدقوا بدهشة . . سار خطوة أخرى فانتفضوا . . سار خطوة أخرى فتحركوا باتجاهه ساروا خطوات فحاذوه . . للباب الموصد اتجهوا فيما رد أحدهم « لا شىء يبقى لهم لا شىء يبقى لهم » .

---

(1) من الإنجيل .

(2) آية من القرآن الكريم .

(3) آية من القرآن الكريم.

رحيل نحو الخلاص

- **تأهل :**

كان الصوت مزيجاً من الحلم والدهشة .؟ كان مختلفاً إلى درجة غير عادية . . رددت ذاكرتها كلماته بعفوية . . اختلط صوته فى الذاكرة بمنظر عينيه الحزينتين فى الصورة . كانت فيهما ومضات جريئة وثائرة وكان صوته فى الذاكرة يهتف لها ونحن الذين نحمل الموت فى أكفنا ولا نمل التطواف حول قصور الأغنياء هاتفين بسقوطهم.

عيناه تضجان برغبة محمومة لعمل شىء ما نحن : أنا وأنت وهم ، ولكن صوته خالطه فجأة الفتور ، ونظر إلى « العود » فى يـده وتنهد . . رددت شفتاه لحناً عنيفاً . لم يكن لها أكثر من ذلك : صوت وصورة ولحن عنيف .

- **استدراج :**

السلطان : أين المغنى ؟ صرخ فى وجه وزيره الذاهل .

وأضاف : لماذا لم يأت اليوم ؟ اذهب وأحضره فى الحال .

- **منظر جانبى :**

ارتعشت يداه . . انطلقت الأوتار باللحن العنيف . . كان يحدق فى

رفاقه خدم القصر ، وكان خدم القصر يحدقون فيه بدهشة . . ازداد اللحن عنفاً . . قام آخر ، وبدأ يهز جسمه فى حركات غير متناسقة . ومضت عينا المغنى ببريق مخيف وغنى : (بعد اليوم لن أغنى للسلطان) انتشرت فى الجو رائحة عرق نافذة وبدأت الساحة تهتز ببطء تحت وقع الأقدام الحافية ، تشابكت الأيادى المعروقة وبدأت الخطوات تأخذ طابعاً منتظماً يتناسق مع اللحن .

انسل من بين الوجوه الشاحبة وجه كالح . . لم ينتبه إليه أحد . . ركض كالمجنون صوب القصر قام الوزير صارخاً بحدة فى وجه رئيس الخدم :

ـ أنا لا أريد أن أفهم شيئاً . . أنا أريد المغنى !

وأضاف :

ـ لا بد أن يغنى كالمعتاد عندما يبدأ مولانا السلطان فى تناول طعامه . . هيا بسرعة !!

هرول رئيس الخدم ، وانسحب أمام الوزير ، ناسياً أن ينحنى للتحية كالمعتاد . . بعد برهة حضر ثم قال :

ـ سيدى الوزير : لقد رأيتهم ، لقد كان المغنى لهم !

- **منظر جانبى :**

وصل رئيس الخدم إلى غرفتها وصاح بها :

ـ ما الذى تنتظرينه يا جارية السوء ؟ استعدى لاستقبال مولاى السلطان هذه الليلة !!

نظرت إليه نظرة بغيضة ، وقالت ببرود :

ـ نعم يا سيدى ، جارية السوء على أتم استعداد لاستقبال السلطان

نظرت بأسى إلى الصورة ، ورددت شفتاها لحناً عنيفاً . . ضغطت بقوة على خنجر صغير ، ووضعته تحت وسادتها ، نظرت إلى المرآة وهمست : أنا على أتم استعداد ،وضمت الصورة إلى صدرها .

- **المعاناة :**

ـ إننى أحبكم يا رفاقى ، وأحب هذا العود ، لكنى بعد اليوم لن أغنى للسلطان سأغنى لكم . . سأغنى للإنسان فيكم . . هيا يا رفاقى . . دعونا نطوف .

ـ نغنى للأطفال والمحبة .

يبدأ الحشد فى المسير وتتشابك الأيدى ويبدأ الرقص . . آه تجتر ذاكرته صورة محبوبته ، .يهذى كالمحموم ، ستـزف الليلة إلى السلطان . . وستضم إلى حشد الجوارى . . يـزداد ضغط أصابعـه على الأوتار ويعلو اللحن يحملق فى الأيدى المتشابكة ، وحركات الأقدام النحيلة (لا يختلف رقص المذبوح عن رقص المسرور إلا فى طريقة التعبير وما عدا ذلك فالكل اهتزاز) .

ينضم إلى الحشد عدد كبير من الأطفال . . تعجبهم حركات الأقدام فيحاولون تقليدها يجدون الأمر ممتعاً وسرعان ما يندمجون مع الحشد . . ينشدون معهم بأصواتهم الحادة المميزة .

فى حضرة السلطان
لا يوجد الأمان
يغتصب الحنان
ويقتل الإنسان
فى الإنسان

يخرج من أحد الأكواخ طفل صغير . ينظر إليهم بدهشة . . تلدغه

لفظة (السلطان) يتذكر أنه سمع أمه الليلة الماضية تلعن السلطان ، يحس بدموعه تجرى حادة على خديه ، أخذ جنود السلطان أختى وهذا يعنى أنها لن تعود إلينا. . لقد قالت أمه ذلك ينتبه فجأة عندما يرى المغنى وسط الحشد.

ــ لا بد أن أذهب معهم .

جرى مسرعاً وانضم إلى الركب .

• **الخلاص :**

الوزير : مولاى السلطان : ألا يبدو غناء هذا المغنى الجديد رائعاً ؟

يهز السلطان رأسه دون أن يتكلم ، تلوح على شفتيه ابتسامة ، ينظر إلى الوزير نظرة ذات معنى : هل كل شيء على ما يرام ؟

يضحك الوزير بوقاحة ، ويهز رأسه موافقاً قائلاً :

ــ إنها على أتم الاستعداد لاستقبال مولاى السلطان!!

ــ ينهض السلطان وهو يفرك يديه بابتهاج ويتخذ طريقه عبر ممر طويل . . يلاحظ غياب عدد كبير من الحراس . . يسأل وزيره بدهشة . . يبتسم الوزير ابتسامة شاحبة قائلاً :

ــ لا تشغل تفكيرك بمثل هذا الأمر لقد أمرتهم بتنفيذ بعض المهام . . والآن أستأذنك لأن لدى بعض الأمور التى يجب أن أنجزها . يتراجع الوزير ، ويمضى السلطان إلى حجرة فى أقصى الممر وهو يقول لنفسه : أرجو ألا تكون باردة الطباع كالجارية السابقة .

تناهت إلى مسمعه أصوات بعيدة لكنه تجاهلها. . يدخل إلى الحجرة . تزداد الأصوات اقتراباً تحيط بالقصر أقدام نحيلة حافية . . يرتفع لحن عنيف تزداد الأصوات اقتراباً ممزوجة بأصوات الأطفال . . من بينها

صوت مميز لطفل دامع العينين .. يزداد الوزير عصبية وهو يأمر الحراس بسد منافذ القصر وإغلاقها بإحكام .. يقتـرب السلطان من الفتاة .. لا تتحرك .. يزداد اقتراباً منها وهو فى حالة ابتهاج عارمة .. تمتد يدها خلسة إلى الوسادة .

ـ حانت اللحظة . قالتها لنفسها بشجاعة نهضت ممسكة بالخنجر خلف ظهرها ابتسمت له ابتسامة رائعة ، تناهت إليهما أصوات عنيفة هادرة ، يضطرب السلطان ويلتفت غاضباً ، تنتهز الفرصة وتطعنه فى العنق .

تصيب الحجارة نافذة الغرفة ، تقترب من النافذة تشاهد حشداً هادراً ، ترفع الخنجر إلى أعلى وتلوّح به لهم وتبدأ شفتاها فى ترديد لحن عنيف .

1982 م .

عودة

دفع بالكأس الثالثة إلى جوفه وضرب بقاعدة الكأس الفارغة المنضدة التى يقف وراءها صاحب البار ، بحث فى جيوبه عن بقايا (بنسات) رماها له وخرج وهو يتحسس طعم الخمرة الرديئة فى فمه . بصق على الأرض بقوة قائلاً فى غمغمة غير واضحة : لعنة الله عليه وعلى خمرته الرديئة . . وضع يديه فى جيوب معطفه البالى عندما شعر بلفحة هواء باردة تصدم وجهه وتثير فى جسده القشعريرة ، سار بخطوات بطيئة فى طريق مألوفة . . تعودت قدماه أن تسيرها وبطريقة تلقائية وصلت به إلى محل تجارى عتيق يقف بهيكله المتداعى كشيخ فى آخر العمر ، توقف أمامه واختار إحدى الزوايا القريبة منه مستنداً بكتفيه على الجدار متأملاً الزبائن الداخلين والخارجين من المتجر . . هبت لفحة هواء باردة شعر معها بانكماش فى جسده ، فازداد التصاقاً بالجدار مرت أمامه فتاة جميلة تابعها بنظراته الجائعة حتى غابت عن عينيه وفى الطريق التقطت عيناه صورة لفتاة مقبلة نحو المتجر . . تفحصها بانتباه . . اقترب من المتجر . . ركز نظراته على عينيها ، خيل إليه أنه يعرف تلك العيون آه . . ذات اللون والاتساع . . ولكن أين ؟ هو . . لا يتذكر . . يعتقد ذاكرته تخون ، يرسم ابتسامة لا معنى لها على شفتيه . . تقترب الفتاة أكثر . . يدرك بسهولة أن لها ملامح عربية . . وتلك العيون . . تتحول ابتسامته من اللامعنى إلى معنى أحسه فى أعماقه ، تقدم إليها ناظراً مباشرة فى عينيها يحاول التذكر تخونه الذاكرة ترسم له تقاطيع لطيف بعيد . . بعيد ، يتلاشى الطيف وتبقى ابتسامة الفتاة أمامه فى البؤرة . .

صاحت فى فرح : عربى ؟ !

أجاب بنفس النبرة : وأنت عربية !!

ــ لم أكن أظن أننى سأجد أى شخص عربى فى هذه القرية النائية ؟ ! هز كتفيه باستسلام قائلاً : إنها الظروف .. وأنت ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

ــ جئت أزور أخى في مدينة (...) القريبة من هنا .. تعرفها طبعاً ! ! وقد جئنا إلى هنا معاً للتنزه ونحن ننزل بذلك الفندق الصغير هناك وأنت ؟.

ــ أنا ؟ .. آه .. ليس لى مكان محدد .. دعينا من ذلك .. إننى سعيد بوجودك هنا .. منذ أمد طويل لم أر وجهاً عربياً ..

ــ أنت هنا منذ زمن طويل ؟

ــ نعم .. نعم .. منذ ثلاث سنوات ..

ــ ثلاث سنوات ألا تود الرجوع ؟

ــ لم أفكر بذلك .. يا إلهى قد رأيت هذه العيون من قبل .. أين ؟ أين .. ؟ تخرجه من صمته بسؤال أربكه : ألا تحن لوطنك وأهلك وأصدقائك ؟

ــ أهلى . أصدقائى .؟ وطنى ؟؟ آه إنها هى .. هى هذه العيون تشبهها تشبه عيون نزيهة .. تشبهها .. أقسم أنها تشبهها .. عصف به دوار مفاجىء .. ترنح فى وقفته .. أمسك رأسه بكلتا يديه سنتان .. ؟ مدة طويلة يا أحمد قد تنسانى ؟

ــ أنا أنساك يا نزيهة ؟ أنا ؟ أنت فى أعماقى .. سأكمل دراستى وأعود إليك .. ثم إننى لن أنقطع عن مكاتبتك ..

ــ أنا خائفة يا أحمد .

ــ لا . . لا تخافى سأعود .

شعر بشىء ينتفض فى أعماقه . . لقد نسى . . لقد نسى . . نظر للفتاة الواقفة أمامه . . لم يرها . . شعر بغمامة كثيفة تحجب عن عينيه الرؤية نبهته إليها بحركة من يدها لكنه أسرع مهرَولاً من أمامها . . هزت كتفيها فى لا مبالاة ودخلت المتجر . .

1980 م .

تألق

- 1 -

سناء . . سناء . .

نقى اسمها . . نقى وجهها . . هى سناء العصفور الذى يغرد دوماً ولا يتوقف إلا عندما يحمر وجهها خجلاً حين يهمس لها سالم : يا عصفورتى الصغيرة .

ــ كان ذلك قريباً من همس نيرودا لحبيبته ماتيلدا.

ماتيلدا إسم نبتة أو حجر أو نبيذ وسناء إسم عصفور أو قطرة مطر صافية أو دمعة حب صادقة .

ماتيلدا إسم ما ولد من الأرض وما يبقى ، كلمة ترعرعت فأوقدت مولد الضوء[1] . . وسناء إسم شفاف لنفس شفافة . . نمت فى قلب الضوء أو فى قلب سالم المفعم بكل الأحاسيس النبيلة . . ماتيلدا أو سناء سالم أو نيرودا الحبيبان الصغيران يصبحان رغيفاً واحداً . . يخلفان لدى سيرهما ظلين يتحدان[2]

---

(1)مقطع من القصيدة الثالثة والأربعين لنيرودا.

(2) مقطع من القصيدة الثامنة والأربعين لنيرودا.

- 2 -

قالت لى سناء يوماً . . أحب سالم لأنه حفظ قلبه . . قلب الولـد الفقير . . كانت متألقة ذلك اليوم . . تشع من فرحتها . . تنساب بتلقائية كمياه المتوسط فى يوم هادىء ذلك اليوم امتدت خيوط غير مرئية شدت قلبى إلى قلبها . . قلب البنت الفقيرة الصادق برباط لا ينفصم. . ذلك اليوم الذى أعلنت فيه سناء أنها لن تخون الفقراء أبداً . . لن تحب برجوازياً بليداً . .

ذلك اليوم الذى أعلنت فيه سناء أنها تسلم قلبها للولد الفقيـر . . لسالم المتعب .

ماتيلدا أو سناء .

إنك لحسن الحظ تجمعين فى اضطراب الجو وهيجانه .
حيوات البحر والنار .
والتأرجح الرمادى لسفينـة الشتاء .
والشكل الذى يطبعه الحب على القيثارة[1] .

- 3 -

لم أكن أعرف سناء جيداً . . بدأت السنة والفصل كانت تدرس معى لكنهـا كانت ضبـابية مبهمـة وبعيدة . . عنـدما أحبهـا سـالم ابتعـد عنـا قليلاً ـ نحن رفاقه فى الحركة ـ قال عنه أحد الأصدقاء إنه يمارس الثورة بمزاج . . يدخل المثابة حين يكون مزاجه رائقاً ولا يأتى حين تكون نفسيته مأزومة . . قال صديق آخر ! دعوه يمارس العشق على طريقته . . سالم كان صديقاً حميماً لى . . وعلاقتى به كانت متينة . . عندما أحب سناء ابتعد

(1) مقطع من القصيدة الثامنة والثمانين لنيرودا.

عنى .. لكنه بعد مدة عاد كعادته .. حزيناً كعادته .. مفعماً بكل الأحاسيس النبيلة كعادته دائماً .. لكنه فى هذه المرة عاد إلى المثابة مصطحباً معه سناً .. كعضو جديد فى الحركة .. ولم تكن ذات فعالية كبيرة ببساطة كان يمكننى قول ذلك .. ولكن يكفى أننى حين أراها فى المثابة تفكر بقلق .. أو تتحدث بانطلاق وفرح طفولى .. أشعر أن قلب العالم ليس ممتلئاً بما هو سىء وأن هناك فسحة كبيرة لضوء الحب كى يضىء العتمة ..

ماتيلدا أو سناء سالم أو نيرودا
الحبيبان الصغيران يصبحان رغيفاً واحداً
يخلفان لدى سيرهما ظلين يتحدان.

شعور عظيم بأن العالم سيكون أفضل كلما رأيت سالم وسناء يتجولان معاً .. يتهامسان معاً ... يبتسمان معاً .. ويفتحان قلبيهما للعشق الأزلى أو للصحو المنعش .. أو للمساءات الهادئة .

عندما تكون الجامعة كأجمل ما يمكن ولأيام الشتاء التى تغرى بالتقارب والدفء أو اللقاء اليومى المعتاد فى المثابة بعد انتهاء المحاضرات . وأذكر جيداً يوم جاء سالم بسناء للمرة الأولى إلى المثابة قلت لصديقى وفى عينى فرح المنتصر لقد انتصر سالم على ثقافتنا المتخلفة .. إنه النقاء الثورى نمارسه فى أخص خصوصياتنا .

سالم .. سالم .

يعشعش فى عينى سالم حزن قديم .. ربما ورثه عن أبيه .. عامل الميناء الفقير أو عن أمه المريضة المتعبة أو ربما هو حزن الفقراء الشفاف الذى لا يمحى يمنح النفس رؤ ية واضحة للعالم ونقاء لا حد له .. حزن قديم كان يتجدد فى عينى سالم كل صباح .. كلما أتى من المنزل كالقادم من معركة شرسة .. ربما كنا لسالم .. نحن رفاقه فى الحركة الثورية .. ربما كنا سلوى أو عزاء كان يخرج من دوامة حزنه الذاتى ليغرق فى أحزاننا

نحن . . فى يومياتنا . . فى هموم العمل الثورى . . ربما كان ذلك عزاءً له وسلوى غير أن روحه كانت تهفو للتوحد والانصهار . . ذلك التوأم المنشود كانت سناء الضحكة الصافية الطاغية دوماً والفرح الطفولى المتألق . . الذى ينتشل سالم من حزنه القديم المتجدد كل صباح .

سناء وسالم . . ماتيلدا أو نيرودا . . الحبيبان الصغيران . . يصبحان رغيفاً واحداً . . يخلفان لدى سيرهما ظلين يتحدان.

من هنا تبدأ الخارطة

1 - مطر وغربة :

أتذكر يا صديقتى أننى عندما كنت صغيراً ، طلب مدرس اللغة العربية أن يكتب كل منا موضوعاً يصف فيه بيته وحين عدت إلى البيت تفحصته بإمعان . فى البداية شعرت بخجل شديد ، فلم يكن بيتنا أكثر من كوخ صفيح متهالك ولم يكن بإمكانى أن أكتب أننى وأبى وأمى ننام فى حجرة واحدة . . بعدها شعرت بإحساس عارم يجتاحنى فمزقت الكراس ، وفكرت بأننى « لو كنت أطول من الأستاذ لصفعته على سخافته » . . ازداد صوت زخات المطر فى الخارج، شعرت برجفة تجتاحها عندما دوى صوت الرعد . . اهتزت نافذة الغرفة فقامت تنظر للمطر المتساقط على الأشجار . « إحساس الإنسان المرتجف من البرد تحت المطر غير إحساسه وهو يرقب المطر من خلف النافذة » همست لنفسها ، وتذكرت أنه كتب لها فى آخر رسائله « هنا كل شىء يوحى بالبؤس . . كل شىء مفعم بالمادية . . أنت تعرفين جيداً معنى أن يظل الإنسان جائعاً مدة يومين بإحدى المحطات المهجورة» . . ضمت يديها إلى صدرها بطريقة عفوية . . . يا الله هى لا تدرى لماذا تتذكره دائماً وبشدة كلما هطل المطر وازداد البرد . .

2 - رسالة وقصة :

امتدت الورقة بيضاء ناصعة أمام ناظريها . . بحثت بيدها عن قلم فى

حين بدأ عقلها فى تنظيم أفكارها . . أضجرتها فكرة التنظيم . . الأشياء العفوية دائماً أكثر صدقاً . . قالت وهى تخط أولى كلماتها له . . « إننى أشعر دائماً بحب لهذه الأرض . . والشتاء يزيدنى تعلقاً بها . . الفقراء لاينتمون إلا للأرض . . إنها قضيتنا التى لن نخون . . توقفت عن الكتابة فجأة عندما طرق سمعها لحن لأغنية تحبها . . هذه الأغنية . . كتبت إليه . . تذكرنى دائماً بالقصر الذى تسكنه إحدى زميلاتى وتذكرنى بأبيها ذى الوجه المنتفخ كديك رومى . . هذه الأغنية تزيدنى رغبة وتطلعاً لشنق صاحب القصر برباط عنقه المستلقى على كرشه البارز كامرأة حامل فى الشهر الأخير . .

ـ لماذا هو هكذا؟ سألنى أخى الصغير يوماً . . عندما كنا نمرّ أمام صاحب القصر . . « أترى لماذا أنت نحيف وكل ابناء الجيران ؟ » هز الصغير رأسه كمن لا يعرف « لأن هذا يسرق طعامكم وبخبئه فى بطنه المتدلية أمامه » أجبت الصغير فانطلق يحدث أولاد الجيران عن اللص الذى يركب « البى . أم » ويسكن القصر الكبير .

3 ـ رفض وأغنية :

« إن الأشياء هناك تأخذ طابعاً مختلفاً تماماً . . نحن لسنا سوى شعب متخلف . . انتبهت إلى حديث الدكتور ثم نظرت إلى ساعتها ، مضت نصف ساعة وهذا الدكتور الأبله لم يدخل بعد فى موضوع المحاضرة ، همس أحد زملائها/ نعم صدقونى الأشياء هناك فى بلادهم تأخذ شكلاً مختلفاً . . إنهم هناك يملكون من رقة الإحساس والذوق ما يشعرنا نحن القادمين من هذا العالم المتخلف بالذهول والحيرة/ شعرت بأن حرارتها ترتفع مع كل كلمة يقولها الدكتور . . همس زميلها المجاور لها : إهدئى ينبغى أن تعلمى أننى أحمل هذه المادة معى منذ العام الماضى لأننى وقفت

مرة أمامه وطلبت منه أن يكف عن التغزل فى تلك البلاد البعيدة التى درس بها يوماً . . قلت له أشياء كثيرة عن الوطن والانتماء . . يومها غضب وطردنى . . وبعدها وجدت إسمى ضمن المتخلفين فى مادته/ صدقونى قال الدكتور ثانية . . ونظرت هى إلى باقى زملائها فى القاعة . . بدأت فى جمع كتبها ، فبدأ الجميع يفعل مثلها . . وقفت ودون أن تلقى نظرة واحدة على الدكتور اندفعت خارجة من القاعة ، كانت الريح فى الخارج مشبعة برائحة الأرض . . « للرفض أشكال كثيرة » قال أحد زملائها المندفعين من القاعة صوب الريح والشمس ، ابتسم آخر وقال « لكن الغاية واحدة فى النهاية » تطايرت خصلات شعرها المتناثر فى فوضى . . عبرت أحد الممرات . . قبل أن تدخل المكتب المقابل تمنت من أعماقها أن تجد رسالة فى صندوق الرسائل وعندما قرأت اسمها على الظرف دق قلبها بعنف كأنها تستلم الرسالة الأولى فى حياتها . . عندما أرادت فتح الرسالة دخل أحد عمال التنظيف إلى المكتب . . تعلقت عيناها بوجهه الملىء بالتجاعيد كخارطة الوطن الممزق . . كانت هناك ملامح طفولية جد بريئة وحزينة ترتسم على وجه العامل المجعد كم يبلغ من العمر ؟ حاولت فى ذهنها تقدير ذلك . . ابتسم لها ابتسامة ودودة فابتسمت له بدأ فى تنظيف المكتب . . تذكرت الرسالة . . لبضع دقائق راودها شعور غريب . . هى لا تدرى لماذا تربط بين وجه العامل أمامها وبين قصة كتبها لها صديقها المهاجر فى رسالة سابقة . . حدثها عن طفل . . حزن الغابات بعينيه الواسعتين حملته المأساة إلى قمتها . . فمد يده المرتجفة كورقة . . ومر على كل الركاب فقرأوا تاريخ المأساة . «أبلغ من العمر 12 سنة . . رفض أرباب العمل تشغيلى لأننى ما زلت طفلاً . . فى المنزل أسرة تتكون من أربعة أشخاص فى انتظارى . . أبى فى المستشفى ليس لدينا ما نأكل لأن والدتى لا تعمل وأنا كبير اخوتى . . » من عينيه ينزف البؤس . . كتب لها . . وجهه . . عالم ثالث مهاجر يئن من شقاوة عالم متحضر . . عالم يأكله الضياع . . فى ذاكرتها ترددت كلمات أغنية تحبها . . « سأحدثكم عن أيمن . . عن قمر تشتبك الأشجار على دمه المنسى . . فيسقط فى النسيان . . وحدثتها الأغنية

أيضاً عن « الطفـل الذى ركض خلف فـراشته وعن الخنجـر فى أقصى الوديان»[1].

ـ ما بك يا بنتى ؟ سألها العامل ذو الوجه المجعد كخارطة الوطن الممزّق . .

ـ لا شىء . . همست . . سوى أن الأغنية تشبه ذلك الطفل . . أو أنـه الطفـل وأيمن يشبهانـك ، فتحت الرسـالة التهمت الحـروف بعينيها « لتذهب الدراسة إلى الجحيم سأعود قريباً . . لا قدرة لى على البقاء فى عالم تأكله القذارة » . . كل الأشياء تعود إلى المنبع . . » تنفست بعمق وابتسمت . .

عودة وبداية :

ها أنت أيها الطائر المهاجر تعود عبر البحر إلى الأرض التى تحب . .

ـ من هنا تبدأ الخارطة . . سنكون رفيقين على طول المدى . .

هل يحق للفقراء أن يحبوا ؟ بحزن قالتها وتطلعت نحو السماء . . حيث تجمعت الغيوم الواعدة .

ـ لا يا صغيرتى حين يبدأ فعل الفقراء يعيد التاريخ صياغة أحداثه من جديد . .

(لماذا يتـزوج الفقراء ؟ ألكى ينجبوا المزيد من الفقراء ؟)

ـ أترين يا صـديقتى . . حين يكثر الفقـراء يحاصـرون القصر . .

---

(1) مقطع أغنية مرسيل خليفة « سأحدثكم عن أيمن » .

ويخنقون صاحبه برباط عنقه . . أو بأيديهم المعروقة النحيلة/ بمزيد من الترقب نظرت إلى عينيه/ رأت فيهما الطفل البائس وأيمن وعامل التنظيف وكل سكان الأحياء المنزوية المنسية من ذاكـرة المترفين/ معـاً سارا فى الطريق/ معاً رددا: « البدايات هم ، النهايات هم »/ ومعاً استقبلا أولى قطرات الغيوم الواعدة .

اغتصاب

حاصرها فى زاوية من الغرفة الضيقة فرفعت عينيها محدقة فيه باندهاش فتح ذراعيه واستند بكلتا يديه على الجدار مائلاً نحوها .

ـ الجدار من ورائى والعدو أمامى ، ابتسمت فى سخرية .

ويزعجنى أيضاً استغلالك لكل الأوقات والظروف المناسب منها وغير المناسب . أضافت وهى تراقب عن كثب تغير تعابير وجهه وتقلبها بين الرجاء وبين القسوة .

ـ أحبكِ .

ـ أووه . . اسطوانة مملة ومشروخة من كثرة الاستعمال ، نظرت فى عينيه بقوة وحاولت الإفلات من الدائرة فزاد ضغط يديه على الجدار واقترب بجسده أكثر .

ـ أريدكِ .

ـ هذا تعبير سليم . . أنت ترغب . . تشتهى ولكن لا تحب . أتعرف لماذا ؟ ذاتك مصابة بالنرجسية ووهم دائم يسيطر عليك بإخضاع كل نساء الأرض . .

ـ كلا . . ليس هكذا . . ولكن حتى لو افترضنا ذلك ألا أستحق .

ـ حاول إذاً أن تختار . . فى المرات القادمة من توافقك على ذلك .

ـ اختارك أنتِ .

شعرت باشمئزاز من الحوار ومنه لكنها ردت بسرعة .

ـ وأنا لا أختارك . . وأضافت باستهزاء : أيخضع اختيارك لمقاييس العقل أم الجسد ؟

ـ مقاييس العقل ؟ . . هاها . . وماذا أفعل بعقلك . . أريد امرأة وليس كتاباً هل سمعت برجل يتغزل فى كتاب ؟ . . ينام مع كتاب ؟ . . اسمعى أنا أشتهى امرأة حارة متدفقة يلغى وجودى تفكيرها . . وتذوب فىّ .

ـ وفى مقابل ذلك تتحول إلى حيوان .

ـ أووه يا صغيرتى الحمقاء . . مثل هذه الأمور لا تُفلسف . . الحديث عنها مجرد عبث تعالى هى لحظات ممتعة قد تساوى سنيناً بحالها .

ـ أنت مدمن اغتصاب . . تثير فىّ رغبة حادة فى التقيؤ . . أكرهك . . دفعته بكلتا يديها فزاد تصلباً . .

ـ أحبكِ .

ـ أكرهك .

ـ حسناً لنتفاهم بشكل منطقى . . لا أجد رغبة فى هذا الشىء . . أعنى لا أشعر بحاجتى إليه . . ابحث عنه عند أخرى لا ترفض .

ـ أنتِ .

ما يؤسفنى أن صورتك الأولى فى ذهنى قد سقطت فى الوحل .

ـ ستنسين ذلك مجرد أن نبدأ . . تعالى .

مد يده وأمسك بيدها/ صرخت: أرفض ذلك/ اندفعت إلى الأمام محاولة الخروج فصدّها/ ارتدت للوراء فصدمها الجدار/ فتح ذراعيـه ليطوقهـا/ صفعته بقوةفارتبك لحظة ثم تحجرت ملامح وجهه/ سقطت صورته من خلف المكتب حين انفتحت النافذة فجأة بفعل الريح/ نقلت الريح صوت شاحنة تمر/ طوقت يداه عنقها/ فكرت لحظتها بأنها قد تموت فانتفضت بشدة وركلته برجلها/ ازداد ضغط أصابعه على عنقها/ شعرت أنها تموت/ فى حشرجتها قالت ، كلا/ .

ــ قولى أحبك . . ستقولينها/ حين انهار جسدها على الأرض وتسرب من أنفها خيط رفيع من دم قانٍ/ ضحك بشكل هستيرى غمس أصبعه فى الدم وكتب على الجدار : أحبكِ جداً .

خط مستقيم

دارت بذهنها أفكار عديدة .. شدتها إحداها فتناولت قلماً وخطت على الورقة أمامها خطوطاً لم تتخذ بدءاً أى شكل له معنى .. « لو أننى أستطيع أن أرسم ما يدور فى ذهنى » .. بدا لها أنه من المحنق أن تقف عاجزة عن نقل منظر كامل رسمته مشاعرها .. ضغطت على القلم بشدة وبقيت لحظات جالت فيهما بعينيها على الورقة البيضاء « ينبغى أن أفعل شيئاً » اختلطت أفكارها بضجيج الأطفال فى الشارع .. ابتسمت عندما تذكرت مزرعتهم القديمة وصوتها الطفولى مختلطاً بأصوات أطفال الجيران الباحثين عن الفراشات ..

– ينبغى أن أفعل شيئاً ما .. أعادت ضغط أصابعها على القلم وأصوات السيارات المارة ممتزجاً بصوت « الراديو » بجوارها إلى عينيها منظر الورقة أمامها .. آه .. افتقد التركيز هذه الأيام .. والأمور مختلطة فى ذهنى بشكل غريب .. خطت على الورقة خطوطاً متقطعة .. أوحت بأنها تقاطيع لوجه مألوف ذى ابتسامة طفولية .. أكملت رسم الوجه والعنق وتحت العنق رسمت شجرة عميقة الجذور .. وشمعة من بدء الاشتعال.. ثم أحاطت الرسم بإطار حاولت قدر جهدها أن يقترب من شكل الإطار المعلق أمامها فى الغرفة .. تنهدت باستسلام وهمست : من المؤسف أننى أقف دائماً بعد رسم العنق . ليت لدى الموهبة الكاملة لأكمل الصورة .. أخذت

الورقة بين يديها . . تأملتها ملياً . . أبعدتها ثم قربتها وقلبت شفتيها فى سخرية : لا بأس . . إنها خربشات موفقة بعض الشىء . . لكن ليس إلى حد ادعاء الموهبة . . علا رنين جرس الهاتف فانتفضت من الخوف . . جاءها صوته الهادىء المميز بنبراته الحزينة . . ابتسم كل شىء فى أعماقها . ؟ وأحست بدفقة من الجذل اللامحدود . .

ـ انتظرتك طويلاً . . لكنك لم تتصلى وعندها اتصلت أنا .

ـ عذراً . . لدى أمر مهم فقد اكتشفت أننى رسامة جيدة ووقع اختيارى عليك لتكون أول ضحية لموهبتى النادرة . . توقعت أن تسمع ضحكته التى تحب . . لكنها فوجئت بالصمت . .

ـ هل تعلمين ؟ . . سأسافر أخرستها المفاجأة فلم تحر رداً . .

ـ هل ستقفين بجانبى ؟ . . لا أستطيع أن أتصور أنك قد تتخلين عنى . . أحس بارتعاشة تهز كيانه . . لكنه تمالك نفسه . . يجب أن أسافر . . إننى أختنق . . إنهم يصادرون منى شعورى بأنى إنسان . .

انفصال أول :

« إننا نضرب فى بلادنا أروع مثال للديمقراطية . . إننا نعيش عصراً من الرخاء والانفتاح لم تشهد له بلادنا مثيل من قبل » . . حاصرتها صرخات المذيع فى « الراديو » وامتزجت بحيرتها وترددها . . كأنها لم تكن أقرب الناس إلى أفكاره . . آه . . توقع الأشياء غير الاصطدام بها حقيقة . .

ـ نزيهة أين ذهبت ؟

انفصال ثانٍ :

« إننا يا سيادة الرئيس سنفديك بآخر قطرة من دمائنا » .

ـ نزيهة لماذا لا تردين ؟

انتبهت فجأة : هس قد يكون الهاتف مراقباً ؟

ـ ليذهبوا إلى الجحيم .؟ لم أعد أحتمل . .

ـ أنت تعلم جيداً أن أحلام الفقراء دائماً مصادرة . .

انفصال ثالث :

« كل فرد يشعر بعظمة ما تفعلونه من أجل الشعب. . ».

ركلت « الراديو » بقدمها . . فتدحرج على الأرض ، همست لنفسها : هناك رؤوس كثيرة تحتاج إلى أن تتدحرج بهذه الطريقة . .

ـ إسمع سأفكر بالأمر . . انتظرنى . . وضعت سماعة الهاتف مكانها دون أن ترفع يدها عنها . . كانت هناك فكرة ما تطرح نفسها بشدة . . هناك أشياء كثيرة تشدنى للبقاء هتفت بصوت متدفق : لكن ولأجل أن تحتفظ الأشياء بقيمتها سأسافر أنا أيضاً . .

اللقاء :

ـ السفر . . هروب ؟؟

ـ كلا . . السخط بداية الفعل . . نحن نرحل نحو الشمس .

ـ للحب ثمن باهظ .

ـ تقول الأسطورة أن إنساناً أحب حتى الجنون حريته فنفخت فيه من روحها وفى اليوم التالى هوى رأس الملك من برج القصر . . إلى حفرة فى الأرض فلفظته وتلقفته مزبلة للذباب .

هزت الريح أوراق شجرة قريبة/ اجتر الليل صمته بسكون/ أحست بارتعاشة وقلق مبهم/ تاهت عيناها فى عينيه/ افترت شفتاه عن ابتسامة حزينة . .

الصوت :

ملعونة هامة تنحنى بالقهر من حاكم وخان . . كلمة تنحشر فى الحلق تهرب من اللسان

يطويها الخنوع

ملعونة لقمة مغموسة بالذل

ملعون الجبان[1].

الرحيل :

كان القمر يرسم تقاسيمه الأولى/ بينما أرسلت نجمتان فى السماء بريقاً لامعاً/ اختصرت الأيدى المسافة بينهما . . همس : معاً . . رددت : للأبد .

ـ تقول الأسطورة . . امتدت يدها بسرعة لتمنعه من الاسترسال .

ـ بل تقول اللحظة أن الفعل بداية الانتماء . . أحلام الفقراء صعبة لكنها ليست مستحيلة . . ضغط بقوة على يدها بينما رسمت خطواتهما على الطريق خطاً مستقيماً لا ينحنى .

1982

---

(1) مقطع من قصيدة « تجمعوا » للشاعر « أحمد فؤاد نجم » .

لحظة ما

باردا حد الموت كان الموقف.. لم أتوقعه مطلقاً ولم أتهيأ لذلك خرجت من طابور المسافرين متوقعة وجوده فى استقبالى ممتلئة بكل المشاعر . . بالحب الغامر والبهجة . . عندما رأيته اندفعت صوبه . . ولما اصطدمت بعينيه فاجأنى ببرود قاتل . . للحظة تالية أن كل شىء بلا معني . . وأننى لا أستطيع التعبير عن شىء غير هذا الجمود الأبلة . . هو أيضاً كان كذلك بارداً مع أننى أقسم أن عينيه قبل أن تقترب كانتا كجمرتين ملتهبتين . . أو كنجمتين متألقتين . . قمة العنفوان والاندفاع ثم أن أكداس الحزن تراكمت كالمعتاد . . فانطفأنا . بارداً حد الموت كان الموقف . وكان مفاجئاً لكلينا . . لم أستطع أن أقول شيئاً ولم يقل هو . . كأننا لم ننتظر هذا اللقاء منذ زمن . . كأننى لم أسافر . . أو كأننى أتأرجح فوق سفينة الملل القاتلة أو أراوح بشكل سخيف فى انتظار أن تواتينى الجرأة. . أو تواتيه أو تنفجر اللحظة لكلينا . . آه . . لكن شيئاً لم يحدث . . البحر مساءً كان هائجاً . . جنونه صدى للنزق الطفولى المكبوت . . لهيجانه وفورته امتداداً ولا فصل . . وذلك الخط المعتم الفاصل بين السماء والبحر يبدو بعيداً مغرقاً فى الوجع . . أهرب إليه فينحسر الموج ويرتد ارتد فيندفع الموج ويمتد . . أصرخ بملء الصوت وأبكى فلا يختلف الدمع عن طعم رذاذ الموج المتناثر . . أتوجع من ألمى وأتمنى أن يتعرى الناس أمام البحر ليكتشفوا أنفسهم . . أصرخ للبحر للموج . . لخطوط الرمل الممتدة للخط

الفاصل بين الأفق المترامى وبين المساء . . أحبه . . يتوزع صوتى . . يتردد فى بطء عذب . . يتناثر تقتلنى الرغبة بالبوح . . لكن انكمش وانكفىء إلى الداخل . .

فى اليوم التالى عندما كنا معاً ننجز بقية الصفحات المتبقية من الصحيفة قال لى أنه يشتهى احتضان الكون لأن فى أعماقه يتنامى الحبور ويتفاعل بشكل مذهل وكان ذلك القول رائعاً لأنه يدفعنا حتماً إلى المزيد من الإنجاز وبدا ذلك جلياً حين انتهينا من الصحيفة وبدأنا فى مراجعة مقالاتها . وقال أيضاً بطريقة مرحة حينما أبديت بعض الملاحظات النهائية : ها سيكون العدد ضربة لسلوكيات الثوريين . . وكان فى ذلك متألقاً مرحاً على غير عادته وأكداس الكآبة يخفيها فرح طاغ وأرجعت ذلك إلى انتهائنا من الصحيفة فلم أسأله غير أننى علقت على جملته الأخيرة قائلة : ربما يقف الأمر عند حد الكتابة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع وقد لا يتحقق ذلك التغيير الذى ترغب وبدا أن حاجبيه قد تقلصا قليلاً وظهرت بعض الخطوط فوق جبينه فيما رد بصوت منفعل بعض الشىء .

يا عزيزتى إنها ثقافة مجتمع . . مجتمع . . وليس الأمر بسيطاً إلى الحد الذى تتخيلين وحين رغبتُ فى الرد نظرت بحدة فى عينيه وقلت أعرف جيداً أن الأمر لا يتعلق بقميص ترتديه أو ترميه متى ترغب وبدا فى تلك اللحظة بريئاً جداً كطفل متمرداً جداً كأعظم ثورى وقال وهو يجذبنى من يدى لنذهب إلى البحر .

كطفلين شقيين جلسنا على الرمال . . كان البحر هائجاً والزبد الأبيض يتلألأ برّاقاً تحت الشمس والموج يأتى تباعاً ولا ينتهى أو يتوقف . . ولم يكن هناك سوانا وشاب صغير جلس وحيداً على صخرة قريبة حيث تتراكم الأمواج الصغيرة وتتكسر . . كما يتكسر الحلم على الحواف الناتئة الحادة لصخور الحقائق الموجعة .

زفرت بهدوء مرير فيما انتابنى مجدداً . . رمانى بقوقعة صغيرة

هامساً : إلى أين ؟ قلت فى بطء : هذا العالم المجنون ، ثم حدقت فى عينيه فتساءل هذا العالم مجنون ربما ؟ أو نحن ممتلئون بالرغبات المكبوتة حدّ ممارسة العسف والقمع ضد أنفسنا . . قال ذلك وتمدد فوق الـرمل متوسداً ذراعيه محدقاً بالأفق الممتد . . فأجبته وأنا أزداد تحديقاً فى عينيه أو كأننى أرغب فى التغلغل فى أعماقه ، نمارس القمع ضد أنفسنا أم يمارسونه ضدنا ؟ ظل بصره معلقاً بى للحظات ثم أغلق عينيه ولم يجب . . هبت الريح فتناثر شعرى بدأت أخط على الرمل خطوطاً متداخلة ، رسمت قنبلة ، طفلة تمد يدها لتمس خطاً يمتد بين القلب والبحر ، شرايين تنفجر بالدم وحاولت أيضاً أن أرسم تقاطيع وجهه الدقيق كطفل . . المتمرد كأعظم ثورى وخيَّل إلىّ إن كل ذلك نوع من العبث اللامجدى فمسحت بكفى على الرمل واختفى الهم وبقيت بعض الخطوط .

ــ اتصلت بأمى مساء الأمس فبكت ورجتنى أن أزورهم ، قال دون أن يفتح عينيه وأضاف أيضاً بعد لحظة قصيرة : الحقيقة تماماً أننى أفتقد إلى هذه العلائق التى يسمونها روابط اجتماعية وأشعر بين أسرتى أننى لا أنتمى لهم ولا أعرف لماذا تبكى أمى لابتعادى عنهم . .

صمت فجأة ثم تدفق ثانية ، أشعر بعدم جدوى هذه الأشياء . . فتح عينيه واعتدل فى جلسته بشكل سريع أنتمى للأرض نعم ، للوطن لرفاقى ، للصحيفة ، للفكرة . . ولكن أوه . . أشعر دائماً بأن شيئاً ما ينقصنى . . توقف فجأة كما تدفق ، وشرد ببصره نحو اللانهائيات، طائر الحزن كان يحط رحاله قريباً من تلك الناحية بالذات ولم يبد الجو غريباً وكان نقيضاً لذلك غاية فى الطبيعة . كنت من الداخل متوهجة ، تتـابع الأفكـار فى ذهنى وينبض قلبى بعنف فيصعقنى الوجع الممتزج بالدهشة والحيرة ، تتداخل فى ذهنى الأشياء فأشتم هذا الزمن الموحش وأشتم مساحات الحقد الجرداء التى تسرق منا العشق وتغتال الفرح المزهر فى الأعماق ، تتمرد نفسى على نفسى أمتدُّ وأرتد كالموج ، يُربكنى قلقى ، أقف بشكل فجائى أتطلع للموج

المتزاحم والزبد الأبيض ، أندفع عبر الرمل إلى البحر المتألق أفتح ذراعى لأحتضن كل شىء . . .

اندفع . . لا أتخيـل أننى أتفجر عشقـاً وتوهجـاً . . يمحى الخيط الفاصل بين حلم البوح/ والبوح اندفع صوب البحر ولا أتوقف .

ملاحظة :

نشرت بمجلة [شباب العرب]
السنة الأولى ـ العدد الثانى .

امرأة الرمل

كانت لا مبالاتها تثير الدهشة حقاً، وبالأخص تثير حيرتى وأحياناً حنقى، من قبيل ذلك أن تقترح أن نقرأ معاً إحدى قصائد «حاوى» ثم عندما أبدأ فى قراءتها منتشياً لتشوقها ذاك أنتبه عند منتصف القصيدة إلى أنها تحدق بشرود فى لوحة معلقة على الجدار المقابل وأنها لم تكن تستمع إلىّ، وتقول حين ترى عبوسى: لقد كنت أفك رموز الصورة، ناسية بشكل حقيقى أنها كانت متحمسة جداً لسماع القصيدة.. مرة أحضرت لها هدية بمناسبة الذكرى الأولى للقائنا فتهلل وجهها بشراً. اختارت أحد أشرطة الموسيقى الهادئة ووضعت رأسها على ركبتى.. كان الجو شبيهاً بحلم ناعم قالت لى إنها لا تحب أحداً غيرى فكرت لحظتها لماذا اختارت هذا التعبير لكننى نسيت ذلك بعد لحظة حين كررت إعجابها الشديد بالهدية.. لكننى فى الصباح - وكانت دوماً تستفيق قبلى وتغادر الشقة - وجدتها قد تركت الهدية وكأنها.. كان لذلك أثر محبط فى نفسى.. لكننى حين وقفت أمام المرآة وتخيلتُ تعابير وجهها الشارد وعينيها العبثيتين عاودنى الإحساس الضعيف بحبها والرغبة الشديدة فى تملكها كلية.. كانت دوماً تنفلت منى كما تفر الرمال من بين الأصابع.. منزلقة بهدوء ودون ضجيج مخلفة أصابع منفرجة فقط.. وليس ثمة دليل واحد على أنها كانت هناك.. كان هذا يدفعنى بجنون إلى احتضانها بعنف وأحياناً بقسوة تؤلمها.. لم أكن أعى ولم أستطع أن أفسر لماذا أفعل ذلك؟.. لقد عرضت عليها الزواج مراراً مرة

بدت وكأنها لم تستمع إلىّ وواصلت الحديث فى موضوع سابق.. وفى مرة أخرى استمرت فى تمشيط شعرها الطويل الذى يميل إلى الاحمرار نتيجة استعمال الحناء وبعد أن أكملت رفعه إلى أعلى وتثبيته بالدبابيس التفتت إلىّ وقالت ببساطة شديدة أعجزتنى من الردّ: ألسنا معاً دائماً؟!

كان رفضها الارتباط يحيرنى ويدفعنى للتساؤل: ألا أعجبها؟!.. لم تكن تستعمل تعبير أحبك الذى كنت بعكسها أستعمله مراراً لأؤكد لها رغبتى القوية فى بقائها معى.. كانت تستخدم بدلاً من ذلك تعابير من نوع (أشعر بالراحة معك) - (أحس بسعادة عميقة لوجودك معى).. وحين تغفو بين يدى كانت تردد (كم أود أن أنام إلى الأبد هنا ولا أستيقظ أبداً) كانت تعابيرها ذات طابع حميمى حين تلفظها ولكنها فى جوهرها تكوّن حالة من اللااستقرار ومن الهلامية.. ولا تحمل أى دلالة على المستقبل.. كأن الغد كما هو الماضى لا يدخل فى حسابها.. أو كأنها شخص مجرد من التأريخ.. كلما جررتها على سبيل المثال للحديث عن مستقبل ارتباطنا تهربت منه بطريقة لا يبدو فى ظاهرها الهروب كأن تعانقنى وتقول ألسنا سعيدين الآن؟ وإذا سألتها عن حياتها السابقة هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت: ليس فيه شىء مثير للاهتمام.. وحين كانت تغيب أياماً متتالية مما يسبب لى قلقاً حاداً واضطراباً فى كل أمورى.. ويصير عملى مثيراً للانتقاد لما يشوبه من أخطاء.. حين تغيب ويتعبنى البحث عنها فى الأماكن التى ترتادها عادة تعود للظهور فجأة. تفتح باب الشقة بمفتاحها الخاص وتخلع معطفها ببساطة وتعلقه، تدخل المطبخ لتعد قهوتها المعتادة.. تفتح جهاز التسجيل وتضع شريطاً لفرقة جيل جيلالة التى تحبها كثيراً.. ثم تأتى لتعانقنى وكأنها لم تغب إلا ساعات معدودة.. وكنت وقتها أتنهد وأضع رأسى بين كفىّ وأحدق فى وجهها بتراخ لعلى أكتشف علة هذه اللامبالاة. غير أنى فى كل مرة أعود مشدوهاً. ليس ثمة شىء غير حقيقى أو مزيف فى سلوكها.. البساطة والإنسانية هى سمة كل تصرفاتها.. كنت أضع فرضاً جاهزاً دائماً فى غيابها بأن هناك شيئاً ما مزيف خدعة ما سأكتشفها حين أفتح النقاش معها..

وأضع تساؤلات كثيرة وأفترض حوارات طويلة ولكن يا لسوء الحظ حين تعود أنسى كل ما أعددته لحظة يدور مفتاحها فى قفل الباب.. وتطل بقامتها المتوسطة وملابسها ذات الألوان الهادئة ووجهها المستسلم كأنها تسيّر تعابيره قوة خارجة عنها.. استسلام حزين كأنما تختزل عيناها عدداً لا يوصف من المآسى..

تعودت كثيراً أن أستيقظ صباحاً فلا أجدها.. أدهشنى ذلك فى البداية فانسلالها من الفراش هادىء إلى درجة لا تدفع إلى إيقاظى.. لكننى أحياناً كنت أستيقظ بعدها بقليل ويلذ لى حينها أن أبقى فى الفراش أرقب تحركها الهادىء.. كانت تقف قليلاً أمام المرآة.. تحدق فيها تمسح وجهها بكفيها وتمشط شعرها بأصابعها ثم تمضى وقبل أن تغتسل لتعد القهوة.. تتركها على الأرض فى زاوية محببة لديها من الحجرة، تفتح جهاز التسجيل وتضع أحد أشرطة «فيروز» وبعد أن تغتسل تجلس فى زاويتها.. تفترش الأرض مستندة إلى الجدار.. تتناول فنجانها محدقة فى الأرض كأنما ثمة مسألة عويصة تبحث لها عن حل.. فى تلك اللحظة المعتادة كنت أحس دائماً بشعور غامر من العطف الممتزج بحنان غريب ينتابنى ويكاد يدفعنى لضمها.. أول مرة رأيتها بتلك الوضعية سألتها: ما بك؟! فلم ترفع رأسها ولم تجب وبررت ذلك حين جاءت فى المساء قائلة: أنا لا أحب أن أتكلم مع أحد حين أستيقظ.. كانت تترك أشياء كثيرة متناثرة فى الشقة.. أسطوانة ملقاة بإهمال على الطاولة التى تتوسط الصالة.. بعض أشرطتها المحببة بجانب جهاز التسجيل مشطها ورائحتها المميزة بجوار مرآة الزينة.. بعض ملابسها تجاور ملابسى.فى الدولاب.. كان ذلك يفتننى ويشعرنى ولو بشكل جزئى أنها لى.. وحدث مرة أن نسيت مبلغاً كبيراً من المال على الطاولة وحين نبهتها إلى ذلك فى اليوم التالى رفعت رأسها عن كتاب «مختارات من لوركا» الذى كانت تطالعه وقالت: آه.. ثم عادت إلى القراءة وكأنى لم أقل لها شيئاً.. صفاتها تلك التى كانت تثير غضبى فى بعض الأحيان أحاطتها بهالة من الضبابية والشفافية جعلتنى أزداد شغفاً بها ويتكثف حضورها إلى

درجة أنه يسد كل فراغات الوحدة والعزلة التى اعتدت الشعور بها. . وجعل ذلك الإحساس بافتقادها حين تغيب يتضاعف إلى درجة العجز عن القيام بأى فعل يومى معتاد. . ولكن كان ثمة إحساس دفين ثابت فى أعماق النفس، لا يطفو على السطح بأن كل شىء سيكون على ما يرام حين تظهر مجدداً وتبزغ شمسها فتزداد نبتة الأمل وحب الحياة اخضراراً فى قلبى. . لم يكن يرد على بالى مطلقاً أن نفترق حتى وإن أعيانى البحث عن طريقة لربط وجودها بوجودى برباط لا تملك منه فراراً. . ولم أضع أبداً فى ذهنى نمطاً يمكن أن تسير عليه حياتى إن هى انفصلت عنى ليقينى أننى لن أحتمل الحياة بعيداً عنها. . وهكذا فإننى أستطيع أن أصف شعورى ساعة جاءتنى لتعلمنى أنها لن تعود ثانية إلىّ بأنه شعور كامل بالبلاهة ليس لى أن أصف السكون المفاجىء الذى داهم كل شىء فىّ. .

كان هناك شىء ثقيل يهوى فى داخلى. . يهوى بعنف وينكسر. . كان هناك هلع لا يوصف كمن تدهمه سيارة فجأة فيجد أنه قطع مسافة لا يمكّنه طولها من العودة ولا من التقدم للنجاة، لا أعتقد أننى ملكت حينها أكثر من قوة دفع ضعيفة مكنتنى من سؤالها ـ ولكن لماذا؟.

ـ هكذا؟ واشتعلت مشاعرى فجأة فأعدت سؤالها بقوة: ولكن ماذا تعنى (هكذا)؟ إنها كلمة محايدة بليدة ولا تبرر شيئاً. .

كررت فى هدوء حزين: هكذا. أقسم لك أننى لا أحس بشىء آخر إننى أحس بالملل من كل شىء وبالضجر أيضاً. .

ـ إنها تمثيلية سمجة على كل حال. . هيا إنسى ما كنت تقولينه. . رددت بهدوء علها تسحب ما كانت تقوله وكانت عيناى وكل تقاسيم وجهى تمتلىء بتعابير الرجاء الممتزج بالقلق.

ـ لا أنا أعنى ما أقوله. . أنا لا أستطيع أن أعود إليك ثانية. . ليس ثمة آخر. . ينبغى أن تصدق ذلك. . لكننى لن أستطيع الاستمرار فى خداعك.

ـ لم تحبينى قط؟ قلت بغضب.

ـ كلا.. لا تقل ذلك لقد شعرت بسعادة عميقة معك.. ولكننى الآن أحس بالملل حتى من نفسى.. كانت جادة.. ولم أستطع أن أقف من الإحباط الذى قهرنى وداهم جسدى لأمنعها من المغادرة أو أن أضيف حرفاً واحداً. ضج رأسى بمئات الأفكار دفعة واحدة.. بدا لى ذلك مستحيلاً.. لم أكن قادراً على فعل شىء لم أكن أتصبور أن تتركنى.. كانت زجاجة عطرها تقف بكبرياء على طاولة الزينة.. أسطوانتها الوحيدة ملقاة بإهمال ميز شخصيتها الفريدة.. أشرطتها كانت هناك بجوار جهاز التسجيل الصامت كالقبر.. وفى الدولاب بعض ملابسها وعلى حافة النافذة كانت مجموعة من زهور القرنفل البيضاء أحضرتها لها فى اليوم السابق تهتز برفق حين أغلقت باب البيت وراءها ومضت...

بنغازى 10 - 12 - 86

ثالثاً: المقالة الصحفية

بين أزمة الإعلام والثورة(*)

بين انتقادات الجماهير المتكررة لما يقدمه الإعلام وبين تقليدية المادة التى يطرحها وبين تخبط ادارته تطرح عدة تساؤلات فارضة نفسها بشدة علينا بقدر مساو لأهمية الأمر وخطورته.. كيف يكون الإعلام؟ من يسيره؟ ماذا نريد منه؟.. هذه الأسئلة لا يمكن غض النظر عنها لأن ذلك يعنى الهروب من مواجهة الأزمة.. الأمر الذى يعنى حضورها فى أذهاننا بشكل مستمر إضافة إلى أننا نعيش فى مرحلة تحول ثورى نرفض فيها كل ما هو إصلاحى تلفيقى ونطرح بديلنا الذى ينهى الأزمة جذرياً.. وهذا الأمر يتطلب منا أن نكون موضوعيين تماماً ونتناول كل نقطة بالتحليل والنقاش...

النقطة الأولى إن المادة التى يقدمها الإعلام حالياً تقليدية ومتناقضة تماماً مع الإعلان المستمر بأن الإعلام فى الجماهيرية هو إعلام ثورى وهذه النقطة تجرنا إلى عدة أشياء منها أن الثورة لم تفرز بعد إبداعاتها الأدبية والفنية والتى يمكن أن تشكل محتوى المادة الإعلامية الثورية وحتى حين تخرج للوجود بعض المحاولات الجيدة فإن الأسلوب التقليدى فى طرحها والشكل الفنى الذى تخرج فيه يجهضها ويفرغها من الداخل من محتواها

(*) نشر بجريدة الطالب 27 المريخ 1983 م.

هذا إذا كنا حسنى النية ولم ننطلق لنناقش المواد التى تقدمها وسائل الإعلام وبالأخص المرئية والمسموعة منها والتى تربط بين قضايا الثورة والصراخ برباط متين وبينها وبين الطرح المباشر السطحى الذى يفقدها تأثيرها الموجب فى العقل فتلجأ إلى الإنشاء لتغطية فشل مبرراتها. . هذا من الجانب الذى يحاول أن يكون ثورياً فيسقط فى أزمة التلفيق والترقيع. . أما عن الجانب الآخر فحدث ولا حرج وهو على أية حال أصدق مع نفسه إذ يطرح ثقافته التقليدية عبر عرضه لبرامج ومسلسلات تكرس كل قيم ومبادىء ثقافة الاستغلال والعبودية وتتعارض أصلاً مع قضية حرية الإنسان التى نرفع لواءها. . . يحدث هذا فى غياب الإبداع الثورى وفى غياب من يقدم هذا الإبداع فى شكل فنى جديد.

ويحدث هذا أيضاً فى حضور أزمة إدارة الإعلام. . فالزحوف المتتالية لم تستطع لارتجاليتها وعدم التخطيط العلمى لها أن تدير الإعلام بالشكل الصحيح. . وبقيت ذات الوجوه المكررة تدير الإعلام بنفس العقلية التقليدية القديمة التى تتعامل مع وسائله بشكل حكومى بما يجسد النظرية القائمة فى مجتمعات العسف والتى تقول إن وسائل الإعلام هى مجرد بوق للنظام وجهاز من أجهزة الدولة فى حين أن ما يطرح الآن هو سعى حقيقى لتدمير الدولة وإنهائها وعلى ذلك فإننا لا يمكن أن نتوقع أن هذه العقلية المتكلسة التى تتعامل مع الثورة على أنها ما زالت فى موقع السلطة ومع الجماهير على أنها التابع غير القادر على الاستيعاب والتحليل مما يجعل الإدارة تقع فى مأزق محاولة تبييض الوجه أمام الثورة (التى هى فى نظرهم السلطة) والضحك على ذقن المواطن باعتبار أنه لا يفهم ولا ينبغى له ذلك وبالتالى فإننا نعبر فى كثير من الأحيان أن انتقادات الجماهير لما تقدمه وسائل الإعلام هى انتقادات فى محلها بالنظر إلى هذه الدوامة التى يدور فيها الإعلام ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نغفل عن كون الانتقادات الموجهة إلى الإعلام هى فى كثير من الأحيان انعكاس أو رجع صدى لما تطرحه الثقافة السائدة وهى وفق طرحنا الجماهيرى الثورى ثقافة مأزومة. . رجعية بكل

مدلولات هذه الكلمة وهى ثقافة تمجد علاقات التبعية والاتكالية وتصفق لقيم مجتمع الاستهلاك لا الإنتاج.. مجتمع الترف لا النضال وتقود هذه القيم حرباً شرسة ضد قيم الثقافة الثورية الجديدة التى تطرح كل الأمور برؤى جديدة وعلى ذلك فإن المتشبعين بقيم الثقافة السائدة (المأزومة) لا يمكنهم أن يحققوا وضعاً انسجامياً مع ما تطرحه وسائل عن الثورة (حتى وإن كانت تطرحه بشكل مباشر وفج) ولذلك فإنهم بخبث يمينى معتاد يشنون حملاتهم المضادة ضد ما يطرحه الإعلام ليس من منطلق الرغبة فى تقديمه بالشكل الجيد الذى يحقق انتشار الأفكار الثورية ولكن من منطلق الرفض لهذه الأفكار أصلاً وبالطبع فإن هذا الرفض لا يظهر بشكله المباشر ولكنه يظهر فى المطالبة بالمزيد من الأغانى (التقدمية جداً) أو المسلسلات الهادفة جداً وكذلك فى شكل إشاعة أن الإعلام «فاسد» و«خارب» وما إلى ذلك من ألفاظ..

إن الخلاصة من كل ما سبق هى أن الإعلام يعانى أزمة وهذا الاعتراف مطلوب لمعالجة الأزمة ولكن تحليلنا للأزمة وأسبابها لا ينطلق بالتأكيد من نفس تحليل الثقافة السائدة ولكنه ينطلق من الرغبة الصادقة فى أن يكون الإعلام فعلاً ثورياً ولا يقع فى إشكالية التلفيق لأنه حينها يسى للثورة أكثر مما يفيدها.. ونحن حين نقول إن الإعلام فى هذه المرحلة يجب أن تسيره القوة الثورية فإننا نعنى بذلك إلا توجهه أو تسيره أى قوى مضادة لحرية الجماهير لتستغله فى شدها للوراء وتغييبها وقمعها ولكن هذا أيضاً لا يعطينا المبرر المنطقى للسكوت أمام أزمة الإعلام والشىء الأكثر منطقية هو طرح هذه المشكلة للنقاش والتحليل... ولعلنى أقول إن نقاش طلبة قسم الإعلام مع الأخ القائد هو محاولة لتحقيق خطوة عملية تحل ولو بشكل مؤقت جزءاً من هذه المعضلة ويمكننى القول أيضاً بالنظر إلى معطيات الواقع التى تقول إننا نعيش مرحلة تحول ثورى والتى تفرض بشكل منطقى أن يكون الإعلام ثورياً كتمهيد لقيام الإعلام الجماهيرى فيما بعد.. فإن مهمة القسم تبدو غاية فى الأهمية إذا استطاع التوفيق بين قضيتين هما

غاية فى الأهمية: المضمون الثورى للمادة الإعلامية والشكل الفنى الجيد الذى يقبل جماهيرياً ويحقق الانتشار المطلوب للمادة الإعلامية.. على أن القضية ليست بهذه البساطة فالمضمون الثورى للمادة لا يخلقه أو يبدعه إلا الثورى وتقديم المادة الثورية فى شكل فنى جيد يتطلب إلماماً واسعاً بفنون الإخراج والتصوير والإنتاج.. الخ.. هذه الأمور الفنية الضرورية لتنفيذ أى عمل (أغنية، تمثيلية، مسرحية، شريط سينمائى) وهذا أيضاً يدفعنا منذ الآن لإعلان ثلاثة أشياء هامة.. الأول أن القوة الثورية من الطلاب هى التى ينبغى أن تدخل قسم الإعلام وذلك لمقدرتها منذ البداية على تقديم الإبداع الثورى (المضمون) والثانى: القوة الثورية الطلابية قادرة على تحليل واستيعاب كل القضايا برؤية ثورية وثالثاً: هذه القوة أيضاً هى التى ينبغى لها أن تدرس النواحى الفنية لتستطيع تقديم هذا المضمون بالشكل المطلوب وهذا لا يمكن أن يتحقق ما لم يدرس الطالب المواد التطبيقية العملية التى تمكنه من تحويل أفكاره إلى مادة قابلة للعرض والتوزيع.

إننا فى الحقيقة أمام ظروف لا بد أن نحدد موقفاً ثورياً حاسماً منها ولو أمكن فعلاً لقسم الإعلام أن يحقق ما قلته سابقاً فإن جزءاً من أزمة الإعلام سيحل وعلينا أن نعرف أنه يمكن تقليص الزمن إلى أقصر حد إذا ما بذلنا من الجهد ما يحقق ذلك ولكن الحقيقة التى لا تقبل الشك هى أن الوقت لا ينتظرنا..

كل تأخيرة ما فيها خيرة(*)

نقطة أولى :

أسئلة مبهمة تدور فى الذهن عن التنظيم الثورى . .

* عن عجزه فى إرساء مفاهيم وقيم الثقافة الجديدة فى المجتمع . .

* عن سيادة ثقافة اليمين المأزومة . .

* عن فشله لتصعيد الوعى الاجتماعى لدى الجماهير . .

* وعن الفرز فى التنظيم ذاته وإعادة تأسيسه من جديد . .

الأسئلة السابقة سبق طرحها أكثر من مرة فى صحف اللجان الثورية ولكن أجد أن الضرورة تفرض إعادة طرحها مرة أخرى وإعادة الحوار حولها خاصة بعد أن توقفت الكتابة عنها قبل الملتقى الخامس بقليل على أمل أن يطرح فى ملتقى اللجان الثورية ما يعيد تنظيمها بشكل يجعلها تتجاوز أزمتها الخانقة وكان من الممكن أن يحدث لو استغل البرنامج الثورى التعبوى الذى خرج به الملتقى فى الانطلاق نحو الفرز ولكن شيئاً من هذا لم يحدث وهذا ما يجعل من إعادة فتح الحوار حول أزمة التنظيم الثـورى ضرورة عاجلة وفى غاية الأهمية . .

(*) نشر المقال بصحيفة الجماهيرية

إذا كان يهمنا فعلاً خروج التنظيم من الأزمة وقيامه بكل مهامه التاريخية . . التى أولاها ترسيخ سلطة الشعب التى يحاول اليمين المعادى فى غياب الوعى المؤدى إلى الفعل الثورى وفى حضور الأزمة بكل أبعادها أن يسلبها ويسرقها من الجماهير الكادحة . . وإذا كان يهمنا ذلك فعلاً فلننطلق إلى فتح الحوار . .

كثيرون ممن كتبوا عن أزمة التنظيم الثورى أرجعوها إلى كونه تنظيماً مهلهلاً مفتوحاً يدخله كل من هب ودب تطبيقاً للمقولة الرجعية التى تقول «كل الليبيين ثوريون» وبما أنهم كذلك فإن لكل منهم حق الانتساب للتنظيم دون شرط أو قيد لكن هؤلاء لم ينجروا على افتراض وجود ضوابط خوفاً من تحول التنظيم من تنظيم ثورى ديمقراطى إلى تنظيم حزبى رغم أن ديمقراطية التنظيم الثورى لا ترتبط لا من قريب ولا من بعيد بمجموع الضوابط التى ينبغى وضعها للانتماء إليها وهناك من شخص الأزمة على أنها أزمة افتقاد للوعى العقائدى لدى أعضائه حيث أن فقدان البناء العقائدى يعنى استحالة قيام التنظيم بمهامه . . وهناك من قال بضرورة تقنين التنظيم وآخرون اعتبروا أن مقررات ملتقيات اللجان الثورية هى بمثابة ضوابط للتنظيم وعلى أية حال فإن التحليل الأقرب إلى الموضوعية ينطلق لمعالجة الأزمة من الأساس أى من السؤال عمن يحق له الانتساب إلى التنظيم وهذا أصلاً يفترض أن هناك شروطاً وقيوداً تطبق على كل من يريد الانضمام إلى الأداة الثورية ويمكن تلخيص هذه الشروط فى جملة واحدة انتماء الفرد الاجتماعى وهى بقدر ما هى قصيرة بقدر ما هى ضرورية وهامة لتأسيس تنظيم واع بالمهام الملقاة على عاتقه وقادر على تنفيذها ولو بالدم وهذا التحديد أى تحديد القاعدة الاجتماعية لمن يريد الانتساب للتنظيم يعنى انتهاء الأكذوبة الكبرى التى يرددها البعض عن جهل ويرددها اليمين مع سبق الإصرار والترصد وهى «كل الليبيين ثوريون» . .

ويعنى أيضاً انتهاء مرحلة المهادنة والانطلاق نحو تأسيس الوعى الاجتماعى لدى الجماهير ومن ثم تفجيرها لحقدها المقدس ضد أعدائها من البرجوازية والاقطاعيين التى وإن تم تجريدها من أدواتها المادية على

المستويين السياسى والاقتصادى إلا أنه لم يتم القضاء على ثقافتها المهيمنة بكل مفاهيمها وقيمها المعادية تاريخياً للجماهير والتى تستغفل الجماهير الآن بها وتستلبها مستغلة فراغ الساحة من قيم ومفاهيم الثقافة الجديدة فى محاولة ذكية لإجهاض الثورة وذلك عن طريق تكفير هذه الجماهير بالسلطة الشعبية التى يحاول إجهاضها من داخلها أمناء المؤتمرات وأمناء اللجان الشعبية أو عن طريق تكفيرها بالاشتراكية من داخل مؤسساتها ذاتها وذلك بإساءة التطبيق وبالممارسات الخاطئة فى الأسواق والمنشآت وباقى المؤسسات الاشتراكية إن تفجير حقد الجماهير الكادحة الفقيرة التى انحازت الثورة لها باعتبار أن هذه الجماهير الفقيرة هى صاحبة المصلحة الحقيقية فى الثورة (ولا نعنى بالمصلحة هنا حدها النفعى الضيق).. إن تفجير حقد الجماهير ضد أعدائها وضد الصراع الاجتماعى لم يتحقق ما لم:

أ - يبدأ الفرز الموضوعى للمنتسبين للتنظيم بحيث لا يبقى إلا من يصنف اجتماعياً على أنه من الجماهير الكادحة..

ب - تصعيد الوعى الاجتماعى لتقوم الجماهير الفقيرة بقيادة التنظيم بفرز أعدائها وسحقهم..

وقد كان من الممكن أن يفجر الصراع الاجتماعى بعد الملتقى الخامس لو لم يكن التنظيم الثورى غارقاً فى الأزمة حتى أذنيه ولو كان تنظيماً مفروزاً نقياً لاستطاع استغلال البرنامج الثورى إلى أقصى حد ولكانت المعادلة قد تغيرت تماماً فبدلاً من الصراع ضد الجماهير الذى حدث نتيجة أن كثيراً من المحسوبين على التنظيم حاولوا فرض البرنامج فرضاً على المؤتمرات الشعبية..

كان ممكناً استغلال طرحه لتصنيف القوى الاجتماعية وهنا فإنه من السهل جداً معرفة أولئك الذين عارضوا البرنامج من قبيل عدم الفهم ونقص الوعى وأولئك الذين عارضوه لأنهم ضده على طول الخط أقصد لأنهم بانتمائهم الاجتماعى لطبقة البرجوازية فهم بالضرورة ضد البرنامج التعبوى،

ضد التقشف، ضد الحد الأعلى من الإنتاج والأدنى من الاستهلاك ذلك لأن ثقافة طبقتها ثقافة مجتمع استهلاكى لا إنتاجى. . ثقافة طبقة تستنكف العمل اليدوى وتعتبره عاراً وإهانة لشعاراتها المتمثلة فى القمصان الناصعة البياض وفى الاتكيت الأرستقراطى الذى يضع حتى لطريقة الحديث والكلام قواعد خاصة وأنماطاً معينة يعد انتهاكها طعنة فى «الشرف البرجوازى الرفيع» فما بالك ببرنامج تعبوى يحطم هذه الثقافة ويمزقها شر ممزق. .

قلت لو كان التنظيم مفروزاً لاستطاع الارتفاع بوعى الجماهير لتدرك أن أعداءها الطبيعيين هم البرجوازيون الطفيليون والرأسماليون والاقطاعيون وأنهم هم عائقها أمام استلامها لسلطتها وثروتها بالكامل على المستوى المحلى وأنهم هم أيضاً عائقها أمام استلامها لسلطتها وثروتها بالكامل على المستوى المحلى وإنهم هم أيضاً عائقها على المستوى القومى فى محاربة الصهاينة أعداء الأمة العربية. . إن الجماهير تندفع لمحاربة الصهاينة مدفوعة بعوامل متداخلة من الدين والقومية على أن هذه الجماهير ذاتها لم يصل بها وعيها الاجتماعى إلى مرحلة تصنيف مستغليها ومصاصى دمها وقاهريها على كل المستويات فى الوطن العربى على أنها أعداؤها وأن تحاربهم وتقتص منهم بنفس قوة الحقد الذى تحمله هذه الجماهير على أعدائها الصهاينة وليس هنا مجال للحديث عن العوامل التى بنيت عبر التاريخ فى تخلف هذا الوعى لدى الجماهير ولكن ما يهمنا حقاً هو أن هذا القصور فى الوعى موجود وأنه لا يمكن للجماهير أن تحقق انتصارها التاريخى على أعدائها إلا بتجاوزها هذه الأزمة وهذا لن يتحقق فى غياب الأداة الثورية التى تقود الجماهير نحو الوعى ومن ثم نحو تفجير الصراع الاجتماعى لتقويض ونسف أسس ما هو قائم وإحلال البديل. . ولن ندور أكثر فى هذه الحلقة لكن المحصل يمكن تلخيصه فى أنه لا يمكن بوضعية التنظيم الثورى الحالية تحقيق شيء مما سبق فأنا لا أتصور مطلقاً أن تنظيماً نصف أعضائه من سكان القصور وأصحاب السيارات الطويلة العريضة يمكنه أن يخوض حركة فرز موضوعى سواء على مستوى التنظيم ذاته أو على مستوى المجتمع كله

لأنه ليس من المعقول وبل من الخوارق التى لم ولن تحدث أن يستهدف الإنسان نفسه بقيمه ومفاهيمه ومصالحه بالتصفية النهائية وعلى هذا فإن مهمة الفرز ستلقى على عاتق الفئة الأخرى الواعية المنتمية للتنظيم والتى قاعدتها الاجتماعية الجماهير الكادحة الفقيـرة التى لا تسكن القصور ولا تعـرف اتكيتها البارد الثقيل كظل أصحابها. . وأخيراً وبعد هذا التحليل هل سنكون أكثر بلادة لنقول «كل تأخيرة فيها خيرة» لنطمئن بها الأنفس التى بدأت تألف المهادنة والاستكانة أم نقول لا تؤجلوا ما يمكنكم فعله اليوم إلى الغد فقد يحمل الغد ما لا يسركم!!

لماذا توقفت المحاكمات العاطفية؟(*)

« واحد » :

أمـر طبيعى أن نتفق على أن الثورة ليست فقط النسف والتـدميـر والتقويض والإلغاء، وهى أيضاً ليست حلاً إصلاحياً وتلفيقياً لوضع قائم، قواعده الأساسية ظالمة وغير عادلة.. وهى قطعاً لا يمكن أن تكون مقامرة أو مغامرة غير مأمونة وغير مخطط لها وغير ناتجة عن وعى شمولى بمعطيات الواقع وكيفية تقويض أسسه وإحلال البديل مكانه.. ولا يمكننا أن نقول إن الثورة تغيير يتناول البنى الفوقية/ فقط/ لمجتمع ما، كأن يتغير النظام من ملكى إلى جمهورى أو هى تغيير للبنى التحتية كأن تتغير مثلاً العلاقات التى تربط العمال بأرباب العمل.. لكن الثورة إبداع حضارى وتغيير شمولى لبنية أى مجتمع وهى ومن هذا التعريف تنفى عنها صفة الفعل الجزئى أو الناقص لتنقل إلى مرحلة الفعل الواعى الكامل الذى يتميز بتقديمه لنموذج جديد للحياة الإنسانية.. ولكن هل يمكن أن نتفق على أن الثورة هى مجرد/ مشروع/ حضارى جديد إذا كنا قد اتفقنا على كونها تغييراً شمولياً وجذرياً لبنية المجتمع فإننا بالتأكيد سنخرجها تلقائياً من كونها مجرد مشروع لم يدخل بعد دائرة الفعل الى كونها تغييراً حضارياً يحتل قلب دائرة الفعل

(*) نشرت بصحيفة الجماهيرية عدد

متميزاً بشموليته وبإيغاله فى كل جزيئات المجتمع وجوانبه المادية والمعنوية التى تشكل كلاً نسميه إبداعاً لحضارة جديدة تتجسد فى أبسط الأشياء وفى أرقاها بدءاً من العلاقات الجديدة بين الأفراد وأيضاً فى رؤ ية الأفراد للأشياء المحيطة بهم والتى تنبع من المفاهيم الجديدة التى تترسخ فى أذهانهم وتتجسد ممارسة وسلوكاً يومياً . .

هذه نقطة أولى أما النقطة الثانية فهى تتلخص فى أن أحد وجوه العلاقات الجديدة بين الأفراد هو تأسيس رؤ ية واعية وناضجة من كل ما هو مطروح عن طريق الحوار الذى يتخذ مساره الصحيح ولا ينحرف عنه حوار طرشان أو نقاش بيزنطى لاطائل من ورائه .

« اثنان » :

إن فعل الثورة/ التغيير الحضارى/ ينتج عنه طبيعياً وضع جماهيرى يتلاءم مع العصر الجديد على شكل مجتمع اشتراكى . . ولن يكون من باب التفلسف بمكان أن نطلب تعريفاً نظرياً للاشتراكية لأننا وفقاً لهذا التعريف سنحدد مقدار الانحراف الذى حدث أثناء تطبيقها عملياً ، ويمكن أن نوجز التعريف فى أن الاشتراكية الجديدة التى يطرحها الكتاب الأخضر قائمة على نظرية تحرير الحاجات ليتحرر الإنسان من الاستغلال والعبودية وهى وفقاً لهذا التعريف تعتبر أن القواعد الطبيعية هى المرجع والمقياس وتبلور هذه القواعد فى مقولات فقهية/ كالبيت لساكنه ، وشركاء لا أجراء والأرض ليست ملكاً لأحد . . . الخ/ هذه المقولات يمكن الحكم عليها مسبقاً بأنها لا يمكن أن تسقط فى المحك العملى ولكن يمكن فى ظل التخلف وأزمة الوعى أن تشوه بما يصور للبسطاء أن الخلل الرئيسى يكمن فى الأساس النظرى نفسه وليس فى التطبيق الإجرائى العملى . . وهذا ما حدث فعلاً على أرض الواقع . .

* والهتاف ضد البرجوازيين . .

* والهتاف ضد الاستغلاليين ممتصى دماء الجماهير. .

* والاكتفاء بتقديم/ بعض/ نماذج مجتمع الاستغلال فى فترة ما بعد الملتقى الثالث للمحاكمات الثورية/ التى توقفت وكأن الأمر كـان مجرد انفعال عاطفى بمقررات الملتقى/.

* والخلق المستمر للمؤسسات الاشتـراكية. . كـل ذلك لا يكفى للادعاء بأن المجتمع الاشتراكى قد أقيم فعلاً.

وإذا كان هناك من يدعى ذلك فإنه لا يعدو أن يكون أحد نموذجين:

إما نموذج للإنسان الهارب من الاعتراف بالواقـع مخافـة مواجهتـه والاصطدام به، وإما نموذج للإنسان المفسد الذى يمارس التشويه عن عمد فى الوقت الذى يقوم بنوع من «البروباغندا» التى لا تتعدى التطبيل والتزمير للمجتمع الاشتراكى ظاهريـاً كنوع من التغـطية على التخـريب الممارس خفية. . وهنا يتحدد الموقف الصحيـح أى الاعتراف بـوجود أخـطاء فى التطبيق وبوجود ممارسات خاطئة تظهر للجماهير فى شكل سلوك يـومى يمارس فى المؤسسات الاشتراكية هادفاً الى تكفير المواطن البسيط الذى لا يعرف كيف يؤمن بأن هناك اشتراكيـة إذا لم تحقق له عبـر مؤسساتهـا المختلفة حرية حاجاته الضرورية، وإذا لم يشعر بالفعل وبشكل محسوس ـ بأن هناك فرقاً بين مجتمع الاستغلال الذى كان يقيد حريته المادية والمعنوية وبين المجتمع الذى تقول فيه إنه اشتراكى جديد. . . وما سبق لا يعنى تأطير الاشتراكية فى شكلها المادى فقط، ولكن فى ظل التخلف الثقافى وسيادة مفاهيم الثقافة القديمة فإننا لا نستطيع أن نطلب من المواطن البسيط أبعد من هذه النظرة الضيقة والمحدودة جداً. . .

وتأسيساً على ما سبق من معطيـات هل يمكن أن يخضـع تجريم التاجر ـ كنموذج برجوازى معاد للجمـاهير ـ وهـل يتم القضاء على كـل الممارسات الخاطئة التى تشوه التطبيق الاشتراكى فى الجماهيرية من خلال

الثقافة السائدة فى المجتمع، وهل يصلح الحكم الأخلاقى الذى تحدده هذه الثقافة لإنهاء الأخطاء؟

إننا عندما نتهم ثقافة هذا المجتمع بالتخلف ونصنفها إيديولوجياً بأنها يمينية معادية فإننا نحكم مسبقاً بعدم صلاحيتها لتكون هى المعيار أو المقياس لتجريم ما هو خطأ/ وفق قيم الثقافة الجديدة/، وعندما نقول إن المخزون الثقافى لهذا المجتمع ما زال يبرىء التاجر من تهمة الاستغلال وما زال يصنفه على أنه مواطن صالح فإننا منطقياً لا يمكن أن نقول إن هذه الثقافة هى التى ستصنف التاجر فى خانة عدو الجماهير.. وهذه المعطيات تستند أصلاً إلى أن القضاء على أخطاء التطبيق لا يمكن أن تتم بمجرد تجريمها إيديولوجياً، وهنا سنجد أننا ندور فى دائرة مفرغة، فلا الإيديولوجية رغم طرحها النظرى بتجريم التجارة باعتبارها لوناً من ألوان الاستغلال كافية لوضع حد للأخطاء، ولا الثقافة اليمينية السائدة فى المجتمع بقادرة على مناقضة نفسها بتجريم قيمها ومفاهيمها..

« **ثلاثة** » :

إن التساؤل «عما إذا كان اختصار المسافة بين الحل النظرى والممارسة الإجرائية اليومية يمكن فعلاً أن يحققه التقنين»[1] يمكن اعتباره سؤالاً هاماً جداً حالة كون التقنين هنا متصفاً بالصفة التقليدية التى تلبس القانون صفة العسف والقمع كما يحدث فى المجتمعات التقليدية حيث تضع الفئة أو المجموعة المسيطرة مجموعة من القوانين تقنن بواسطتها العلاقات الظالمة، وتحافظ بقوة إلزامها على مؤسساتها القائمة برعاية مصالحها، ولكن التقنين الذى نطرحه تنتفى عنه هذه الصفات لأن:

---

(1) سويس حمد/ لكن النبى كان تاجراً/ صحيفة الجماهيرية العدد 132 الصفحة الخامسة.

1 ـ المؤتمرات الشعبية هى التى تضع هذه القوانين وبالتالى فإن قوة إلزام هذه القوانين تكون نابعة من مصدرها.

2 ـ إنها قوانين شمولية تحيط بمصالح كل الجماهير، ولا تقصر حمايتها على مصالح طبقة أو فئة معينة وبالتالى فإن هدفها هو تقنين العلاقات الطبيعية المؤدية لتحقيق مجتمع العدل والمساواة[1].

3 ـ إن هذه القوانين هى بمثابة ترجمة لمقولات النظرية الفقهية التى تستند إلى القواعد الطبيعية، وهى لذلك لا يمكن أن تكون ضد الحرية، بقدر ما هى تنظيم لممارسة الحرية ومن هنا فإن المواجهة بين القواعد/ ذات المضمون الثورى/ وبين الثقافة السائدة لا يمكن أن نخضعها للشكل التقليدى/ حيث تطارد القوانين الثقافة اليمينية وتحاول ضربها بدعوى خروجها عن القانون/.. ولكن يمكننا أن نقول إنها مواجهة متكافئة لأن القوانين ستفجر صراعاً حاداً بينها وبين الثقافة السائدة، ولا يمكن هنا أن نقول إن اختصار المسافة بين الحل النظرى والممارسة الإجرائية يمكن أن يتحقق بطرح الثورة لثقافتها الجديدة فى مواجهة متكافئة مع الثقافة اليمينية دون أن نحدد كيف يتم ذلك، أو أن نتحدث عن ذلك من خلال طرح «عائم» غير محدد، ذلك لأننا تجاوزنا الحديث العائم إلى مرحلة الإنجاز العملية، وهذه الأخيرة لا تخضع لمثل هذا التحليل الذى يقف عند حد القشرة.. كطرح الكاتب الداعى إلى إقامة مؤسسات اشتراكية إنتاجية حقيقية دون أن يبين الكيفية، ثم إن الكاتب يقع فى خطأ فادح حين يقول أن تنجز الثورة برنامجاً عملياً لصيقاً بالجماهير يحقق شعار «الثورى أول من يضحى وآخر من يستفيد»[2].

---

(1) زاهية محمد على/ متآمرون لكن أبرياء/ صحيفة الجماهيرية العدد 121.

(2) سويس حمد/ لكن النبى كان تاجراً/ صحيفة الجماهيرية العدد 132 الصفحة الخامسة.

فتحقيق الشق الأول من الجملة هو هدفنا جميعاً، ولكن الفارق هو أننا لا نكتفى بمجرد الحديث العادى، ولكننا نبحث جدياً فى ذلك عن طريق طرح التقنين، أما التناقض الذى وقع فيه الكاتب فهو فى الشق الثانى حيث أنه خلط بين المواطن العادى والثورى ووقع فى نفس خطأ الماركسية التى أرادت لكل شخص يرغب فى الاستفادة أن يكون بروليتارياً!!!..

« **أربعة** » :

إن صفة التقديس التى نصف بها القوانين الجديدة هى صفة مجازية فقط، نصفها بها لكون الجماهير فى المؤتمرات الشعبية هى وحدها التى تضعها، وبما أن الجماهير/ هى وحدها المقدسة/ فإن القوانين التى تصدر عنها هى أيضاً مقدسة باعتبار أن تجاوزها هو تجاوز للسلطة الشعبيـة.. ويمكن القول نهاية إن القوانين فى هذه الحالة لا يمكن أن تكون بأى حال من الأحوال عدواً لذات الجماهير التى سنتها وأقرتها..

هل تنتصر الانتهازية؟(*)

من أبرز مهام اللجان الثورية ممارسة الرقابة الثورية وكشف متجاوزى الحدود ومستغلى النفوذ وتحريض الجماهير على مداهمتهم والقضاء عليهم وبالطبع فإن كل ما سبق ذكره يتطلب أن تكون اللجان الثورية يقظة دوماً وحريصة على أن لا تمتد أيدى العابثين إلى سلطة الشعب ذلك أن أى تخاذل أو تهاون فى صفوف القوة الثورية يعنى فتح ثغرات يسهل منها دخول المشككين والرجعيين والانتهازيين. . الخ. هؤلاء الذين يؤمنون بأنه ليس هناك أسهل من وضع العراقيل أمام الجماهير لتحيد عن ممارسة سلطتها وامتلاكها لثروتها، وسلاحها، وهـذا يعنى أن أى ازدياد فى عـدد القوى المعادية للثورة وللجماهير يظهر فى المقابل تهاون القوة الثورية فى أداء مهامها الرئيسية والتى فى مقدمتها استقطاب العناصر الملتزمة والدعاية للثورة وتحريض الجماهير أكثر فأكثر على ممارسة العمل الثورى.

إن أكثر ما يلاحظ هذه الأيام هو التركيز الإعـلامى «عبر الصحف الصادرة عن اللجان الثورية» على كشف الانتهازيين الذين تغلغلوا داخل صفوف القوة الثورية ذاتها، رغم أن هذا الكشف يأتى وكأنه اعتراف صريح بتقصير اللجان الثورية الذى وصل إلى درجة دخول الانتهازيين الى مختلف

(*) نشرت بصحيفة الطالب عدد 8 - 11 - 1981.

المواقع الحساسة لمجرد رفعهم لشعارات ثورية تقف عند حد الهتاف والصراخ أمام القائد والجماهير وذلك كدليل على «شرعية ثوريتهم»، قلت رغم أن التركيز على كشف الانتهازيين بشكل مكثف يساعد على معرفة أساليبهم التى يتبعونها للوصول إلى غاياتهم إلا أنه:

1 ـ يرسم صورة غير جيدة للطريقة التى تطبق بها سلطة الشعب فى الجماهيرية فكأن كل أمناء اللجان الشعبية النوعية وأمناء اللجان الشعبية العامة أو بالمختصر المفيد كل من صعدته الجماهير ليتحمل مسؤولية تنفيذ قراراتها وتوصياتها فى المؤتمرات الشعبية قد أصبح انتهازياً يعمل بمبدأ الوساطة والمحسوبية مرتكزاً على استخدام نفوذه وصلاحياته كأمين لتمرير أوراقه الخاصة بالإضافة إلى أوراق أهله وأصدقائه وأصدقاء أصدقائه، وكأن كل الأمور فى الجماهيرية قد أصابها الشلل نتيجة للإهمال، وبالطبع فإن هذه الصورة التى يرسمها التركيز المكثف على الانحرافات تعطى القارىء انطباعاً غير موضوعى تماماً عن الوضع.. صحيح أن هناك انتهازيين دخلوا من فجوة التقصير وجسدوا تصرفاتهم البيروقراطية والبرجوازية والمحسوبية، وجعلوا من المواطن الكادح أضحوكة يتسلون بها، ومن عبارة فى خدمة الجماهير ومن الشعارات الثورية ما يظنون أنه كفيل بتغطية أعمالهم الاستغلالية، وصحيح أيضاً أن هناك من أرادوا أن يجعلوا من مراكزهم الوظيفية وسيلة يعودون عن طريقها لمجتمع القلة وتركز ثروة المجتمع فى أيدى معروفة إلى الظهور من جديد بعد أن كان من المفروض أنه بظهور النظام الجماهيرى وبممارسة سلطة الشعب واقعياً ستختفى كل المبررات التى كانت فى السابق تعطى الصلاحية للقلة للسيطرة على بقية أفراد المجتمع واستنزافهم بمختلف الطرق.. صحيح أن هذه العناصر موجودة فى مجتمعنا الجماهيرى ولكن هذا لا يعنى أن كل الأشياء تسير فى طريق معوج..

2 ـ إن هذا الكشف وقف حتى الآن عند حد القول ولم يتجاوزه إلى مرحلة العمل الحقيقى وفى هذا إحداث لتناقض فى عقل المواطن.. إذ أنه

يعلم جيداً مواطن الأخطاء لكنه لا يعرف لماذا لا تصلح هذه الأخطاء؟ ولماذا لا تقضى قوة الثورة على العناصر السيئة لسلطة الشعب؟ ولماذا لا يكون هناك تحرك سريع للجان الثورية يقابل تحرك الانتهازية للسيطرة على المواقع التى من خلالها تستطيع تجسيد آرائها إلى واقع عملى ملموس؟؟

3 ـ إن التركيز على كشف الانتهازيين ومدى تغلغلهم فى الإدارات الشعبية يعتبر وسيلة دعاية سيئة لسلطة الشعب وللنظام الجماهيرى الذى تحاول القوة الثورية الحقيقية العاملة فى صمت ودونما شعارات زائفة ترسيخه فى هذا المجتمع وذلك لأن الصحف الصادرة عن اللجان الثورية لا توزع داخل الجماهيرية فحسب بل فى عدد كبير من بلدان العالم وهذا لا يعنى أن تتحول هذه الصحف الى مجرد أبواق دعـائية جـوفاء للثـورة بل إن المقصود هو التركيز على الجوانب العملية لدور اللجان الثورية فى تحريض الجماهير على ممارسة السلطة وترشيد المؤتمرات الشعبية ومداهمة أوكار الاستغلال، ذلك لأن الأشياء العملية تفرض نفسها أكثر من تدبيج المقالات الملتهبة دون ممارسة فعل تصحيح الانحراف.

4 ـ كذلك فإن هناك تساؤلات عديدة قد طرحت حول انتهاء دور اللجان الثورية على المستوى الاجتماعى؟ وحول توقف المداهمات الثورية وحول جمود دور اللجان الثورية؟ وهذه التساؤلات تبين أمراً خطيراً وهو تحول مفهوم اللجان الثورية ودورها فى المجتمع الجماهيرى وكأنهـا قد صارت آداء فوقية محتكرة لصالح «بعضهم» وليست تنظيماً مفتوحاً أمام أى فرد من الجماهير يقتنع بأنه عبر اللجان الثورية يستطيع أن يقدم دوراً عظيماً فى ترسيخ قواعد المجتمع الجماهيرى، بل كأن اللجان الثورية قد أصبحت محصورة فى أفراد معينين.. إن تحركوا أحدثوا فعلاً وإن لم يتحركوا بقيت المثابات الثورية مجرد ملتقى لمن لا عمل لهم.. ورغم أن ذلك بعيد كل البعد عما جاء فى البطاقة الخضراء حول مهام اللجان الثورية والذى ينص على أنه «ليست فى مهام اللجان الثورية تولى السلطة وإلا كانت إحدى الأدوات الدكتاتورية التى تمارس السلطة دون الجماهير وبالنيابة عنها».. إذاً

فاحتكار المثابات الثورية من قبل أفراد معروفين ومعدودين وعدم محاولة هؤلاء الأفراد استقطاب العناصر الملتزمة إليه مما يجعل المواطن ينظر إلى عضو اللجنة الثورية كما ينظر إلى أحد رجال المخابرات نظراً لأنه يعتقد أن لا فصل بين الثورة والسلطة ومما ساعد على تجسيد هذا المبدأ فى ذهنه تصرفات بعض أعضاء اللجان الثورية غير المسؤولة وغير الواعية وكذلك تهاون الأعضاء الآخرين فى العمل الجاد على إزالة هذه العقدة المترسبة فى نفسية المواطن، وهذا هو بالتأكيد السبب الرئيسى لإحجام المواطن عن الالتفاف حول قوة الثورة ناهيك عن الانضمام إليها، لأن جدلية الصراع بين عقدة الخوف وبين الفهم والإيمان فى نفسية المواطن هى التى تجعله يقف صامداً وسلبياً أمام كل المتغيرات التى تحدث حوله، وكثير من المحجمين عن ممارسة العمل الثورى لا يفعلون ذلك بدافع معاداة الثورة لأن الثورة جاءت فى الحقيقة لصالح أغلبهم ولكن لأنهم يرون أن الانتهازيين قد سيطروا على كل شىء فى المثابات وأنهم فى حالة دخولهم بصدق وقناعة إلى المثابات الثورية سيصدمون عاجلاً أم آجلاً بالانتهازيين ولذلك فإن أفضل الحلول قبل أن تحدث كل هذه المشاكل هى ممارسة السلبية. .

إذن فالدعوة المطروحة الآن أمام اللجان الثورية هى تصحيح مسارها بحيث لا تترك فرصة أمام الانتهازية للسيطرة على المثابات الثورية ثم بعد ذلك الانطلاق للالتحام بالجماهير وترشيدها وتحريضها وستلمس القوة الثورية تجاوب الجماهير معها ذلك أن أصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة هو المعنى بالدرجة الأولى والأخيرة للمحافظة على الثورة وممارستها.

عندما يتجاوزون حدودهم (*)

استدراك أول :

« المرأة والرجل متساويان إنسانياً بداهة »

يقولها من يفهم أبعادها وينعكس فهمه على سلوكياته الحياتية بما يوافق لفهمه لهذه الأبعاد . . ويقولها من لا يفهمها لمجرد إثبات الفهم وإبراز التفوق الفكرى وتثبيت الممارسات السلوكية التناقضية وأزمة الوعى المفقود عند المتشدقين بما لا يفقهون . . هذه المقولة نقطة أولى وقاعدة انطلاق رئيسية وطرح إنسانى يفترض ألا يختلف عليه اثنان فى أى مكان فما بالك إذا كانا عضوين فى التنظيم الثورى . . وفى هذه المرحلة بالذات . . غير أنه يبدو أن عدم الاختلاف المقصود هنا يتعلق بالناحية النظرية ولا يتعداها إلى الممارسة والتطبيق العلمى .

* « إن المرحلة اليوم تفرض علينا أن نعبىء كل قوانا رجالاً ونساء لنكون بمستوى التحدى الذى نواجهه » .

نقاط فاصلة .

يقول الموقف الآن إن ما يحدث فوق الساحة العربية أمر لم يعد

(*) نشر بجريدة الزحف الأخضر عدد 20 - 9 - 82 .

يحتمل النقاش .. وأن المطلوب تعبئة كل قوى الثورة فى الجماهيرية والوطن العربى للدخول فى معركة مواجهة ضد الخطر الآتى من الأمام والخطر المحدق بنا من الخلف خاصة بعد أن أضاءت نار حرائق بيروت ظلمة الأزمة القاتلة وأظهرت كل الوجوه البشعة التى ساهمت فى الجريمة والتى كانت متسترة لظلمة التدجيل على الجماهير وتزوير الأحداث وتزييف المواقف وصبغها بصبغة النضالى وهو اللفظ الذى منحتة كل التنظيمات السياسية فى الوطن العربى لنفسها .. من أول تنظيم يمينى غارق فى النضال ضد الجماهير حتى شحمة أذنيه حتى آخر تنظيم يسارى أكسب إلى جانب صفه النضالى صفات أخرى تقدمية ختم بها جواز مروره إلى الشارع العربى .. وأن هذه التعرية التى قدمتها بيروت ضحية النضال العربى التقدمى هى التى أسقطت حتى وريقات التوت الأخيرة عن كل الأنظمة العربية ممثلة فى رموزها الحاكمة ومن ورائها من تبع إذلاء .. أو هذا كله يلقى المسؤولية كاملة على عاتق قوة الثورة بحيث يتجه دورها فى المرحلة القادمة إلى اتجاهين :

تجاه يهدف إلى دفع التغييب عن الجماهير العربية المسلوبة الإرادة والتفكير .. واستبدال حقن التخدير بجرعات متتالية من الوعى القومى وإيصال هذه الجماهير إلى مرحلة النضج المتكامل حيث ترتفع بفعلها من مجرد ثرثرة رجل شارع عاد إلى موقف ثورى محدد وهذا بالطبع لا يتم بالتعامل مع أى تنظيمات تتخذ شكلاً رسمياً مقولباً ومحدداً بتسمياتها تقدمية جداً ولكن يتم بالتفاعل مع الجماهير ذاتها واستغلالها حماسها العاطفى وكفرها الآنى بكل التنظيمات القومية الفاشلة التى تفرض وجودها بالقوة القمعية والارهاب المقنن .. أما الاتجاه الثانى فهو أن تعمل اللجان الثورية داخل الجماهيرية على دفع قوى الجماهير لتصل إلى مرحلة الشعور بالخطر وبالتالى لتتخذ فى مؤتمراتها الشعبية كل الوسائل التى تمكنها من مواجهة هذا الخطر ابتداء من تخفيض الاستهلاك إلى أقصى درجة ممكنة ومروراً بزيادة معدلات الإنتاج وذلك بزيادة الجهد المبذول ولتشغيل كل الشرائح

المستهلكة وغير المنتجة من نساء معطلات قابعات فى البيوت ، من طلاب. لم يستوعبهم برنامج التشغيل الفاشل ومن الشرطة والجيش النظامى وكذلك تحقيق الحد الأقصى من السلاح ورفع الكفاية القتالية للمواطنين بالإسراع فى تحقيق الشعب المسلح . . هذا قليل من كثير ستلتزم قوة الثورة بتوعية المؤتمرات الشعبية به . . وقوة الثورة هنا المقصودة والمعنية بالأمر تضم الرجال والنساء والجماهير المنتظمة فى مؤتمرات شعبية هى جماهير النساء والرجال وبالتالى فإن المعنيين بالتحريض والترشيد هم من الرجال والنساء والمدعوين إلى الاستجابة للتحويض واتخاذ القرار الصحيح وتحمل تبعاتهم هم أيضاً من النساء والرجال من هنا يصبح نوع من الغباء المطلق أن نحاول من ناحية السير فى اتجاه تقدمى ثم يأتى من يتخذ قراراً يرتد بنا مليون خطوة إلى الوراء . . أقصد أنه فى هذه الفترة وفى فترات سابقة حققت المرأة بعض النجاحات وانتصرت اجتماعياً على كثير من العراقيل والعقد الملتوية بدفع مستمر من القائد وبتضحيات جمة من كثير من الفتيات .

* يقول الكتاب الأخضر إن المرأة والرجل متساويان فى الحقوق ويختلفان فى الواجبات وهذا طرح عام ودائم ولا يتوقف عند حدود مرحلة معينة . وتتطلب معركة الجماهيرية ضد التخلف أن تقوم المرأة بأعباء مرحلية ولا يجب هنا مناقشة ما إذا كانت هذه الأعباء أكثر أو أقل مما ينبغى على المرأة أن تَعمله . . وتتطلب قضية الحرية التى لا تفصل عسفاً وجوراً بين المرأة والرجل أن تكون المرأة عضواً فى المؤتمر الشعبى لتمارس السلطة . . ومتحررة اقتصادياً من ربقة استغلال الحاجة وأن تتلقى العلوم العسكرية لتحقيق الجزء الثالث من الشعار . . وتطلب منها المرحلة الحالية أن تتبنى مواقف أكثر شجاعة كرد فعل للوضع القائم فى الوطن العربى فأمامها الرهبنة الثورية . . وأمامها العمل الفدائى . . وأمامها تفجير الصراع الاجتماعى للقضاء على كل المعوقات التى تعرقل سيرها نحو الشمس . . والموقف الطبيعى تماماً والمتمشى مع هذه القفزات الجريئة للمرأة ألا تصدر أى قرارات تكون مبرراً لأى خطوات تراجعية وانكماشية فى صفوف النساء

فى نفس اللحظة التي قد يستغلها اليمين البرجوازى كورقة مزايدة للتدليل على أن ما يقال نظرياً منفصل تماماً عما ينفذ واقعياً . . ولنتوقف طويلاً عند القرار الذى اتخذته اللجنة الشعبية للعدل والقاضى بمنع سفر الليبيات بمفردهن إلى الخارج وقبله اتخذت نفس اللجنة الموقرة قراراً يمنع نزول أى فتاة بمفردها فى أى من فنادق الجماهيرية . . مهما كانت مبررات الإقامة وأسبابها . . ولست أدرى ما إذا كانت. اللجنة الشعبية للعدل تنوى إقامة « بيوت إقامة » مطوقة برجال الشرطة والمخابرات لإقامة من تأتى فى مهمة عاجلة إلى (طرابلس) مثلاً ولا يكون لديها أقارب تأوى إليهم حتى الانتهاء من عملها ؟ ؟

. . عموماً لنكن أكثر موضوعية وتعامل بالمنطق ولناخذ قرار اللجنة الشعبية للعدل ولننظر إليه من زوايا عديدة أو لنقل لندرسه شكلاً ومضموناً ، وبداية نقول إن الفصل الأول من الكتاب الأخضر يقـول إن المؤتمرات الشعبية وهى التى تقرر القرار وإنها تصعد لجاناً شعبية لتنفيذ القرارات وليس العكس والذى حدث أن ما جاء عن اللجنة الشعبية للعدل هو قلب لهذه المعادلة وبالتالى خرق صريح لسلطة الشعب إذ أن اللجنة الشعبية هنا هى التى اتخذت القرار وهى التى أنابت أو حلت كل المؤتمرات الشعبية التى وحدها تملك شرعية إصدار القرارات ، والزام اللجان الشعبية بتنفيذها ـ أما أن يحدث العكس فهذا تجاوز خطير يحتاج إلى معالجة سريعة وتتطلب هذه المعالجة أن تعى الجماهير بهذا الخرق وأن تقوم اثناء انعقاد المؤتمرات الشعبية وعن طريق « المراجعة الديمقراطية » كما جاء فى الفصل الأول بتصحيح هذا الانحراف عن سلطة الشعب بحيث تلغى هذا القرار الباطل « ما قام على أساس باطل فهو باطل » وتبين اللجان الشعبية حجمها الحقيقى وحدود اختصاصاتها بحيث لا تتعداها مستقبلاً إلى ما هو أخطر من مجرد قرار رجعى يحد من حرية المرأة . . هذا من ناحية القرار كقرار أما فيما يتعلق بمضمـونه فقصتـه طويلة بقـدر ما هى مضحكـة . . هى محـزنـة ومبكية . . واسمحوا لحكاية صغيرة أن تمر إلى أذهانكم . . حيث حدث أن

وفداً من الشباب الليبى الذى تم تشكيله للمشاركة فى المهرجان الأول لشبيبة الدول المطلة على حوض البحر المتوسط ـ كان يستعد لمغادرة أرض الجماهيرية إلى أسبانيا حيث مكان انعقاد المهرجان ولكن فى مطار طرابلس العالمى واثناء المغادرة اثار الضابط المسؤول عن خروج المسافرين عاصفة من الزمجرة والوعيد عندما اكتشف قبيل موعد اقلاع الطائرة بنصف ساعة أن هناك فى الوفد خمس فتيات تتراوح أعمارهن بين 16 إلى 20 سنة وهن ممن ينطبق عليهن قرار اللجنة الشعبية للعدل يمنع سفر أى لبيبية فى مثل هذه السن إلى الخارج بمفردها ودون مصاحبة محرم ومبررات الخروج حتى ولو كان الخروج لأجل مهمة رسمية . . وبالطبع لم يفهم الضابط المسؤول معنى كلمة « وفد » ، « مؤتمر » ، « مهمة » . . وأغلق أذنيه ولم يفتحها إلا عندما وقف أمامه ضابط أعلى منه رتبة وأفهمه معانى الكلمات السابق ذكرها . . .

هذه قصة بسيطة وربما هى واحدة من آلاف غيرها وهى تعنى لمن يفهمون مدى رجعية وعسف القرار أشياء كثيرة ـ أما بالنسبة للذين لا يفقهون من الأمر شيئاً فنقول لهم إن هناك كثيراً من النقاط ينبغى أن تدخل إلى أذهانهم وهى . .

● إن الالتزام الاخلاقى لا يمكن أن يفرض بقانون دكتاتورى ما لم يلزم الإنسان نفسه به وأن قناعات الإنسان سواء كانت فى اتجاه سلبى أو إيجابى أقصد سواء كانت متوافقة مع القيم الأخلاقية المطلوبة أم ضدها هى التى تفرض على الإنسان سلوكيات معينة ولا أعتقد أن القرار سيلغى أو يحد من هذه السلوكيات مهما كانت درجة إغاله فى الدكتاتورية . . وما لا يمارس فى الخارج يفعل أسوأ منه فى الداخل . .

● إن الأخطاء التى ترتكب والممارسات التى تعدها اللجنة الشعبية للعدل منافية للاخلاق تمارس من الطرفين ـ أقصد أنها ليست متوقفة على النساء فقط . . وحتى إذا افترضنا أن القرار كقرار صحيح ولا يخالف سلطة الشعب فإنه كان الأولى باللجنة الشعبية للعدل أن تكون عادلة على الأقل

انصافاً للإسم الذى تحمله حيث كان من المفروض أن يكون قرارها عاماً أى أن يطبق على كل من الطرفين (نساء ورجالاً) خاصة وأن ما يرتكبه شبابنا (المناضل) فى الخارج لا يخفى على أحد هذا وإن التزامة بأخلاق الإسلام بلغ من التطرف أن انقلب إلى النقيض تماماً . تشهد على ذلك بارات « بولندا وأسبانيا واليونان » حيث تستقبل كل عام أعداد كبيرة جداً من الشباب الليبى (المفرغ) من أى محتوى . .

• وما دام الرجل والمرأة متساويين فى الحقوق وما دام من حق الرجل أن يخرج للسفر بمفرده مهما كانت الأسباب فإن من حق المرأة أيضاً أن تسافر دون أن يقف قرار اللجنة الشعبية للعدل حائلاً أمام حق من حقوقها .

• إن هذا القانون فى الواقع هو عقبة رئيسية كان يجب ألا تكون خاصة وأن كثيرات كن يطمحن لطرح أمور أكثر تقدماً وأكثر إطلاقاً لحرية المرأة مثلاً سفر الفتيات الليبيات فى بعثات دراسية عالية إلى الخارج . . إرسالهن فى مهمات عمل أسوة بأعضاء التنظيم الثورى من الرجال . . ألخ . . هذه الطموحات والآمال يحاول خنقها الآن قرار متواطىء مع التخلف . . !!

• وهذه ليست دعوة للإباحية بقدر ما هى مسألة ملحة وعاجلة ولنطرح على أنفسنا سؤالاً : هل نسعى فى عصر الجماهير إلى خلق الإنسان الذى يلزم نفسه بنفسه أم ندمر فى الإنسان شعوره واعتزازه بذاته وبوجوده المستقل حيث نجعله إمعة . . وتابعاً ذليلاً للقوانين الجائرة ؟؟

• وفى كل الأحوال فإن المطلوب هو عدم الاكتفاء بمهاجمة القرار ونعته بمختلف النعوت بل إن الموقف الواعى والصحيح هو دفع المؤتمرات الشعبية إلى إلغائه باعتباره تجاوزاً لسلطة الشعب أولاً وباعتباره مناقضاً للحرية ثانية . . وأن هذا موقف يظهر فيه مدى وعى قوة الثورة أقصد عضوات اللجان الثورية « وقدرتهن على التحريض » وكذلك مدى رغبة النساء فعلاً فى التغيير نحو الأفضل . .

متآمرون لكنهم ابرياء(*)

بداية تواجهنا أسئلة كثيرة : عن الأخطاء التى تحدث يومياً فى تطبيق الاشتراكية ؟ وعن الممارسات الخاطئة التى تلصقها القوى الرجعية بجوهر الطرح الإيديولوجى الاشتراكى ذاته محاولة تأليب الجماهير ضد اختيارها الطبيعى للاشتراكية كطريق وحيد لصنع المجتمع المتحرر من ربقة الاستغلال والعبودية وكذلك لصرف نظرها والهائها عن المسبب الرئيسى لهذه الأخطاء . . كى يسهل بعد ذلك سرقة الثورة وتفتيت المجتمع الجديد عن طريق مؤسساته الاشتراكية ذاتها . .

إن هذه ملاحظات جوهرية ومدخلاً لابد منه لفهم أبعاد المشكلة ولإزالة التناقض الذى تعيشه الجماهير حيث تؤمن الجماهير الكادحة . . البسيطة المنحازة للثورة بكل الأطروحات النظرية التى يتضمنها الكتاب الأخضر . ولكن هذه الجماهير تقع فى الأزمة عندما تجد أن هناك هوة عميقة بين ما تؤمن به وتعتقده وبين ما يطبق واقعياً كتجسيد مشوه بكل المقاييس لما تطرحه النظرية . . وإنه ليس بالأمر الهين أبداً أن تجد فى الشارع من يقول لك : أنا أؤمن بالنظرية لكن الذى أؤمن به شىء والذى أراه شيئاً آخر والشىء الآخر الذى يقصده هذا المواطن هو : نشاط القوى الرجعية المضاد

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد لسنة 82 م .

وتصيدها لكل أخطاء التطبيق وتشويه التجربة بالعمليات التخريبية فى القطاع الاشتراكى بدءاً من الوكلاء التجاريين والسماسرة وتدبيجهم للصفقات السرية وارتباطاتهم المشبوهة بدوائر الاحتكار العالمية ومروراً بالمحاولات الجادة لتعطيل العمليات الإنتاجية أو تخفيض الإنتاج كأضعف حل يصلون إليه وانتهاء بالدعوة إلى دعوة التجارة الخاصة كحل مؤقت يطرحونه لمواجهة عجز شركة التسويق عن توفير السلع .. ناهيك عن الضغوط النفسية التى يمارسونها بواسطة نشر إشاعاتهم المتعفنة ليقودوا بها الشارع الليبى فى الاتجاه الذى يرغبونه مستغلين نقص وعى الشارع الليبى وانقياده السريع لتأثيرات الثقافة اليمينية السائدة الضاربة اطنابها طولاً وعرضاً فى العقول وكذلك غياب القوة الثورية عن ساحة الفعل الثورى الحقيقى .. إن هذه الأزمة تقودنا إلى محاولة إيجاد حلول جذرية من موقع المسؤولية الثورية .. وهنا تكمن الصعوبة بعكس المجتمعات التقليدية التى تسير بأدوات فوقية حيث نجد أن محاولة إصلاح أى أعوجاج يحدث فى مؤسسات الدولة التقليدية يكون عن طريق سن المزيد من القوانين التعسفية والتى تجسد العلاقات الظالمة بمختلف صورها البشعة القامعة لحرية الإنسان والمكبلة لإرادته مقابل حفاظ النظام الحاكم **(أياً كان)** بواسطة هذه القوانين على مصالحه وعلى **مؤسساته** القائمة برعاية هذه المصالح .. وبالطبع ولكى يضمن هذا النظام الزام الناس بطاعة القوانين (التى لا تلزم الناس ذاتياً بطاعتها) ، لذا فإنه لا بد وأن تكون هناك أجهزة قمع تفرض سيادة القانون بحد السيف وتبنى السجون ومراكز البوليس كعلاج ناجح لتقويم السلوك المنجرف (من وجهة نظرها) عن القوانين التى وضعتها الفئة أو الجهة أو المجموعة المسيطرة على الحكم وفى ظل هذه الوضعية تزدهر العلاقة العكسية بين زيادة دقة القوانين وبين تحلل الإنسان من الالتزام **الأخلاقى** النابع من الوازع الذاتى فكلما زادت القوانين المجسدة والمقننة للعلاقات الظالمة فى المجتمعات التقليدية كلما كان الإنسان مجبراً على طاعتها بفعل أجهزة القمع وهنا يحل القانون الظالم محل الالتزام الذاتى ..

إن هذا الاستعراض السريع لا يعنى رفض فكرة القانون فى حد ذاتها

بل يعنى رفضاً لنوعية معينة من القوانين . . تلك النماذج القاصرة والمنحرفة التى قننت بواسطتها العلاقات الظالمة فى المجتمعات التقليدية وقد يتساءل أحد ما عما إذا كان المقصود هو سيادة القانون فى المجتمع الجماهيرى ولكن هذا التساؤل ينتهى حين نعرف محتوى القانون هنا والضرورة الملحة التى تدعو إلى الإسراع فى تقنين مقولات النظرية . فالفهم العميق لأطروحات النظرية لا يكفى للقضاء على الممارسات الخاطئة قضاء مبرماً . . . إن الأمر يتطلب أكثر من مجرد الفهم والوعى بالمشكلة . . ولنأخذ التساؤلات بطريقة منظمة محاولين الإجابة عنها :

فمن حيث الضرورات التى تدعو إلى إيجاد قوانين مقدسة مصاغة بطريقة جديدة لتطبيق مقولات النظرية يمكن إيجازها فى :

1 ـ وضع حد للممارسات الخاطئة التى تحدث يومياً فى المنشآت والمؤسسات الاشتراكية وهذا يؤدى إلى ردم الهوة والفصل الذى كاد يترسخ فى ذهن المواطن عن شقى النظرية : النظرى والتطبيقى (العملى) .

2 ـ إن تقنين مقولات (الكتاب الأخضر) هو درع تصنعه الجماهيرية لحماية حريتها وهو ضرورة لمنع الردة والانتكاس .

3 ـ إن هذه القوانين هى بالضرورة قوانين شمولية تحيط بمصالح كل الجماهير ولا تقصر حمايتها على مصالح طبقة أو فئة معينة . . وبالتالى فإن هدفها هو تقنين العلاقات الطبيعية المؤدية لتحقيق مجتمع العدل والمساواة .

4 ـ وجود القوانين القديمة كعائق خطير أمام الاشتراكية ، على سبيل المثال هناك كثير من صيغ القوانين القديمة تبرىء من يمارس التجارة ولا تجرمه وكذلك ينبغى أن لا ننسى أن أغلب القوانين القديمة هى قوانين منقولة عن القانون المصرى المنقول عن قوانين نابليون !! ومن هنا تبرز

ضرورة الغاء هذه القوانين الرجعية وإحلال البديل الصحيح مكانها إذ أن التثوير ينبغى أن يطال النصوص القانونية ولا يقف، عند حد الأفكار القانونية الجديدة وهنا قد نجد من يسألنا عما إذا كان إصدار قوانين تترجم مقولات النظرية العالمية الثالثة سيحد فعلاً من الممارسات الخاطئة وهنا نجد أن غياب القانون قد يكون مبرراً قوياً للتجاوز إذ قد ينتهز استغلالى ما عدم وجود قانون يجرم التجارة (استناداً إلى المقولة الفقهية التى تقول بأن التجارة ظاهرة استغلالية) ويحاول ارتكاب المزيد من عمليات التخريب والفساد لمحاولة إعادة التجارة الخاصة أو بعقد الصفقات السرية حتى إذا ما ضبط وأدين ثورياً نفاجأ بوقوف نصوص القانون الرجعية التقليدية معه مساندة ومساعدة ومبرئة له .

إن تقنين مقولات النظرية لايمكن أن يكون ضد حرية الإنسان بقدر ما هو تنظيم لممارسة الحرية حتى لا تشلها يد العابثين والمفسدين الذين يريدون تحويل المجتمع الجماهيرى إلى مجتمع فوضى وغوغائية لتسهل بعد ذلك إنتكاسته .

ومن البديهى جداً أن لا نناقش من يضع القانون باعتبار أن سلطة الشعب وفقاً للنظرية العالمية تعطى المؤتمرات الشعبية وحدها حق التشريع ومن هنا فإن تقنين مقولات النظرية أمر تصنعه الجماهير من خلال المؤتمرات الشعبية الأساسية ومن هنا فإن قوة إلزام هذه القوانين تكون نابعة من المصدر (وهى المؤتمرات الشعبية فهى هنا هى التى تمنح القوانين حق تنظيم العلاقات فى المجتمع الجماهيرى) وهنا يبرز الدور الفعال لقوة الثورة وقيمة حضورها وترشيدها وتحريضها للمؤتمرات الشعبية حيث أن تقنين مقولات النظرية يحتاج إلى صياغة دقيقة وفى غياب الفعل الثورى داخل المؤتمرات الشعبية فقد تكون هناك فقرات فى القوانين يسهل معها التحايل عليها والتلاعب بها ومن هنا نرى مقدار أهمية صياغة القوانين بطريقة جديدة (غير القوانين الموجودة الآن مثل قانون الجرائم الاقتصادية الموضوع على النمط التقليدى ـ أو قانون رقم 4 الذى شوه مقولة البيت لساكنه) . .

إن التقنين الذى ندعو له بالإضافة إلى ما يطرحه من تغير جذرى فى أشكـال ومحتوى القـوانين التقليديـة فإنـه بما يحمله من مضمـون ثورى (وانطلاقاً من أن المتناقضات لا تلتقى إلا فى حلبة الصراع) سيفجر صراعاً بينه وبين الثقافة اليمينية التى تحـاول أن تسود فى المجتمـع . . . وهنا سيحدد الفعل الثورى ومدى إنتشاره من هو المنتصر ! !

أقوال موقوته(*)

(1)

أريد أو لا أريد... هذا ليس أمراً مهماً على الإطلاق... ما دمت أنت الذى تتخذ القرار...

(2)

يمتد الأمل حتى أعماقى... ينتزع جذور الخوف... (ها أنت التى كنت ترغبين أن تكونى)... أردد، ها أنا التى أرغب أن أكون...

أمدّ وصلة الأمل ابتداء منى إلى أعماق الآخرين... أحملها كلماتى «طهر قلوبهن من الخوف وامنحهن نقاء النفس والشجاعة»... غير أن الريح قوية... والوقوف فى وجه التيار وحيدة أمر خطر للغاية...

(3)

بداية، وحين عجزت كلماتى عن شق طريقها إليكن من أسهل الطرق قـررت اتخاذ أصعبها لتعرفن أن الأمـر يتعدى كثيـراً نطاق الإرهـاصات الصبيانية... فالأمر بات أخطر من ذلك... إن القضية باختصار تطرح على الشكل الآتى...

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد ( ) 16 - 8 - 1981 م.

إما أن نكون أو لا نكون . . .

إما أن نكون كما يجب أن نكون، أو نكون كما يـرغبون هم أن نكون . . . وحينها يتساوى وجودنا من عدمه بحكم انتهاء كل صلاحياتنا فى إتخاذ قرار لصالحنا . . .

(4)

نحن النساء . . . ينبغى أن يتم نسف هذا الواقع النتن على أيدينا . . . لأن فى رحم كل امرأة يكمن الخصب والنماء . . . فطوبى ليوم تنقلب فيه أوضاعنا نحو الأصح . . . وطوبى لمن يعرف منكم أيها الرجال أن النساء قنبلة موقوته تنفجر حينما تتراكم الأشياء :

• حين يزداد الأعداء بدرجة تجعلها تكتب مقالاً تعنونه بـ «مذكرات زوجة اسمها بطاطا»[1].

• حين يزداد الرجل «السيد» فهماً معكوساً «للنساء» «ناقصات عقل ودين» «والرجال قوامون على النساء» مما يجعله يتصرف معهن على أساس أنهن من الطبقة الثانية للبشر . . . وهذا يتـرتب عليه أن يكن خـاضعات قانعات . . . شـاكرات لفضـل الرجـل عليهن لكونـه لم يصنفهن بدرجـة البهائم . . .

• حين تكثر حالات الطلاق لكون الزوجة قد أنجبت كل أطفالها من جنس حواء . . . ولم تنجب أميراً متوجاً عليهن . . . يرعاهن بعينه الساهرة لأنهن قاصرات . . ناقصات . . لا يعرفن أبداً كيف يتصرفن فى غيابه .

• حين تزدان سجلات البلديات بأسماء أكثر ما يقال عنها أنها تشعر من يحملنها بأنهن مرغوب فيهن جداً سواء من الأسرة أو فيما يتعدى ذلك إلى نطاق المجتمع بأسره . . من ذلك مثلاً «كفاية» «فدينا» «ملينا» و «مقبولة»

---

(1) «مذكرات زوجة اسمها بطاطا» عنوان لإحدى مقالات صحيفة الجماهيرية .

هذه الأسماء فى الحقيقة تجسد نظرة الأسر الليبية إلى تزايد عدد البنات داخل الأسرة الواحدة مما يترتب عليه الضيق البالغ بهن، بحكم الفكرة السائدة من أن الفتاة عبء ثقيل يثقل كاهل الأب والأم على السواء. . .

الأب الذى يتمنى «ستره» على طريقتنا الشرقية ويخاف من «الفضائح».

والأم التى تخشى من بوار بضاعتها حيث يبقى هاجسها الدائم إيجاد أبناء الحلال الذين يريحونها منهن مقابل «عقد» أو «حدايد» ورداء «جديد» فى كل واحدة.

• حين تبدأ فقاعات الأوبئة والأمراض الاجتماعية فى التصاعد وتبدأ رائحتها تزكم الأنوف. . . طلاق. . . تشرد. . . إنحراف. . . جرائم. . . إنتحار. . . هروب. . .

وحين تشعر النساء بأنه يجب عمل شىء ما لتصحيح الوضع بمبادرة منهن. . . وليس بتحريض من أحد. . . لأن واقعنا الحالى واقع فى تناقضات عديدة من أغربها أن بعض الرجال ممن يملكون أفكاراً جريئة هم وحدهم دعاة النساء إلى الثورة. . . وإعلان حالة التمرد والعصيان. . . إن الثورة الحقيقية هى فى شعور المرأة بضرورة التغيير. . . هكذا بمفردها يجب أن تشعر بأهمية دورها. . . وتنهض بمفردها للقيام به دون مساعدة من أحد، ودون أن تعامل على أساس الوصاية. . . أو النيابة عنها فى التعبير. . . إننا كما نرفض فكرة النيابة عن الشعب ونعتبرها فكرة ديماغوجية مظهرها ديمقراطى وجوهرها دكتاتورى تعامل فى العالم باحترام رغم أنها فى الحقيقة حاجز شرعى أمام الجماهير لممارسة حريتها. . .

إننا مثلما نرفض هذه الفكرة كممارسة قمعية لحرية التعبير عند الشعب بصفة عامة ينبغى لنا أيضاً رفض تطبيقها ـ بكل أشكالها التى تتخذها ـ على النساء.

• حين يتزوج كل ليبى أربع نساء وذلك تنفيذاً (مقلوباً) لما جاء فى كتاب الله الكريم. . . (وتحملاً من الرجال الليبيين لمسؤولية قومية خطيرة وهى تحقيق التوازن بين عدد النساء والرجال وحتى تختفى حكاية «العوانس» وحتى تزدان البيوت الليبية بكتائب من الأطفال الذين هم عماد المستقبل والذين هم يزيدون من عدد أبناء يعرب حتى يستطيعوا التغلب على أعدائهم وحتى يكون لهم فى العالم مكان مرموق). . .

من المفترض أن يكون هناك تصفيق حاد كعادتنا لأن الفقرة السابقة من حديث لرجل تزوج أخيراً من فتاة صغيرة بعمر إحدى بناته وبذلك أصبح مجموع ما ملكت يمينه أربع جوار يركعن كالبهائم ما بين المطبخ والأطفال. . .

• وحينما يحدث كل ما سبق ذكره. . . حينها فقط يصبح خيط الأمل بقلبى أصلب من الجلمود ويصبح امتداده لغيرى لقلع جذور الخوف أمراً مرتبطاً بالوقت فقط. . .

(5)

إننى كفتاة ليبية. . . أعيش فى مجتمع يتعامل مع المرأة بأقل بكثير جداً مما يجب، وأشعر بمرارة لكل الترسبات البالية التى تمتلىء بها عقول الليبيين والليبيات ابتداء من الشرف المزعوم الذى لا يصان حتى يراق على جوانبه الدم. . . والسجن الإجبارى للمرأة. . . واتهامها بما لم ترتكبه، وتحميلها جريمة إخراج آدم من الجنة. . . والحور. . . وأنها الخمر وروائح الجاوى والبخور. . . ومروراً بمعاملتها على أساس صلاحيات يديها فى تدبير شؤون الطبخ والغسل والتنظيف والاعتقاد الجازم بأن المرأة (المثقفة) خارجة على القانون. . . والمرأة (الثورية) المحرضة على إعلان الثورة الاجتماعية. . . مدانة بإدخال أفكار غير معترف بها. . . ومحاولة إحداث شغب وفوضى اجتماعية. . . والمرأة الدمية التى لا تبحث إلا عن قدرها بيديها حيث تتخذ من نفسها معرضاً تشكيلياً يجذب إليه عيون الرجال

الليبيين الذين هم يتعاملون فى الواقع مع رسوم متحركة... هكذا أراد المجتمع... هكذا فعلت النساء لإرضاء المجتمع... وهكذا تظاهرن بالأدب والفضيلة ظاهرياً وفعلن ما لا يصدق فى الخفاء...

أعود إلى ما قلت فى البداية... إننى كفتاة ليبية... تعيش فى هذا المجتمع أعلن:

كما تتعرى لذاكرة النهر زنبقة النهر كالحلم ينطلق من حدق الآملين كالبحر، يذهب للموعد القادم أفتتح الآن بدايتى[2].

(6)

أقول لكم لا حل إلا الثورة... واللهم إنى أنذرت.

---

(2) مقطع «محور» من قصيدة الشاعر شوقى بزيع «عناوين سريعة لوطن مقتول» وقد غيرت كلمات فى المقطع لتتلاءم مع المعنى الذى أريده.

بين المد والجزر (*)

تساؤلات أولى: عن الموجة الرافضة. .

والغيمة الحبلى. . والفرح المنتظر. .
وعن مطر ينتظر الفرصة السانحة. .

وهذه أسئلة متمردة. . تحترق فى القلب ويرسم دخانها علامات استفهام كثيرة عن الذى كلمناه ولم يجب. .

وطرقنا أبوابه فلم يفتح. . واقتحمنا أسواره فقابلنا بصمت مبهم يعطى الفرصة للنيابة فى التفسير والتأويل والتحليل سواء اتخذ هذا التحليل إتجاهاً إيجابياً تقدمياً أو اتخذ اتجاهاً مضاداً تراجعياً متوافقاً مع ثقافة متخلفة سائدة ومسيطرة على الأذهان. .

إن حركة المد والجزر التى تتقاذف المرأة تصنفها فى خانة الفاعل فى أحيان قليلة وفى خانة المفعول به فى أغلب الأحيان وذلك لأنها هى بنفسها بسبب الترسبات التى علاها الصدأ قد ارتضت موقف السلب عنواناً تجلس خلفه فى استرخاء مكتفية به كبديل غير واعٍ لموقف أخر فى الجهة المقابلة تتطلب تحديداً حاسماً لكثير من القضايا قد تضطرها لخوض معارك عديدة تجد بسبب عدم تجذر وعيها إنها لا تستطيع خوضها أو كما أوهمها

(*) نشر بصحيفة الزحف الأخضر عدد « » 2 - 8 - 82.

الرجل إنها أضعف من أن تستطيع إحداث أى تغيير تتجاوز به أزمتها التاريخية الخانقة..

إن كثيراً من الذين ناقشوا بسطحية أو بتعمق قضية المرأة وجدوا أنفسهم منقسمين إلى مجموعتين.. المجموعة الأولى اعتبرت أن خروج المرأة من الأزمة مرتبط بشكل كبير بدرجة الوعى الذى يتناسب عكسياً مع الزمن..

أى إنه كلما ازداد وعى المرأة بالظروف التى تحيط بها وإزداد إدراكها لما تتقبله المرحلة منها كلما قلت الفترة الزمنية التى يحدث فيها طرح الفعل (البديل الواعى) والذى قد يتخذ فى بداياته أشكالاً توفيقية تحاول تحقيق توازن ولو نسبى بين ما تطمح هى إلى تحقيقه وبين الإطار الذى تريد الثقافة السائدة أن تحصرها فيه ولا تتجاوزه.. وهى لكى لا تظل فى عملية مراوحة مستمرة بين الموجود والمطلوب يدفعها نمو وعيها بشكل تصاعدى إلى تحقيق قفزات نوعية تتجاوز عن طريقها كثير من أنماط العرف السائد.. وتربط المجموعة الأولى خروج المرأة من حصار الموروثات الرجعية بنوعية التغير الاجتماعى الذى يحدث فى المجتمع.. هل هو تغير تلقائى يدخل ضمن الحركة الديناميكية للمجتمع أم هو تغير بالطفرة أى الفعل المقصود الذى نسميه (الثورة)..

أى إن هناك كثيراً من العادات تتغير بطريقة تلقائية بمرور الأيام على سبيل المثال ممارسة الفتاة لحقها فى التعليم.. الخ. ولكن الفعل الأكثر إيجابية والأكثر تقدمية وتطلعاً للأمام هو الفعل الذى يكون ناتجاً من نواتج التغيير بالطفرة وهنا يعتبر التغيير جزء غير منفصل عن حركة المجتمع بالكامل باتجاه التغيير السريع الفاعل والذى يتطلب تدميراً لكثير من المفاهيم التى كانت تسود مجتمع ما قبل التغيير المفاجىء.. خاصة وإذا كان لحركة التغيير الثورى إيديولوجية واضحة تسير بمقتضاها وأداة محددة نشطة تعمل على مواكبة الأغلبية لحركة التغير السريع..

وهنا يتمحور السؤال عن المرأة التى تجعلها ظروف المجتمع - الذى يعيش مرحلة تغيير ثورى - بشكل عام والعوامل الذاتية الخاصة بها تعيش تفاعلاً عميقاً يكون ناتجه إفرازات واعية حيث تبدأ هذه المرأة بتحديد موقفها من حركة التغيير فى المجتمع وذلك بانضمامها إلى الأداة الثورية وكذلك بتحديد موقفها من ظروفها الخاصة والتى هى بدرجة كبيرة مرتبطة بالمؤثرات الاجتماعية السائدة..

وهذا كله يجعل طرح السؤال الثانى أمراً تلقائياً وهو يتعلق بـدور العناصر النشطة داخل الأداة الثورية فى تحريك الأغلبية الخانعة السلبية النظرة والموقف. من ظروف المجتمع التى تحيط بها وكذلك تحديد دور الأداة الواعى من مختلف القضايا المطروحة وإلى أى مدى تستطيع الأداة ذاتها أن تكون فى مستوى الإستجابة المطلوب؟؟

قلنا إن المجموعة الأولى ترد أمر خروج المرأة من الأزمة إليها هى نفسها وتربطها ربطاً شرطياً بالوعى أما المجموعة الثانية فترى أن النساء اللائى استطعن الخروج من دائرة تأثير الموروثات الثقافية والدينية المتكلسة واللائى استطعن مواكبة التغيير الثورى فى المجتمع بتصرفات واعية وفاعلة هن نساء قليلات تعد العوامل الذاتية مسببات مؤثرة جداً فى إفراز وعيهن.. وترى هذه المجموعة أن حرية المرأة مرتبطة إرتباطاً كاملاً برغبة الرجل فى منحها تلك الحرية من عدمها على اعتبار أن الرجل هو المسؤول الأول عن تغييب وعى المرأة وتخديرها خلال فترات طويلة من التاريخ مستغلاً فى ذلك كل وسائل التغيب والتحذير من مؤثرات ثقافيـة ومؤثرات دينيـة موغلة فى الـرجعية والتعفن.. مستخدماً حق الوصاية عليها فى تمرير كل حقن التخدير ممارساً بعد ذلك النيابة عنها فى كل شىء.. فى ممارسة حقها فى التعلم.. فى العمـل.. فى التصرف بحـرية.. فى التحـرك بحريـة.. وبالتـالى فـإن الرجل.. وفقاً لهذا الطرح، هو المسؤول عن تعطيل قدراتها وتحجيم دورها بحيث صارت صورة المرأة فى أذهان الأغلبية ذات علاقة وثيقة جداً ومباشرة وحميمة بالمطبخ + أدوات التنظيف + الأطفال + الـزوج العصبى الكسول

وتكون نتيجة هذه المعادلة عدم وعى + عبودية لا نظير لها + خوف مطلق.. وأصبح من الطبيعى جداً أن يرفض الرجل من الأساس صورة المرأة الفعل الثورى، النضال، الرهبنة.. إذ أنه من الصعب جداً على السيد أن يتصور ثورة عبيده عليه خاصة إذ كان هذا السيد قد بذل الكثير من الجهد لإقناع العبيد بقبول العبودية المكسوة بصورة مزخرفة جميلة.. وبالتالى فإن رد الفعل الطبيعى هو مقاومة ثورة العبيد بكل أشكال المقاومة أى رفض صورة المرأة الجديدة بتشويهها بمختلف الطرق (بعرقلة العمل، بتأليب القوى الاجتماعية الرافضة للتغيير عليها، وحتى بتأليب القطيع غير الواعى من النساء على الشريحة الواعية) وتفتيت المعركة الرئيسية إلى معارك جانبية تستنزف فيها قوة الفئة الواعية معنوياً ومادياً..

إن المجموعة الثانية ترى أن الرجل لطول الفترة التى مارس فيها الوصاية على المرأة والنيابة عنها فى كل شىء قد تصور أن حرية المرأة مرهونة به هو أولاً وأخيراً وكأنه يرى الحرية حبلاً طويلاً يرخى منه للمرأة المسافة التى يرغبها مع احتفاظه فى نفس الوقت بشد هذا الحبل إلى الوراء كلما شعر بأن ما منحه لها من حرية قد يشكل خطراً عليه أو يهدد سيادته والتى بدلاً من أن يمارسها بطريقتها الصحيحة فى المؤتمر الشعبى أو فى مكان عمله لا يجد لها مكاناً أفضل من ممارستها على المرأة خاصة وإنها هى أيضاً لطول المدة قد استلذت هذه العبودية.. ولم تعد ترغب حتى فى نقاش قضية الحرية فما بالك بتحمل تبعات ومسؤ وليات هذه الحرية..

على كل فإن الاختلاف بين ما تطرحه المجموعة الأولى والمجموعة الثانية هو اختلاف شكلى لأن المجموعة الأولى تطرح نموذج المرأة التى يصل بها وعيها مرحلة تفجير الصراع ورفض العبودية والانضمام إلى الأداة الثورية بينما طرحت المجموعة الثانية المسؤ ول عن تغيب وعى المرأة خلال فترة طويلة من الزمن واعتبرت أن حرية المرأة مرتبطة بمدى تحرر الرجل من عقلية السيد فى نظرته للمرأة والمنعكسة على ممارساته القمعية اليومية ولكن الشىء الأساسى الذى ينبغى أن نطرحه على أنفسنا: هل سنظل نراوح فى

مكاننا؟ هل سنظل نكرر نفس الأسئلة عمن يمنح المرأة حريتها؟ هل تنزعها بنفسها أم يمنحها الرجل لها؟ هل تترك له الفرصة ليحدد موقفه منها أم هى التى تحدد موقفها منه فلا تعطيه الفرصة لانتزاع المبادرة؟ هل سنظل نكرر نفس الأسئلة وكأننا فى حلبة سباق يتراهن فيها الجميع على الجواد الفائز وكل واحد يضع توقعاً فى نفسه للمنتصر وللمهزوم؟ أخاف أن نغرق فى التكرار واستهلاك ومضغ نفس الكلمات والتعابير فيتجاوزنا الزمن ونسقط أسرى المرحلة!!

احتمالات أخرى:

لسقوط المطر فى غير موعده..
لمجىء الفرح المرتقب..

وللهمس المتداعى فى الذاكرة عن موعد تنامى الوعى وتصاعده.. وعن تشبع المرأة بقناعات جديدة.. وعن نجاح الأداة الثورية فى تفجير الصراع بين القوى الاجتماعية الرافضة والمعرقلة للتغيير وبين النساء المنتميات إلى الثورة والرفض.. عن كل ما سبق تتحدد ملامح نقاش جاد أسسه النقاط الآتية:

1 - افتقارها إلى الوعى العقائدى المرتفع واستنادها إلى تكوينات سابقة فقدت مبررات وجودها الآن.

2 - التساؤل عن مدى قدرتها بمميزاتها الحالية فى المساهمة فى رفع التغييب عن بقية النساء المخدرات فى المجتمع.

بداية نقول إن تقسيم اللجان الثورية إلى (رجالية) و (نسائية) هو اعتراف صريح بمهادنة التنظيم الثورى للمعوقات الاجتماعية التى ترفض التغيير ولو أن القوة الثورية قد استطاعت تفجير الصراع اجتماعياً لكان هناك لجان ثورية فقط بدون تحديد لجنس المنضوين تحتها سواءً كانوا رجالاً أم نساءً ولكن لنقل أن هذا الفصل (تجاوزاً) مقبول ونركز حديثنا فى نطاق

محدود وهو اللجان الثورية النسائية حيث يبين الاستقراء السريع لبدايات تشكيل هذه اللجان أن أغلب عضواتها هن من رائدات وعضوات التشكيلات الثورية.. تلك الحركة التى بدأت بصورة عفوية أى بدون الإرتكاز على أساس إيديولوجى بعد فترة بسيطة من مجىء ثورة الفاتح.. ومع اعترافنا بأن عضوات التشكيلات قد انتزعن زمام المبادرة إلا أن افتقار الحركة إلى القاعدة النظرية وكذلك المواجهة الحادة من قبل القوى المضادة بالإضافة إلى عدم طرح الحركة لبرامج محددة وتشتت جهود عضواتها أدى إلى انطفاء شعلتها تدريجياً ولكن هذا لا يعنى عدم الاعتراف بالدور الذى أدته فى تلك الفترة فمجرد إنضمامهن إلى التشكيلات كان يعنى أن هناك رغبة لتحقيق شىء ما.. ويكفى أن فكرة التشكيلات قد طرحت بشكل عفوى حتى قبل أن تشكل اللجان الثورية على أساس إيديولوجى ولكن هذا يجعل سؤالاً يطرح نفسه أقصد إذا كان غياب الأساس الإيديولوجى كقاعدة لانطلاق حركة التشكيلات هو الذى أدى إلى انطفاء دورها فما هو مبرر عدم نجاح اللجان الثورية (النسائية) فى أداء دورها من حيث دفع النساء إلى مرحلة أكثر إيجابية؟؟.

فى تصورى إن وجود التكوينات السابقة (جمعيات، مؤتمرات نسائية،... الخ) واستمراريتها (برغم فقدانها لشرعية الوجود) هو سبب هام من أسباب تشتت الجهود وعدم نجاح برامج العمل خاصة وإننا نجد خلطاً كبيراً بين دور المثابة الثورية ودور الجمعية النسائية والمؤتمر النسائى.. الخ بدليل إننا نجد فى أغلب البلديات أن المثابة الثورية النسائية تحتويها الجمعية النسائية وفى هذا إجهاض لأى برنامج عمل ثورى يطرح والشىء المنطقى هو انتهاء كل التكوينات التى تفقد شرعية الوجود والاستمرارية مع الاعتراف لها بأنها قد أدت دورها فى فترة سابقة ولكن هذا لا يعنى استمرارها ما دام قد وجد التكوين المرتكز على قواعد نظرية كانت تفتقر إليها كل التكوينات السابقة.. هذا سبب رئيسى ولكن السبب الأكثر أهمية هو وقوع اللجان الثورية النسائية فى أزمة الوعى وهى بشكل عام أزمة يعانى

منها التنظيم الثورى بأكمله ولكنها بشكل حاد وبصورة أكثر وضوحاً عند اللجان الثورية النسائية حيث تفتقر كثير من عضوات اللجان الثورية إلى الوعى وإلى الثقافة العقائدية العميقة ومن ثم ينعكس هذا الفقر على برامج العمل المطروحة وبالتالى فإن النتيجة تكون دائماً سابقة لتنفيذ أى برنامج..
وهذا الحديث ليس من قبيل النقد غير الموضوعى وإنما لغرض تحديد نقاط لا تتوقف عند حد (التنظير) وإنما تتعدى ذلك إلى مرحلة العمل الجاد من أجل خلق تنظيم ثورى فاعل على أن نضع نصب الأعين أن أهم نقطة ينبغى التركيز عليها هى معالجة أزمة الوعى والتى هى كما سبق وقلنا ناتج من نتائج تأثير التكوينات السابقة على حركة اللجان الثورية النسائية بالإضافة إلى تأثير الموروثات الاجتماعية المعيقة للعمل الثورى وهذه الأخيرة لن ينتهى تأثيرها إلا بالتمهيد بإثارة نقاش شمولى يتناول قواعدها وأسسها وبالتالى الوصول إلى نقطة التفجير والحسم..

كلهم يشاركون فى الجريمة*

« هذا وقد قام العدو الصهيونى بقصف وحشى على مناطق متعددة من بيروت ، كما تناقلت وكالات الأنباء العالمية خبر المجـزرة البشعة التى ارتكبها الغزاة فى مخيمات الفلسطينيين فى بيروت » .

« وتقدر بعض المصادر عدد الأطفال والنساء والشيوخ الذين تعرضوا لمجزرة الإبادة الجماعية بحوالى 2000 قتيل » . . . ينتهى الخبر البارد . . تنقل عينيك فى ذهول وبلادة بين أفراد عائلتك وبين شاشة المرئيـة . . يجتاحك غثيان مفاجىء وترتجف أطرافـك اشمئزازاً وغيـظاً . . تمتد يـد زوجتك « بطاسة شاهى مرة » مرارة العلقم والخبر الفاجع . . فيما يقفز ابنك على أحد الكراسى هاتفاً فى تقليـد متقن لأحد كبـار الثورجيين « قـررنا الحياة » تاركاً الفرصة بعد ذلك لأخيه الآخر ليكمل باقى الهتاف . . وتتداعى إلى ذاكرتك المثقوبة والمشروخة من كل الجوانب أسئلة كثيرة عن أزمة الوعى المفقود وعن الشعارات التى لا تتعدى حدود الملصقات واللافتات وعن الهتافات المدوية التى تصل حد الصراخ وتقف عند حد التنفيس وردود الأفعال المنعكسة فى اتجاه تفريغ شحنات السخط والغيظ المكبوت عند البسـطاء والمندفعين عـاطفياً . . فيمـا يفرغهـا الانتهازيـون والمصلحيون والبرجوازيـون من محتواها ويسلبونها قدرتها على شحن الطاقات وشحذ

(*) نشر بالطالب عدد « 152 » 26 - 9 - 82 .

القدرات . . يزداد شعورك بالغثيان بازدياد عرض الأطراف المحروقة والجثث المشوهة للقتلى فى بيروت . . يتراءى لك أن لون الشاى قد تغير إلى أحمر قان . . بلون الدم والرعب . . تحترق الأسئلة فى داخلك ويغشاك دخانها وحزن أعماقك . . فتبكى . .

تبكى نفسك . . فى الطفلة المفقوءة العينين/ فى الطفلة المبتورة الأطراف .

فى الطفل المشوه الوجه/ فى المرأة المنتشرة أطرافها على الرصيف فى الرجال المصفوفين على الرصيف . . القتلى بالطلقات الغادرة تبكى نفسك فى المخيم المحترق/ فى الأشلاء المتناثرة/ فى الدم الذى يملأ شرايين الشوارع والجدران المنسوفة وفى الخرائب التى تنعق فيها الغربان وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ومؤتمرات القاع العربية وكل الخطب القذرة لكل المجرمين الذين يقصدون الواجهات العربية الهشة . .

تبكى نفسك . . أنت المواطن الذى ردك التزام سوريا بقرار وقف إطلاق النار عن إعلان حبك لبيروت وإشهار دمك فى وجه الجبن والكذب . . أنت المواطن الذى أعادوك من المطار إلى الشارع المتبلد والوجوه المتكلسة الجبانة . . ونسفوا حلمك فى القتال ومعه نسفوا أول موقف شجاع تتخذه فى حياتك . . يومها وقفت تقول : « كلهم يشاركون فى الجريمة : كلهم يغتالون حلمى » . .

أنت المواطن العربى تبكى بحرقة وبكاؤك عادة لا ينفجر دمعاً . . ولكنه يسيل كنزيف حاد فى الأعماق . . تبكى وتعى أن البكاء ليس موقفاً موضوعياً من الجريمة . . ويزيدك وعيك بالتناقض الذى تعيشه إحساساً بالمرارة . . وتأسفك الحاد لم يمنع صور القتلى والمشوهين من المرور أمام ناظريك فى شاشة المرئية . . تسخر فى قرارة نفسك من نفسك حين تتذكر محاولاتك العديدة صباح اليوم للحصول على « خروف وطنى » وتتذكر أن العرب

سيذبحون ملايين الخراف كأضحيات عيد فى حين أن الصهاينة قد سبقوهم فى التقرب إلى ربهم حيث قدموا 2000 فلسطينى كقرابين على مذابح معابدهم .؟ يزداد تأملك وتتخذ قراراً جدياً بمقاطعة العيد وبعدم الاحتفال به . . يطرح عليك ابنك الصغير سؤالاً وفى عينيه حيرة « الله مع اليهود أم معنا » . . ولماذا يقتل الأطفال فى بيروت أمام عينى الله ولا يفعل شيئاً ؟ ولماذا الدمار المخيف ؟ ولماذا الغزاة ؟ ولماذا بيغن وأمريكا ؟ والله لا يفعل شيئاً لا يفاجئك السؤال . . لكن لسانك يظل ثقيلاً جافاً فيما يوجه قلبك الإجابة فى شكل سؤال وكيف يكون الله معنا ونحن لسنا مع أنفسنا وتتخذ الإجابة شكل رؤى جديدة .

* لامرأة لا تكتفى بالشعارات والصراخ : « ما نبغوش حرير من أجل التحرير» ما نبغوش ذهب . . من أجل العرب » .

* لرجل لا يكتفى بتقرير الحياة بالخبز والماء شفهياً وفى ملتقى ثورى فقط . .

* لطفل يحمل «كلاشنكوف» وطفلة تتعثر وهى تحمل قاذفاً .R.B.G.

* لطالب يخرج من فشل برامج تشغيل ليداوم فى معسكرات التجييش وفى مواقع الإنتاج .

* للمنتج . . وللفلاح . . ولجدتى التى تعتقد أن العالم كله لا يتعدى حدود حلقات الشاهى المعقودة بالتناوب بين جارات الشارع وعجائزه . .

* لأطفالنا الذين يرسمون بعفويتهم حدود الحقيقة ولا يخطئون فى التصويب نحو القتلة رغم محاولات التغريب والتغييب التى يمارسها عليهم إعلام اليمين البرجوازى عن طريق رموزه ڤراندايزر/ سندباد/ الجائزة الكبرى وبما ترسمه هذه الرموز من ظواهر : تخدير اطفال وتشكيلهم وفقاً لقوالب برجوازية تؤكد مفهوم الفارق الطبقى/ الفوقية ورموز السيادة الفردية

المطلقة . . / بتأكيد مفهوم القوى المنتحرة والمرتبطة دوماً بأفراد لا بجماعات/ وبترسيخ مفهوم الربح والتجارة والتشجيع على الاستغلال بكل الطرق المتاحة لتكوين الثروة . .

تتخذ الإجابة على السؤال شكل رؤى جديدة : لمثابات نشطة تلغى منتديات الشاهى وممارسة البطالة من جدول أعمالها اليومى وتعى أبعاد المرحلة الآنية الخطرة وتترك وفق الاستراتيجية التى حددها الملتقى الخامس للجان الثورية للعمل وسط الجماهير لإيصالها إلى درجة الوعى الذى يمكنها من اتخاذ قرار المواجهة فى الدورة القادمة لانعقاد المؤتمرات الشعبية . .

* لثوريين يرفضون ممارسة التعالى على الجماهير ويأخذون زمام المبادرة لتطبيق سياسة التقشف وتنفيذ الشعارات التى رفعوها فى الملتقى حتى تضيع الفرصة على المزايدين والمشككين فى جدية مواقف قوة الثورة . . وحتى تقتنع الجماهير بتحريضهم وتعتبرهم فعلاً القيادات (القدوة) التى ترابط دائماً فى الخنادق الأمامية . .

* لأشكال الرؤى الجديدة تتطلع . . وتتساءل وأنت تراقب ابنك الصغير : هل نكون بمستوى التحدى ونتخذ قرار المواجهة أم نكتفى بالهتافات التى تشق عنان السماء ولا تقتل صهيونياً واحداً ؟؟

ليس اجتهاداً (*)

أتذكر جيداً أنه فى مثل هذا الوقت من العام الماضى كان هناك جدول قائم ونقاش حاد حول مشكلة عدم قدرة المؤتمرات الطلابية (فى الجامعة) على إلزام اللجان الشعبية للكليات بتنفيذ قراراتها التى تتخذها لحل كثير من القضايا التى تمس الطلاب سواءً على مستوى الكلية أو على مستوى الجامعة ككل هذا إضافة إلى أن النقاش دائماً كان قاصراً ـ ليس من جهة الوعى ـ ولكن لعدم تواجد الطرف الآخر المعنى بالعملية التعليمية داخل الكلية أقصد (أعضاء هيئة التدريس) .

كان الجدل قائماً حول ما إذا كان هناك شكل تنظيمى آخر يمكنه أن يحل هذه الإشكالية التى يمكن اختصارها كالآتى : مؤتمر طلابى تقابله لجنة شعبية طلابية ملزمة بتنفيذ قراراته ولكنها فى ذات الوقت غير قادرة على تنفيذ القرارات التى ترقى إلى مستوى تغيير اللوائح القانونية التى تسير بموجبها الكلية أو الجامعة مثلاً أو أى قرار آخر على هذا النمط وحتى وإن كان أعضاء اللجنة الشعبية الطلابية فى السابق أعضاء فى اللجنة الشعبية للكلية غير أن هذه الأخيرة (التى كانت تتكون من أمناء الأقسام) لم تكن ملزمة بتنفيذ أى قرار للمؤتمر الطلابى لأنه لم يكن هناك مؤتمر يقابلها ويقرر لها ما تنفذه ويحاسبها حال تجاوزها أو تهاونها فى التنفيذ وحتى إن

(*) نشر بجريدة الجامعة العدد (1) كانون 1983 .

حاولت اللجنة الشعبية الطلابية طرح قرارات المؤتمر الطلابى فى جدول أعمال اللجنة الشعبية للكلية فإنها لم تكن لتنال نصيبها الوافى من الاهتمام ولو أدى الأمر إلى ترجيح الثقل الكمى للأعضاء فإنه من المعتاد أن يكون عدد أعضاء اللجنة الشعبية للكلية أكثر عدداً من أعضاء اللجنة الشعبية الطلابية والنتيجة التى كنا نخرج بها كل عام هى أن المؤتمرات الطلابية كانت تكرر فى كل دورة انعقاد نفس جدول الأعمال دون أن تكون اللجان الشعبية المقابلة لها قادرة على تنفيذ أى شىء .

هذه نقطة أولى وجوهرية وهى الأساس الذى أدى إلى إفراز تطبيقى آخر هو المؤتمرات التعليمية التى بدأت تتبلور عملياً منذ شهر إبريل الماضى وحتى الآن (وإن لم تأخذ شكلها النهائى بعد) ورغم الصعوبات التى رافقت تشكلها إلا أن هذا الإفراز يثبت يوماً بعد آخر أنه الأقدر على حل أغلب المشكلات ومعالجة القضايا التى تمس طرفى العملية التعليمية (الطالب ـ الأستاذ) داخل الكلية لأن اللجنة الشعبية التى يختارها المؤتمر التعليمى بالكلية ملزمة فى حدود الإمكانيات المتاحة لها بتنفيذ قرارات المؤتمر ولكن هناك نقاط كثيرة يثيرها تشكيل المؤتمرات التعليمية سواءً فى الجامعة أو فى المدارس الثانوية يمكن تلخيصها فى الآتى :

أولاً : إن المؤتمرات التعليمية فى الكليات الجامعية وفى المعاهد العليا أثبتت من خلال التطبيق العملى مقدار فاعليتها وجدواها بشكل يجعلها قادرة فعلاً على معالجة كل القضايا المطروحة داخل هذه المؤسسات التعليمية فى المقابل نجد تراجعاً ملحوظاً فى فاعلية المؤتمرات الطلابية واللجان الشعبية الطلابية نظراً لعدم الحاجة إليها فأغلب ما كان يطرح من نقاط فى جداول أعمال المؤتمرات الطلابية (وكان مثيراً للإشكال) بدأت الآن تحتل مكانها الطبيعى فى جداول أعمال المؤتمرات التعليمية ولم يعد هناك حاجة مثلاً لأن يناقش المؤتمر الطلابى مسألة مثل (العمل الجماعى المنظم ـ الكتاب الجامعى ـ الخدمات ـ الإدارة الذاتية . . الخ) لأن كل هذه المسائل مهمة لكل من هو داخل المؤسسة التعليمية وليس لطرف دون

الآخر . وهذا التراجع الملحوظ فى فاعلية المؤتمرات الطلابية ولجانها الشعبية يواكبه تراجع آخر لمؤتمرات المعلمين أو ما يسمى بنقابة أعضاء هيئة التدريس لأن أغلب مهامها فى الكليات قد انتقلت إلى المؤتمرات التعليمية .

هذا التحليل بالتأكيد يتبعه سؤال منطقى وبديهى هو : هل نعتبر أن انتهاء فاعلية المؤتمرات الطلابية وكذلك مؤتمرات المعلمين داخل الجامعة هذا مؤشراً مهماً على قرب حلها تلقائياً وبشكل تدريجى أم أن وجودها ما زال ضرورياً خاصة وأن هناك كثيراً من الخلط بين مهام كل منهما ؟

ثانياً : فى ذات الوقت الذى تسجل فيه المؤتمرات التعليمية بالجامعة تقدمها والمؤتمرات الطلابية تراجعها نجد أن العكس يحدث فى المدارس الثانوية والمعاهد المتوسطة فهى تعيش حالة ارتباك واضحة ازدادت منذ تشكيل المؤتمرات التعليمية بها ولعل هذا يرجع إلى عدة أسباب منها : ـ

إن أعضاء المؤتمرات التعليمية بالجامعة يتمتعون بوعى متكافىء تقريباً إذ لا توجد تلك الهوة فى الوعى أو التباين الثقافى بين عضو هيئة التدريس والطالب الجامعى مما يمكن هذه المؤتمرات من العمل بشكل فعال غير أن هذا التباين يظهر بوضوح فى المدارس الثانوية والمعاهد المتوسطة فحتى مستوى النقاش فيها غير متكافىء وإذا ما قال أحدهم أن هذه مسألة نسبية إذ قد نجد ثقافة طالب ثانوى أفضل بكثير من ثقافة طالب جامعى فإننا حينها سننتقل إلى نقطة أخرى أساسية تتمثل فى كون الكليات الجامعية والجامعة بشكل عام كمؤسسة تعليمية تتمتع باستقلالية تؤهلها لحسم كثير من الأمور المتعلقة بها دون حاجة إلى تدخل جهات أخرى من خارجها عكس المدارس الثانوية والمعاهد المتوسطة التى هى مرتبطة بجهات خارج المؤسسة (أمانة التعليم) بشكل كبير بدءاً من المناهج ومروراً بالامتحانات وانتهاءاً باللوائح والقوانين التى تحكم عملية التعليم فى هذه المؤسسات . . وعدم الاستقلالية الكاملة هذه مع وجود المؤتمرات التعليمية حالياً أدى إلى

حدوث ارتباك واضح فى تسيير هذه المؤسسات فى مقابل هذا كله تبدو الحاجة واضحة إلى وجود المؤتمرات الطلابية فى الثانويات والمعاهد المتوسطة وفى النهاية إلى وجود تنظيم عام للطلاب والسؤال الذى يطرح نفسه : كيف يكون الحل ؟

وعلى أية حال فإن هذه القضية لا تخضع لمبدأ التنظير وهى ليست قابلة أصلاً للاجتهاد لأن ديناميكية التجربة تفرز دائماً حلولاً لم تكن قبلاً مطروحة أما عن الموضوع الذى نحن بصدده فيمكن القول بناءاً على عدة معطيات موجودة :

إن المؤتمرات التعليمية فى الجامعات الثلاث وفى المعاهد العليا وهى تتأكد يومياً ينبغى أن تأخذ شكلها النهائى بتشكيل مؤتمر تعليمى عام لها تقابله لجنة شعبية مختارة من بين أعضائه ويقابل هذا المؤتمر ولجنته ما يسمى بالمجلس الأعلى للجامعات فى أى دولة تقليدية أخرى على الأقل من حيث اهتماماته المستقلة والخاصة بالدراسة العالية وهى على كل مسألة تفرضها حتى ضرورات التقدم العلمى إضافة إلى أن رصيد التعليم فى الجماهيرية من الجامعات والمعاهد العليا سيزداد كثيراً فى المستقبل مما يستدعى أن تكون للجنة الشعبية المقابلة للمؤتمر التعليمى العام استقلالية عن اللجنة الشعبية العامة للتعليم بحيث تعد كإحدى اللجان النوعية الأخرى التى يختار مؤتمر الشعب العام أمينها .

هذه نقطة أما النقطة الأخرى فهى تتعلق بوجود المؤتمرات التعليمية فى المؤسسات التعليمية فى الثانويات والمعاهد المتوسطة والتى سيثبت التطبيق عدم جدواها وبالتالى فإنه من المطروح الآن أن لا تكون هناك مؤتمرات تعليمية فى هذه المؤسسات مع الإبقاء على المؤتمرات الطلابية فيها لأنه إذا ما تم التفكير فى حل المؤتمر العام لطلاب الجماهيرية بشكل كلى (من جميع المؤسسات التعليمية بما فيها الجامعة) فإن ذلك يعنى :

حل تعسفى لتنظيم له تراثه النضالى وله تجربته الطويلة التى لم تأت

بين عشية وضحاها بل هى نتاج نضال الطلاب منذ فترة طويلة وحتى وإن كانت فاعليته قد انتهت فى الجامعة بتشكيل المؤتمرات التعليمية فإن هذه الفعالية ما زالت قائمة بالنسبة للمدارس الثانوية والمعاهد المتوسطة ثم إن هناك لجاناً نوعية فى المؤتمر العام. لطلاب الجماهيرية لا يقابلها حتى الآن نظير فى المؤتمرات التعليمية وهى اللجنة الشعبية للإعلام ـ اللجنة الشعبية للاتصال الخارجى وكذلك ما يتعلق بإشراف أمانة مؤتمر الطلاب العام على المؤتمرات الطلابية فى الخارج .

إن طرح هذه النقاط كما ذكر سلفاً لا يتعلق بالرغبـة فى التنظيـر والاجتهاد (حتى وإن لم يكن هناك تحفظ على الاجتهـاد) إلا أن هذه القضية تثير بالفعل الاهتمام والتساؤل ومن ثم فهى قابلة تماماً للنقاش .

كم هو مزيف(*)

* مؤتمر شعبى تعداد كثافته السكانية (. . . . .) يحضره فى دورة انعقاده العادية مائة رجل وامرأة واحدة وأربعة أطفـال . . ماذا يمكن أن يسمى ؟ مؤتمر شعبى أم اجتماع لجنة ثورية أم جلسة لممثلى ونواب هذه المنطقة ؟

* حفلة تعارف لإحدى الكليات تحييهـا فرقة بنغازى للفنون الشعبية أو فرقة الإذاعة . . . الخ ، يحضـرها ثـلاثة آلاف طـالب ويزدحم المـدرج المسكين حتى يكاد يسقط إعياءاً وتستمر ساعات طويلة فى حين يعجـز أولئك عن البقاء فى جلسات مؤتمراتهم حتى ساعتين متواصلتين ، ويقابل ذلك ازدحام الكفتيريات وقت انعقاد المؤتمرات التعليمية بالكليات . . فكم تبرير يمكن تقديمه لتعليل ذلك .

* قرار يتخذه مائة من مجموع (. . . .) هل يمكن أن نسميه قرار شعبى ؟

* أعضاء لجان ثورية يسخرون من قلة الحضور للمؤتمرات الشعبية ويتأسفون لخلو القاعة من الجماهير ويبررون ذلك بقلة الوعى والتخلف ويتناسون أن زوجاتهم وبناتهم قابعات فى البيوت ولا يتذكرون أنهم لم

(*) نشر بالجامعة فبراير 1984 م .

يحرضوا أولادهم وإخوتهم على الحضور ثم يكتفون بهز رؤوسهم فى أسى ظاهرى وترديد « الله غالب » كالعجائز فماذا يمكن أن نسمى أولئك : أعضاء حركة ثورية واعية ؟

* مواطنون أعضاء فى المؤتمرات الشعبية يحضرون لمدة عشر دقائق ثم ينصرفون بكل بساطة وكأنهم جاؤوا لتبييض وجوههم أمام أعضاء اللجنة الثورية (الحكومة) وأمام أمانة المؤتمرات (الكابوات) فماذا يمكن أن نسمى ذلك :

ممارسة صحيحة لسلطة الشعب ؟ !!

* تراجعات على مستوى فعالية الحركة الثورية فى الجامعة (كمقياس) ، وخارجها واختراقات لا يمكن ضبطها حتى بجهاز تكبير للممارسات وترهل لا يمكن هضمه ببساطة وسلبية لا يتجاوزها التفكير إلا من قبيل الهروب من محاولة تبريرها .

* ركود ثقافى عام ينفيه التلفاز الليبى بشدة وتثبته كل برامجه بقوة !! وتؤكد الصحف أن كل الأمور بخير فى حين أن الواقع يطرح علامات استفهام يؤطر من لا يتوقف عندها إما فى إعداد المساهمين فى تكريس ظواهر السلب فى الواقع وإما فى إعداد اليائسين من التغيير ؟؟

* واقع اجتماعى يطرح ويكرس كل يوم مجموع علائق كان ينبغى (عملياً) نسفها وفق الطرح الفكرى الموجود . ولكن مجموع الأفراد يؤكدون بسلوكياتهم اليومية أن لا مجال لتفجير صراع اجتماعى تلتقى فيه المتضادات ويكون الانتصار فيه للقيم النابعة من مكابدة الإنسان ومعاناته وتعطشه للحرية بل إن هؤلاء الأفراد ـ بما فيهم المنتمون للحركة الثورية والتى يقع عليها العبء الأكبر باعتبارها القيادة ـ يقعون فى مطب مهادنة هذا الواقع أملاً فى كسبه بشكل سلمى وخوفاً من تبعات مواجهته !!

* واقع ركامه الثقافى يسلب من الأفراد قدرتهم على المواجهة

ويؤطرهم فى خانات السلب واللامبالاة . . والاتجاه العام نحو الخيارات السهلة التى لا تحتاج إلى مجهود عضلى أو ذهنى والخيارات التافهة أيضاً فى ذات الوقت مما يفقد الإنسان حتى الإحساس بالطابع النضالى لوجوده فى الحياة والمعنى الكامن فى سعيه لتأكيد ذاته من خلال تأكيد حريته .

المسألة إذا وفق هذا الطرح لا تقف عند خطأ بسيط يقع هنا أو هناك أو ممارسة خاطئة قد تحدث اليوم من قبل شخص ما . . المسألة إذاً أعمق من مجرد عوارض طارئة أو ظواهر مؤقتة فهى تتعلق بحركة مجتمع بكامله وبالدعائم التى يقوم عليها هذا المجتمع وتؤسس وفقاً لها ثقافته .

وفى هذا الإطار فإن ثمة دلائل أكيدة تشير إلى أن استمرار تدفق النفط وتزامن هذا مع تصاعد حركة الثورة كان عائقاً كبيراً يحد من فعالية هذه الحركة . . فمجتمع النفط لا يمكن إلا أن يخلق لأفراده أخلاق النفط المتمثلة فى الاستسلام لكل ما هو سائد حتى وإن كان هذا السائد نقيضاً لحرية الإنسان ومقيداً لإبداعه على كل المستويات ، وكل المجتمعات النفطية المتخلفة قبل ظهوره فيها هى دول متخمة حتى حدود القرف من تخمتها ، فمترفوها يعانون من التكرش ، وفقراؤها خاضعون لمعادلات الواقع الظالم ، وحتى الثورات التى قد تحدث بفعل عوامل واعتبارات معينة تكون فى البدء ملتهبة لكن النمط النفطى - بكل قيمه - يظل حجر عثرة أمام كل التغيرات الجذرية لأنه يبنى أفراده نفسياً على المهادنة ، وتصبح محاولات الثوريين هنا محاولات انتحارية يائسة خاصة إذا اتخذت طابع العمل الفردى .

* وذات الدلائل التى تستقى من استقراء الواقع تؤكد مجمل المعطيات الآتية : -

* إنسان النفط مشوه من الداخل ومقولب كعلبة سردين صدئة .

* إنسان النفط يتجه دائماً إلى الأسهل والأقرب ، وهو النموذج الاتكالى بعينه الذى يصنف أى تغيير راديكالى ثورى فى خانة ما لا ينبغى

أن يكون ، وإذا ما وجد نفسه فى مواجهة معه قاومه بسلبية قاتلة وروح مطاطية تمتص من الجديد القادم جديته وتطرفه الذى هو سر قوته .

* إنسان النفط هو نقيض النموذج الذى قاد الثورات التقدمية عبر تاريخ الإنسانية ، وكابد الفقر والقهر ، وقاوم دون استسلام ، ونحت فى الصخر مبادئه دون أن يكون هناك أدنى تفكير لإخضاع هذا لمنطق الربح والخسارة أو الاستسلام لأحلام الانتصار أو الدخول فى معارك « دون كيشوتيه » وهمية مع طواحين الهواء .

وبالإجمال « كمحصلة » لما سبق :

فإن ثقافة إنسان النفط أو بتعبير أشمل مجتمع النفط هى ثقافة ترفيه بورجوازية لا يمكن أن تقبل بتغيير مظاهرها وقيمها ما لم تنسف دعامتها الأساسية (النفط) الذى لا يبدو عائقاً أمام النموذج الحضارى المقدم (الجماهيرى) أكثر منه الآن . وقد تصور البعض أنه كان بالإمكان بناء اشتراكية حقيقية قائمة على توفر الحاجات للجميع وتحقيق الاكتفاء الذاتى والاستقلال الاقتصادى الحقيقى بواسطة ما يوفره النفط من عوائد مادية ولكن ما هو قائم يفند هذا الطرح إذ يبدو أن الثورة تكون أقدر على مواجهة خصومها فى الداخل والخارج حين يتحمل عبء مسؤوليتها مناضلون حقيقيون لا تجار ماهرين فى المقايضة والتعامل مع الثورة من منطلق « برجماتى » قذر .

وكم هو مزيف ذلك النضال الذى يبنى أو يؤسس على ازدياد مقدار الفائدة المادية المتحصل عليها بفعل ادعاء الثورة التى يتوفر لها بفضل النفط وكأى نظام تقليدى تنفيذ بعض المشاريع المادية مع التهيؤ النفسى المسبق لهؤلاء التجار بالانسحاب من المعركة حال تفجر صراع بين السائد الرجعى المهترىء والبديل التقدمى الجديد . . إن هذا المجتمع البورجوازى فى تركيبته وفى مظاهر علاقات أفراده وسلوكياتهم . . هذا المجتمع لايمكن إلا أن يقف موقف الضد من قضية التغيير الجذرى التى تستهدف البنى القائم

عليها وهذا الموقف الضد لا يتخذ بالضرورة الشكل المباشر وإنما فى أغلب الأحيان من خلال ما تطرحه الثورة ذاتها . .

إن ما سبق لا يطرح مشكلة مردفة بالحلول الناجحة بقدر ما يستهدف فتح السبيل أمام علامات الاستفهام لتأخذ بعدها الصحيح فى أذهاننا العاطلة عن التفكير . .

لمن يتخذون قرارهم(*)

وهكذا تتوالى تصريحات شبه الإجماع العلنى على مشروع فهد من مختلف الدول العربية وبالأصح الأنظمة العربية سواءً من الذين كان متوقعاً منهم الموافقة بدون تردد أو من الذين لم يكن متوقعاً منهم ذلك على الإطلاق ، وهم بتكريسهم لمعظم أوقاتهم لمحاولة إعطاء هذا المشروع أبعاد كبرى بتقييمه على أساس كونه البديل العربى لكامب ديفيد والذى طالما دعا إليه السادات قبل موته فى خطاباته الساخرة من العرب ، أقول إن ذلك يضع الجماهير العربية فى كثير من الدول العربية فى بوتقة ضيقة لأن الدعاية الضخمة للمشروع ونعته بكل النعوت الحميدة تحاول قدر الإمكان أن تسلب من الجماهير قدرتها على التحليل المنطقى لتصل إلى الحقيقة بنفسها ، وبدون حاجة إلى أن يوجهها أحد إلى أنسب الطرق المؤدية إلى حل القضية . . ولكن هل يعنى ذلك أن الجماهير العربية المحاصرة من قبل أنظمتها العميلة هى من الغباء بحيث تنطلى عليها خدع أنظمتها ؟ . . . إنه لمن السخرية تصور الجماهير على هذه الصورة . . صورة التبعية لكل القرارات الآتية من أعلى . . وصورة الخنوع لكل ما يحمل شعار الملك والبوليس والقانون . . إن الجماهير تدرك جيداً حقيقة الوضع وكل الممارسات القمعية التى تمارس ضدها لا تمنعها أبداً من أن تعرف .

(*) نشر بالطالب عدد «   » 22-11-1982 م .

1 ـ إن توقيت إعلان مشروع الأمير فهد لم يجىء اعتباطاً بل نتيجة لدراسة دقيقة للأوضاع السياسية فى المنطقة العربية خاصة بعد مقتل السادات ووصول مباحثات كامب ديفيد إلى طريق مسدود وبعد أن تبين من المواقف المبدئية لخليفة السادات أنه يفضل العودة إلى الحظيرة العربية تحت ستار يؤمنه له المشروع السعودى لأن ذلك أفضل من أن تنهار فوق رأسه كل المشاكل المتراكمة التى خلفها السادات .

2 ـ إن معارضة الكيان الصهيونى ورفضه لمبادرة الأمير فهد لا تعنى أن هذا الرفض هو جواز مرور تبدو به الأنظمة العميلة فى الوطن العربى . تأييدها لهذا المشروع لأن الواقع يقول أن الصهاينة لا يرضون بالتنازل حتى ولو عن أبسط ما يعتقدون أنه من حقهم فى سبيل تحقيق السلام ، ومحادثات كامب ديفيد أكبر شاهد على ذلك .

3 ـ إن موقف العرب الرافضين لمشروع فهد لا يعني أبداً أنهم من هواة الخروج عن الإجماع العربى ولكن موقفهم واضح كل الوضوح فهم مع الإجماع العربى حين يكون هذا الإجماع لصالح العرب على المدى القريب والبعيد وليس لصالحهم فترة قصيرة تزول بزوال مبررات أسبابها ، فكل الدلائل تشير إلى أن مبادرة فهد لن تحقق للعرب أى شىء ذى قيمة بل أن المستفيد الحقيقى من هذه المبادرة ـ وبطريق غير مباشر هم الصهاينة أنفسهم الذين كانوا يحسون بعدم ارتياح لموقف العرب من محادثات كامب ديفيد نتيجة لقرارهم بمقاطعة مصر ، أى أنهم حتى ولو وافق الصهاينة على مشروع فهد فسيكون من صالحهم أن تمنح الأنظمة العربية الشرعية للمحادثات التى قد تجرى بين أى طرف من الأطراف المؤيدة للمشروع وبين الكيان الصهيونى .

4 ـ إن السعودية تهدف من وراء طرح مثل هذا المشروع إلى تكوين مركز زعامى يلتف حوله كل العرب مما يتيح لها من خلال ذلك توجيه سياسات الأنظمة الأخرى بما يتلاءم مع سياستها (التى هى فى النهاية

سياسة أمريكية صرفة) التى تهدف إلى خدمة مصالحها هى لا مصالح العرب بما تتيحه لها أمريكا من مركز زعامة بين العرب ليسهل معه تحرير كل الأوراق الأمريكية فى المنطقة بكل يسر وسهولة ودون أن تواجهها أى عقبات أو مشكل من قبل هواة الشغب والفوضى فى الوطن العربى .

5 - إن البنود التى وضعها فهد وألزم الولايات المتحدة على الموافقة عليها تضم نقاطاً يستحيل تحقيقها سواء فى الظروف الحالية أو فى المستقبل القادم ، فالارتباط الحيوى جداً بين الولايات المتحدة والكيان الصهيونى أقوى بكثير مما تتصوره السعودية أو يتصوره الأمير فهد وهو لن يتوقف لأن السعودية أرادت ذلك أو لأن الأمير فهد أراد ذلك فأمريكا فى النهاية هى التى تتحكم فى مصير النظام القائم فى السعودية بما أوجدته فيها من قواعد عسكرية معدة إعداداً كاملاً بما فى ذلك طواقم الخبراء الأمريكيين الذين يديرون الأجهزة الحديثة ، كما أنه ليس هناك من رئيس أمريكى يستطيع - أو حتى يفكر - فى إيقاف المساعدات لإسرائيل لأن ذلك يعنى نهايته فالتغلغل الصهيونى فى أمريكا بل وفى البيت الأبيض نفسه واسع النطاق ومنظم إلى درجة مذهلة وليس من السهولة بمكان على أى رئيس أمريكى أن يغامر بمركزه وحياته فى سبيل أنظمة عربية هزيلة . . كذلك فإن من أكبر المستحيلات أن تعترف دولة العصابات الصهيونية بالفلسطينيين وبأن من حقهم مناقشة حقوقهم ، وهذا أيضاً ينطبق على الشرط الآخر للأمير فهد الذى يطالب بالحد من غطرسة إسرائيل لأنه ما دام هناك شيء اسمه كيان صهيونى فى الأرض العربية فإنه لن يكون هناك توقف عن الغطرسة وعن ممارسة أبشع صور العنف ضد العرب والدليل القاطع على ذلك أنه فى الوقت الذى كانت تجرى فيه مباحثات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل بدعاية أمريكا كانت إسرائيل تقصف بيروت وجنوب لبنان دون توقف . . هذا بالإضافة إلى غارتها على المفاعل النووى العراقى .

6 ـ إن الجماهير العربية تعى جيداً حجم الفراغ الذى يحتويه مشروع فهد بالنسبة لما يقدمه من فائدة لصالح العرب وهى تتأكد بذلك من مقدار الغباء الذى تتعامل به الأنظمة العربية ذلك لأنها تبتعد لمناقشاتها عما يمكن أن يحدث تأثيراً إيجابياً فى الوضع العربى ، ولو كانت المبادرة المقدمة تعالج المشكلة اللبنانية أو تقدم برنامجاً عملياً لمقاومة الجهود الأمريكية الساعية إلى تحويل بعض الدول العربية إلى قواعد عسكرية أمريكية تستخدم فى العمليات الإرهابية فى المنطقة ، لو أن المبادرة كانت بهذه الكيفية لأهملت ولما أثير حتى النقاش حولها .

الجماهير إذاً تعرف جيداً أن الخيانة لم تنته بموت السادات فهناك الكثير من الخونة ولكنهم يختلفون عن السادات فى أنهم بعكسه تماماً جبناء ولكن أذكياء فها هم سيجتمعون فى فاس يجمعوا التوقيعات الشخصية لملوك ورؤساء وحكام عدة أنظمة عميلة تجىء إلى فاس دون تخويل شرعى من شعوبها بأحقيتها فى مناقشة قضاياها المصيرية .

إن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو لماذا يحيطون هذا المشروع بكل هذه الضجة مع أن الجميع يعرفون أنه لن يصل إلى أكثر مما وصل إليه سابقه كامب ديفيد ؟؟

ولمن يتخذون قرارهم ما دامت الجماهير العربية ترفض أن يتخذ القرار باسمها ؟؟

قواتنا أم أوراقهم (*)

عفواً من القمة التى نزلت إلى القاع ولن ترتفع ثانية بذات الوجوه المطلية بالنفط ، المتغلفة بعباءة مسيلمة الكذاب ، وعفواً من فهد ومن مشروعه المحرم الذى لم يصغ من بنوده غير الإسم واللقب والتوقيع الشخصى . عفواً من التاريخ المنسوفة حقائقه ، المزورة مقدماته وأحداثه والمختومة نهاياته بطابع الملوك والعروش وأحذية الأعداء فوق جسد الوطن المنسى . . عفواً من هؤلاء جيمعاً ومن غيرهم أيضاً . . عفواً لأن القضية لم تعد تحتمل الانتظار مع التحديق الغبى وألا شىء ، ولأن الوطن المتأرجح بين الرفض والرضوخ والمواطن المقهور بفعل الفقر والتغييب لم يعد يقبل الدبلوماسيات القذرة ، ولا التمريرات السرية للأوراق المشبوهة .

القضية لم تعد تحتمل ولذلك فشلت القمة رغم مظاهر الأبهة ورغم رصد آل سعود لمبلغ عشرة مليارات دولار للقمة التى نزلت ولن تصعد ، ورغم أن كل الدوائر السياسية فى الغرب كانت قد حبست أنفاسها فى انتظار الوليد المبارك وعدلت كل أجهزتها باتجاه مكة العرب الجديدة والتى كان مقرراً أن تأتى منها المعجزة المغلفة بشعارات الانتماء للوطن وللقضية ، فشلت القمة لفقدان أغلب من حضروها للتخويل الشرعى من أصحاب الحق فى الحضور ولجهود البعض فى العمل فى الاتجاه المضاد ولأن

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد (   ) 6 - 12 - 1981 م .

المنتظرين كانوا أول من يعلم بأن الوليد المنتظر هو فى الحقيقة ميت ولا يوجد فيه من مقومات الحياة ما يقذف به إلى الوجود ، وهم أول من يعلم بأن الأمر كله لا يعدو كونه مزايدات على القضية ولأن كل الوقائع تثبت أن كل الأشياء تعود إلى أصلها . .

1 ـ إن مسرحية الأواكسى « النواقصى » كانت مشاهدها مفتعلة إلى حد الغباء ،فعرض فصول هذه المسرحية أمام العالم فى نفس الوقت الذى طرح فيه مشروع فهد كان يراد به إضفاء الشرعية على المبادرة ، إذ يعنى الانتصار المزعوم لآل سعود العرب أن يطرحوا مبادرات عربية بديلة ، ورغم معارضة الكيان الصهيونى لهذه المبادرات ورغم تغلغل التأثير الصهيونى فى البيت الأبيض وفى الكونغرس الأمريكى إلا أن باستطاعة العرب النجاح فى الحصول على ما يريدون من أمريكا .

مع إعلان مبادراتهم أمام العالم بكل شجاعة ، وهذا ما كان آل سعود يريدون الوصول إليه ليثبتوا لبقية الأنظمة العربية هول المعركة « الزائفة » وعظمة النضال الذى خاضوه ضد كل الذين حاولوا الوقوف أمامها ، كذلك لتثبيت أن مشروع فهد هو أمر « مشروع » فعلاً بدليل معارضة إسرائيل العلنية ورفضها لقبول بنوده رغم أن هذا الموقف ينبغى ألا يسجل على العدو الصهيونى لأنه غالباً ما يستخدمه « كتكتيك » لتمرير الأوراق التى يرغبها والتى يعرف فى نفس الوقت أن هناك من العرب من يرفض قبولها ، إذا فاعتراض الصهاينة على المشروع « ظاهرياً » لا يعنى أنهم لا يوافقون عليه « سرياً » بل إن الثابت أن المشروع لم يظهر للوجود إلا بعد أن عرض عن طريق أمريكا على إسرائيل ، وهذه بنوده مبالغة فى إضفاء الطابع العربى عليه بما لا يخالف الغايات الصهيونية ومطامحها والتى بتسترها تهدف الحصول على الاعتراف العربى بوجود ما يسمى بإسرائيل .

ح ـ إضفاء نوع من الشرعية العالمية لمبادرة فهد وذلك بحديث بعض من آل سعود عن دور إيجابى للاتحاد السوفيتى بحل قضية الشرق الأوسط وذلك حتى تحصل السعودية على موافقة الاتحاد السوفيتى على،

المبادرة مما يؤثر بصورة فعالة فى موقف الدول العربية التى ترتبط بصداقات مع روسيا ، فالسعودية لا تريد موافقة علانية من روسيا على المشروع ولكنها تريد فى أكثر الأحوال الصمت أو غض الطرف من قبل السوفيت حتى يمر المشروع بالطريقة التى يريدونها ومقابل ذلك تلوح السعودية بإعادة العلاقات بين الرياض وموسكو ولكن ذلك غير حقيقى لأن التلويح بإعادة العلاقات ما هو إلا إجراء وقتى لن يتجاوز حد التلويح فقط ولـــن يتعداه إلى عمل واقعى فموقف السعودية من روسيا معروف وهى لن تعيد العلاقات مطلقاً معها وموسكو تعرف ذلك بشكل مؤكد تماماً .

قلنا أن كل الأشياء تعود إلى أصلها وأن كل الأوراق السرية لا تستطيع المرور أمام الرافضين ، وأن هناك اختلافاً كبيراً جداً بين من يحاول تعليق جسد الوطن على حبل من الدبلوماسيات القذرة وذلك بالاستسلام بطرق ملتوية ، وبين من يرفض ذلك . . ولا يلتقى بالرفض فقط بل ويتعداه إلى حدود الفعل الحقيقى الذى لا يحتاج إلى أوراق سرية كأوراقهم لتمريره وذلك ما يميـز بالفعـل مواقف الجمـاهيريـة والتى هى مبنية دائمـاً على الوضوح . والذى قد يصل بالآخرين أحياناً إلى عدم فهمه أو فهمه بالعكس لأن الوضوح فى المسائل الدولية وفى القضايا التى تثير اهتمامات العالم كله أمر غير متعارف عليه وبادرة خطيرة تؤول بطرق مختلفة تماماً مثلما حدث عندما فسر دخول القوات المسلحة العربية الليبية إلى تشاد على أنه محاولة لاحتلالها رغم توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين ليبيا وتشاد والتى سمح فيها باستخدام قوات مسلحة للبلدين فى كل من الأخرى وبالتدخل لأحد البلدين لحماية أمن الآخر واعتبار الاعتداء على أى منهما اعتداء على الآخر ولكن الذى حدث بعد ذلـك أذهل العـالم وألغى كل التفسيـرات المغرضة عندما ظهر أن القوات الليبية تدخلت لإنهاء حرب أهلية مدمرة ولإعادة الأمن إلى أرض وشعب تشاد دون أدنى رغبة من القوات الليبية فى تسلم الأرض التشادية مقابل تدخلها لحسم الصراع لصالح الحكومة الشرعية وظهر ذلك جلياً عندما سارعت قواتنا بالانسحاب من تشاد حين طلبت منها الحكومة الشرعية فى التشاد ذلك .

إن ما أوردته كان مثالاً فقط على وضوح مواقف الجماهيرية حيال كل القضايا المفروضة عربياً وعالمياً والتى نرى من خلالها الفرق الشاسع بين الاستسلام المموه بالاعتدال وبكل الشعارات الفاقدة لإمكانية التنفيذ وبين الرفض الواعى المدعم بالمواجهة عند الضرورة ويتضح هذا بشكل أكثر واقعية من مواقفهم وموقفنا من أمريكا ،وهم رغم معرفتهم بالعلاقة الجد وثيقة والمتبادلة بين أمريكا والكيان الصهيونى لا يتورعـون عن معاملتهـا كإحدى الدول العريقة جداً .. أو ربما (الشقيقة) رغم الوجه الإرهابى الأمريكى الذى بات عاماً من أقصاه إلى أقصاه يعرفه ويعرف ملامحه البشعة بسهولة ورغم التهديد الأمريكى المباشر لكل وجود عـربى .. عن طريق إجراء المناورات بشكل مستمر قرب الشواطىء العربية وعن طريق وجود القواعد الأمريكية المجهزة فى أكثر من بلد عربى وعن طريق قوات التدخل السريع والتى تتدخل بدون رضى الشعوب لحماية المصالح الأمريكية فى أى مكان من العالم خاصة مصالحها الحيوية جداً فى الوطن العربى ولأن هذا هو الوجه الحقيقى لأمريكا لذا فإن ردة الفعل الحقيقية الواعية هى التى خرجت من الجماهيرية حيث أعلن القـائد عن (تشكيـل قوات التـدخل السريع لتنتصر للحرية ولتقاتل إلى جانب الشعوب وتكون مهمتها معاكسة تماماً لقوات التدخل السريع الأمريكية) إن ردة الفعل الواعية هذه ينبغى ألا تثير غضباً لأى كان لأن العالم الذى أباح لدولة أن تشكل قوات للتدخل لا يستطيع أبداً أن يعترض على هذا العمل .

إن إعلان القائد هذا هو أكبر دليل يوضح الفارق بيننا وبينهم بين من يرفضون وبين من يقبلون أو بمعنى آخر بين مواجهتنا وبين تخاذلهم ..

دكتاتورية الأمين المقنعة(*)

المكان : عبق هو ذلك المكان برائحة الفقر والوعى والانتماء وفى كل الأحوال فلم يكن هناك من مجال لتفوح روائح كريستيان ديور/ مدام روشا/ ساكنات القصور/ والتخمة والامتلاء حتى انتهاء الإدراك وفقدان الوعى . . وببساطة وبدون حذلفات كانت هناك لافتة مكتوب عليها بقلم أخضر « مكان انعقاد مؤتمر رأس عبيدة النسائى» . .

الزمان :آت هو من الحلم والترقب والانتظار . . مشبع حتى العمق بالوعى والنضج المتوارى حيناً خلف الجرد (الفراشية) أو خلف الزى الجامعى للآئى أدركن أن الوقت لم يمض بعد لاستدراك الأمور . . وحيناً آخر خلف بدلة انتشر فيها لون تعرفه الأرض حين تنام وملء عيونها الحبور والأمل/ أعرفه أنا وأنت وكل المتطلعين نحو الشمس من كوة العتمة/ المطبخ/ العورة/ الحرام . . وكل الأشياء الأخرى التى لا تحتاج إلى تسمية لمعرفة هويتها العلنية . .

ملاحظة رقم (1)) هى لم تمارس فى حياتها الرذيلة . . « وما كانت أمها يوماً بغياً » وأنا لم أذنب حين دخلت المثابة وحين ذهبنا معاً إلى المؤتمر الشعبى . . لكن فتاة القصور التى لا يخدش سمعها كما يخدشه

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد ( ) 20 - 12 - 1981 .

صوت عضوة اللجنة الثورية . . أشاحت وببصرها عنا وأغلقت أذنيها وسدت أنفها كى لا تبصر/ لا تسمع/ لا تشم . . الانتماء . . الهدف . . الفعل . .

فتاتى . . فتاة القصور وزبونة كل كافتيريا فى أى كلية/ وعدوة كل منشأة تبيع الأزياء الشعبى العام والعطور الرخيصة/ فتاتى . . لم يصنفنى أحد فى أى يوم من الأيام على أى درجة من الدرجات فى قائمة العَاملين لدى المخابرات . . ولم يطلق على أحد لقب (ك . و) وإن الجميع ليشهد لى بحسن السيرة والسلوك ولإثبات ذلك فإننى أحتفظ بشهادة حسن سيرة وسلوك من آخر مدرسة درست بها لأخرجها فى حالات الطوارىء والمواقف المحرجة/ هذا للتنبيه فقط/وتحتفظ صديقتى ـ مثلى تماماً ـ بشهادتى ميلاد وإقامة تثبت كل منهما أننا لم نولد فى زمن الخصب وفى الأماكن المعطرة التى ولدت أنت فيها ، وكل ما ذكرته سابقاً محافظة منى وصديقتى على مشاعرك المرهفة من تأثير الشعور بالغيرة والمنافسة .

لكنك مع ذلك يا فتاتى لم تستطيعى كبت ابتسامة سخرية واستهزاء عندما سمعت عن ذهابنا إلى المؤتمر ولم تستطيعى أن تمتنعى عن التصريح بأن « المؤتمرات هادى قطاف فارغ واللى يمشوا لها مش بنات ناس » . . آه . . يا فتاتى . . أنت لا تختلفين كثيراً عن الأمين عفواً الدكتاتور الأمين أو الأمين الدكتاتور ـ لا فرق ذلك الذى كان يضبط جلسات المؤتمر الشعبى النسائى برأس عبيده . . أنت لا تختلفين عنه فجوهركما واحد وإن اختلف أسلوب كل منكما فى الهدم . .

ملاحظة رقم (2) :

فى زمن البوح بالأشياء الممنوعة
أعلنا الرفض
وصرنا نحن الوعى . . النضج
يتشكل صوت الثائر . .
حين ينمى فينا حب الرفض . .

حدثاً . . فعلاً . . وبناءً

تبارك صوت الثورة. . تبارك فينا
العشق الناسف . .
لكل إشارات الممنوع . .

هامش : لا أفهم أبداً كيف تمر مسألة تقسيم المؤتمرات الشعبية هذا العام إلى مؤتمرات شعبية رجالية ومؤتمرات شعبية نسائية . . ببساطة وبدون إثارة نقاش حولها لأن هذه ازدواجية غير مقبولة (إلا مرحلياً ولفترة قصيرة جداً) . . فإذا كنا نخاف من جلوس الرجل بجانب المرأة فى المؤتمر الشعبى (الذى يتمثل فيه الالتزام الأخلاقى بصورة مركزة ويكفى فقط أن تناقش فيه قضايا مصيرية مهمة فهى كفيلة وحدها بصرف نظر الإنسان عن التفكير فى توافه الأمور) فكيف إذن لا نخاف على المرأة من اختلاطها بالرجل فى الشارع/ فى العمل/ فى الأسواق والمنشآت . . الخ ، إن تقسيم المؤتمرات الشعبية يبيح لأى جهة أخرى أن تحذو نفس الحذو وعلى أساس ذلك فليس من الغريب أن نجد سوقاً للنساء وآخر للرجال . . شارعاً للنساء وشارعاً للرجال . . حتى نتحقق من عدم تدخل الشيطان الذى هو موجود بين كل رجل وامرأة .؟ ثم إننى أستغرب جداً من أمر آخر وهو أن أمين وأعضاء أمانة المؤتمر الشعبى لأى مؤتمر بالإضافة إلى مصور المرئية وبعض الفنيين وهم رجال متواجدون فى أى مؤتمر نسائى فإذا كان الغرض من التقسيم هو وضع حد لخجل المرأة من إبداء رأيها أمام الرجال فإذا وجود هؤلاء السابق ذكرهم ينفى تحقيق هذا الغرض من خلال المؤتمرات الشعبية النسائية . .

عقدة رئيسية :

كانت قاعة المؤتمر برأس عبيدة مليئة بالوجوه النسائية المتمردة التى اختلست ساعات حضورها للمؤتمر من أنياب الرجل والمجتمع والكتب الصفراء . . الحضور كان مكثفاً ومميزاً بعدد كبير من الوجوه الطفولية البريئة/ إلى الثانويات/ الجامعيات/ ولابسات الخيام البيضاء . .

وعندما انتهى أحد أعضاء الأمانة من قراءة جدول الأعمال طلب منا الأمين اختيار البنود المرغوب فى مناقشتها وكان بين كل كلمة وأخرى يذكر أننا يجب (أن ننتهى (بسرعة) من مناقشة البنود المختارة من جدول الأعمال) . .

هامش بسيط : أشهد أنه لم يكن هناك أحد يرغب فى الانتهاء بسرعة من المناقشة عدا الأمين . . الذى كان يقطع نقاش كل متحدثة عند منتصف حديثها بكلمة (شكراً) (بارك الله فيك) (وهذا هو الكلام) . . .

نقطة نظام : ـ يا سيدى الأمين . . نحن لا نريد نفاقاً « نحن نريد أن نناقش قضايانا . . وإلا لما جئنا . .

توضيح : نوقشت النقاط التالية : تكريم الجنود الليبيين/ زيادة القدرة الإنتاجية/ دمج البلديات/ الطلاق والزواج . . نسيت أن أقول أننا طالبنا فى بداية المؤتمر بدرج البنود التالية لمناقشتها/ الخدمة العامة/ قطاع الشعب المسلح/ قضايا عامة/ السياسة الخارجية . . انتبهوا جيداً . . فالأمين كان يقطع النقاش إذا زاد الأمر عن نقطة واحدة من البنود اليتيمة التى نوقشت . .

الأمين : أنتن النساء الواعيات فى المجتمع . . أنتن المثقفات وآراؤكن فى منتهى الروعة (تصفيق) . أنتن . أنتن . الخ ، لكن ليس لدينا الوقت الكافى لمناقشة باقى البنود (السياسة الخارجية/ قضايا عامة/ الخدمة العامة) . . وسنلتقى فى الجلسة الختامية (والفاتح أبداً) . .

نقطة نظام : لم نأت لنسمع المديح . . نود مناقشة باقى البنود . . أين أنت يا سيدى الأمين ؟ . .

هل تسمع الصوت الغاضب
غداً سيأتيك كالسيل الهادر
وسيجرفك التيار

توصية من المؤتمر الشعبى الأساسى النسائى لفرع رأس عبيدة : نرجو

إعادة انعقاد المؤتمر لأننا منعنا بطرق مغلفة بالديمقراطية من نقاش ما جئنا من أجل نقاشه . ولولا أنها التجربة الأولى للمؤتمرات الشعبية النسائية . ولولا أن سلطة الشعب لا تعنى الفوضى أو الغوغائية .. لولا ذلك لكنا مارسنا العنف الثورى ضد هذا الأمين الدكتاتور . .

وأخيراً فعلوها يا زياد(*)

بطاقة تعريف!

فلسطينى هو.. مقيم فى أرضه منذ لحظة التفتح الأولى وحتى لحظة الإلتحام بالأصل والجذور.. فلسطينى هو وشهادة الانتماء للوطن تشهد أن (زياد أبو عين) قد سجن فى 4 ،11 ،1977 م ووضع فى زنزانة خاصة بتهمة كتابة شعارات معادية للصهاينة وتنظيم المظاهرات.. وتشهد انه لم يكن خائناً ولا خائفاً ولم يفكر يوماً فى بيع أرضه فى السوق المشتركة للسماسرة بالأرض.. والعشق.. والحرية.. وتشهد بأنه فى يوم 21 ,8 ,1979 م بينما كان فى زيارة إلى شقيقته بأمريكا.. ألقى القبض عليه وكانوا منذ الوجع الأول قد صادروا البراءة من عينيه وحل شكل لا نهائى من الغضب والحقد المستعر.. قبل القبض عليه عذب الصهاينة والده وأخاه.. وكانوا يدعون كل يوم شيطانهم ليحضر لهم زياد.. فالمادية فى كل حين ترسم خطوطاً سوداء فوق تعاريج وجوههم..

سؤال واعتذار !

كانت لزياد أمانيه.. وكان لزياد فعله.. وما كان لأكثر الآخرين شىء يحضرنى وجهك ملتحماً بالأرض.

(*) نشر بجريدة الطالب عدد (   ) 3 - 1 - 82 م.

يحضرنى إنك أنت. . من قتل الخوف وقتل الصمت وإنك أنت اختصرت المسافة ما بين الجذور وبين الشمس يسألك طفل فى الزمان البارد. . هل تشعر بالحزن أو تشعر باليأس يسألك طفل عربى آخر عن صور الحب وصور اليأس؟

لا تحزن يا زياد. . لا تندم. . لأنك تأتى فى الزمن البارد.
لا تحزن وأعذرنى . . فكل الكلمات قد صارت لاذعة الطعم.

تداخل :

فى 18 ,12 ,1979 م صدر قرار بالموافقة على تسليم زياد إلى الصهاينة كان هناك خمسة محامين يدافعون عنه فى 1979/3/28 صدر قرار استئنافى بالموافقة على تسليمه/ كردة فعل عربية/ فى 1981/2/20 م دافع عنه وزير العدل الأمريكى السابق رمزى كلارك لكن المحكمة حكمت بتسليمه/فى 1981/10/27 م قدم التماساً لسلطات العدل العليا الأمريكية وصدر قرار موافقة على القرارات السابقة القاضية بتسليمه/أدرك العرب أن الوقت قد حان للاستنكار.

استنكار وتنديد واستنكار:

طالب عدد من السفراء العرب بوقف قرار التسليم والإفراج عن زياد (فوراً).

ذهب الوقت «ولم يحدث شيء (فوراً) طالب سفير عربى لدى الأمم المتحدة بأن تصدر الجمعية العامة قراراً «يستنكر قرار التسليم» ويطالب بالإفراج عنه لكن المجموعة العربية بنتيجة الضغط الأمريكى سحبت مشروع القرار/ولم تعاود الكرة خوفاً من غضب إله العذاب والرحمة.

رسالة إلى زياد:

مأساتك يا زياد إنك فلسطينى من أول لحظة عشق وحتى آخر نقطة

دم.. مأساتك أن حدود الوطن الأكبر مختومة بالشمع الأحمر ومحاصرة من كل الأنحاء بالحراس.. وإنك جئت فى وقت تعكر فيه جو السادة والأمراء.. فلم ينتبهوا إليك.. آه يا زياد لو أنك كنت ابناً لأمير من أمراء النفط لافتداك بمليون برميل وبألف جارية حسناء.. وبقصر ملكى يهديه إلى سلطات (العدل) الأمريكية لتعقد فيه الجلسات العادلة للدولة العظمى.. ولتشنق فى ساحته شعوب الأرض الصغرى.. آه يا زياد لو أنك ابن لسفير أو وزير عربى/ (من إياهم) لأرسلك ريغان محمولاً فى طائرة خاصة.. بحراسة 1000 بوليس سرى حتى توضع فى قصر أبيك وحول عنقك باقة ورد وبطاقة أشواق وسلام من ريغان من سلطات العدو الأمريكية.. مسكين أنت يا زياد.. هل كنت تنتظر المعتصم يأتيك من أقصى الأرض وصرخته (لبيك) تملأ أرجاء الكون؟ أم كنت تنتظر الضغط العربى على أمريكا؟ أو كنت تنتظر تحريك الجيش الواحد نحو الأرض المحتلة؟ أو كنت تحلم - بأقل الاحتمالات زيارة السفراء العرب فى أمريكا لك فى السجن؟ تذكرت فى لحظة يأس أن الدول العربية تفقدت.. الرهائن الأمريكيين فى طهران.. ولم يتفقدك أحد.. فلا تندهش يا زياد لأن أحداً من السفراء العرب لم يزرك فليس لديهم وقت فراغ للمهمات التافهة.. لا تندهش لأن العرب فعلوها ورضوا بتسليمك إلى الأعداء.. لا تندهش ولا تنتظر شيئاً.. وقد انتهى وقت الانتظار.. ولا تيأس وكن كالشجرة لا تموت إلا واقفة.

من زياد أبو عين إلى أشقائه العرب: (قل لهم أن زياد أبو عين لا يساوى شيئاً ثميناً فى هذا العالم العربى الواسع) وبالتالى فإن حياته أو عدم حياته لن توقف الكرة الأرضية عن الدوران ولن تمنع العرب أن يكونوا عرباً ولكن ينبغى أن يكون واضحاً للأخوة العرب أن تسليم زياد أبو عين - هذا النكرة - هو تسليم فلسطين لاسرائيل بصك عربى ودولى، ذلك أن تسليمى لسلطات الاحتلال معناه إننى مواطن اسرائيلى يحق لاسرائيل جلبه أو إبعاده أو محاكمته أو معاقبته.

زياد.. يا زياد.. أنت كفرد قد لا تساوى شيئاً.. ربما يكون هذا

صحيحاً. . ولكنهم فعلوها اليوم معك وغداً سيفعلونها مع آخرين خونة هم يا زياد الذين يبيعون الأرض الذين وضعوا البند السابع والذين فى طريقهم إلى وضع باقى البنود والذين لم يضعوا شيئاً بعد حتى تسنح الفرصة فلا تنتظر من الخونة شيئاً.

غداً يا زياد ستهاجر العصافير نحوك. . وكل العيون البريئة نحوك. . وسيسأل كل الأطفال عنك. . وسنسمع أنهم قد بدأوا فى تعذيبك. . وسيسمع الذين سلموك ولن يتألموا. . سيعذبك الأعداء يا زياد وسيدفعونك للاعتراف بما ارتكبت وبما لم ترتكب. . ولن يتغير فى الوطن العربى شىء/سيظل أمراء النفط يتاجرون بقضيتك الكبرى/ وستصدر سلطات العدل الأمريكية قرارات استئنافية بتسليم كل الفلسطينيين للصهاينة/ وسيحتج العرب فتسكتهم أمريكا وتتكرر المأساة/وستنتحر كل العصافير المهاجرة وستموت الأسئلة فوق شفاه الأطفال/لكنك وبرغم السجن والتعذيب ستظل تقول: «سأكون مثال المواطن الفلسطينى الذى يصرخ بصوت عال ضد الاحتلال البغيض وسأقول لهم هذه أرضى وأرض آبائى وأجدادى وأجداد أجدادى، ولا يضيرنى أبداً أن أرويها بدمى). .

أيها البطل الرافض. . هل تقنع مأساتك كل العرب. . بأن الزمن يمر. . وإن الصورة الرعب الشبح تنمو. . تكبر. . عمق المأساة يا زياد إنك تنتظر. . وإنك تحلم لا شىء الآن يجدى. . لاشىء. .

غير إنك فى قلب التاريخ بأظافرك حفرت الخندق. .

رسالة ثانية إلى العرب:

وقال لنا زياد أيضاً: (تعلموا درساً من قضية زياد أبو عين فقد نكون لا نزال دولاً متخلفة، لكن يجب أن يعلمنا التاريخ كيف يجب أن نتصرف، وهذا هو زياد أبو عين يمثل الدرس الألف أو ربما الأكثر من الألف ـ الذى لقنتنا إياه اسرائيل طوال السنوات الثلاثين الماضية. . انتهت الرسالة ولن

يستفيق العرب. . وستلقنهم (اسرائيل) ألف درس أخر. . ولن يعتبر العرب فقد مضى الذين تنفعهم الذكرى والعبرة. .

ولم يبق إلا الذين يتناولون فى كل يوم الوضع العربى الراهن بالتحليل الفاسد وبالخطب الجوفاء، وبألف بيان استنكارى ومائة ألف برميل نفطى إلى أمريكا/ومن أمريكا إلى الأعداء/ ومن الأعداء إلى قلب الوطن الأكبر/ والزمن يمر. . والأرض تكمل دورتها ونحن نيام. .

مملوء هـذا الـوطن حتى العمق شـظايـا/مـملوء حتى الـعمـق جراحاً/وسيبقى ممتلئاً إذا ظل الأمراء كذلك. . . وظل الفقراء. . فقراء. . وظل هناك من يستخدم جراح الوطن ليصعد فوق الكرسى. . ويحكم. . عفواً بل يحكم من قبل الأعداء.

المساواة أمام باب السجن:

لا تحلم واستيقظ من الدهشة فكل ما يعرف العرب أنـه سيحدث يفاجأون فيما بعد بحدوثه وأسأل القدس ولا تسألنى. . ثم اسأل الجولان ولا تسأل أحداً. . هم يا زياد يخرجون من صمتهم فجأة فيعلنون استنكارهم ويملأون الأرض ضجيجاً ورماداً. . ثم فجأة يسكتون. . وفيما بعد تصبح كل الأمور قابلة لأن تكون نسبية وقابلة أيضـاً للنقاش. . أو للصمت. . المطلق. . وأخيراً للنسيان. . وسيأتيك الدور يا زياد فاغضب واستيقظ من الدهشة.

القضية والمسؤولية(*)

السياسة العربية سياسة عوجاء من غير شك.. وهى دائماً غارقة حتى أذنيها من دوامة من العقد المعقدة والتى يبدو أن لا حل لها إلا بقصفها مت جذورها.. والحالمون من العرب هم وحدهم الذين يظنون أن بإمكان السياسة العربية أن تحل مشاكل العرب أو أن تنظر إلى قضاياهم بجدية تعادل أهمية وخطورة تلك القضايا، وليس هناك من دليل على ضخامة الجريمة التى ترتكبها السياسة العربية أكبر من الجريمة التى ارتكبت فى حق قضية فلسطين.. بدءاً من الذين باعوا أوراق المعركة فى الخفاء فى نكبة 1948 م ومروراً بالمزايدين الذين جعلوها سلماً يرتقونه لتحقيق أحلامهم السلطوية وإنتهاء بالذين تاجروا بها جهاراً نهاراً أمام العالم وهم يخرجون لنا ألسنتهم ساخرين من ردود فعلنا العرجاء.. أقول أنه لولا السياسة العربية لكان لقضية فلسطين وجه آخر غير الذى هو موجود ولكان لصوت الفلسطينى ولصوت بندقيته الكلمة الأولى والأخيرة فى كل الحروب التى خاضها العرب من أجل فلسطين، ولكن حدثت أشياء كثيرة فى كواليس السياسة العرب جعلت صوت الفلسطينى يخمد وصوت بندقيته يتلاشى.. ففى سنة 1948 م وعندما بدأت المواجهة العسكرية بين الجيوش العربية وبين الصهاينة فى فلسطين جردت السياسة العربية الفلسطينيين من حق مواجهة أعدائهم

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد ( ) 11 - 10 - 81.

وسحبت منهم سلاحهم وحرمت عليهم الاقتراب من ساحات القتال.. رغم أن القضية قضيتهم بالدرجة الأولى وهم المعنيون بالدفاع عن وطنهم أكثر من غيرهم.. وليس ما سبق ذكره هو فقط ما تحتفظ به ذاكرة الفلسطينى من مآثر السياسة العربية، بل وصل الأمر إلى درجة وصم الفلسطينيين بالخيانة واعتبار كل من به شامة أو عاهة جاسوساً من جواسيس الصهاينة، وعندما استنكر الفلسطينى هذه التهمة الشنيعة لم يستمع إليه أحد وحينها لاذ بالصمت كملجأ يجتر فيه أحزانه، وأى حزن أكبر من أن يرى الإنسان وطنه يسلب تحت بصره دون أن يستطيع فعل شىء ما له تأثير؟؟..

والذى يؤسف له أكثر أن بعض السذج من الذين وصفتهم الجيوش العربية بالتهاون والخيانة قد صدقوا فى نهاية الأمر ما قيل عنهم وأصبحوا يخجلون من القول والفعل.. بينما المأساة الكبرى أن الخونة الحقيقيين، أولئك الذين دفعوا جيوشهم إلى الانسحاب ليلاً بلا أسباب من بعض المناطق العربية ليتسلمها اليهود مجاناً فى الصباح.. وأولئك الذين كانوا يهذون فى كل وقت بمهاترات الإخلاص للأمة العربية فى حين إنهم قد أتقنوا مهنة المتاجرة بالأسرار والسلاح سراً مع الصهاينة..

هؤلاء لم يستطع أحد تجريمهم لأنهم كانوا فى مواقع لا تسمح لأحد بالتطاول عليهم فيها.. هؤلاء هم الساسة العرب الذين طردوا صاحب البيت الفلسطينى من الميدان بعد أن جردوه من كل شىء عدا مشاعره والتى لم تكن أسبابها عسكرية بقدر ما كانت أسباباً سياسية.. الناتج الطبيعى للاختلاف والتشدد.. وفى كل الأحداث التى مرت بعد نكبة 1948 م كانت السياسة العربية تمارس القهر ضد الفلسطينيين، وبدا وكأن أمر تلاشيهم وابتعادهم عن قضيتهم قد بات قاب قوسين أو أدنى، غير أن الكثيرين ممن انتبهوا إلى خطورة الأمر أعلنوا الثورة الفلسطينية فى شكل أعمال فدائية لا تتوقف بعد أن أدركوا جيداً أن تحرير فلسطين لن يتحقق إلا عن طريق أبناء فلسطين لأنها هى أرضهم، مأواهم ومثواهم، بدايتهم ونهايتهم، أحلامهم وواقعهم، هى كل شىء بالنسبة لهم ولا بديل لهم عنها أينما اتجهوا

بأبصارهم وتطلعاتهم، وبعد أن أدركوا جيداً أن العجز العربى لا يولد إلا عجزاً أكبر. .

وإن السياسة العربية المتقدمة باستمرار نحو التخلف والمنفعلة دوماً والمندهشة أبداً والمذهولة فى كل وقت بمبادرات الغرب لن تقدم لهم أكثر مما قدمته فى نكبة 1948 م، ولن تستطع أن تفيدهم بشىء أكبر من كمية ضخمة من الخطب الرنانة والكلمات الفضفاضة اللامعة والأوراق المملوءة ببيانات التنديد فى مؤتمرات القمة العربية وكذلك فإننا يجب ألا ننسى الاستقبالات الحافلة بالابتسامات الرشيقة التى يستقبلون بها أمناء وأعضاء جبهات المقاومة الفلسطينية.

وفى الطرف المقابل نجد أن هناك من استطاع بوعى وجرأة مذهلة مخالفة قاعدة السياسة العربية فقارن القول بالفعل وكانت أفعاله فى كل وقت شاهداً بليغاً على أقواله، نجد أن هناك من سخر من السياسة العربية ومن وحدة الصف العربى وأعلن أنه ينبغى العمل فعلاً على تحقيق قومية العمل الفدائى وقومية المعركة بل وحرض وما زال مستمراً فى التحريض على القتال إلى جانب الفلسطينيين ودعمهم بكل شىء من أجل التحرير. . وغيره إن هذه الدعوة إلى قومية العمل الفدائى وقومية المعركة لا تعنى أن يتخلف الكثيرون من الفلسطينيين المشردين فى معظم الأقطار العربية عن القتال مع الفدائيين الفلسطينيين بحجة أن هناك من يحل محلهم من اخوانهم العرب فإن ذلك طرح غير واع وسخيف فى نفس الوقت. . لأن كل فلسطينى مسؤول عن تحرير فلسطين وليس هناك ما يعوقه. .

(مهما كانت المبررات) عن أخذ دوره فى القتال والمواجهة فهو ليس أفضل من الشهداء الذين يسقطون كل يوم فداء لفلسطين، ولا هو بأقل قدرة من أولئك الذين باعوا أنفسهم للقضية، خاصة وإن المجال مفتوح للفلسطينيين الذين يقيمون بدول الصمود والتصدى للتطوع فى أى وقت وتحديداً المقيمون فى الجماهيرية التى لا تألوا جهداً فى سبيل تدريبهم وتعبئتهم استعداداً للتوجه إلى فلسطين وإلى لبنان لأنه كما قال القائد فى

خطابه الأخير فى العيد الثانى عشر لثورة الفاتح (من العار عليهم أن يعيشوا على الأرض الليبية دون أن يشتركوا فى القتال). . من العار فعلاً أن يعيشوا هنا فى أمن وطمأنينة بينما يتعدى الصهاينة فى كل يوم على أراضيهم وأخوتهم فى الأرض المحتلة وفى لبنان. . ومن المشين أن يملكوا سيارات (البيجو، الفيات) (والهوندا) وأن يسكنوا بيوتاً حديثة وأن يأكلوا (الرز والمكرونة) بينما تحرق وتدمر بيوت الفلسطينيين واللبنانيين فى فلسطين وفى جنوب لبنان ويقتل أطفالهم ولا يجدون غير القليل ليأكلوا ورغم ذلك فهم لا يفكرون بالتخلى عن أرضهم كما فعل غيرهم. .

إننا لا ندعو لتعبئة الفلسطينيين من منطلق إقليمى ضيق، لأن الجميع يعرفون مواقف الجماهيرية من قضايا الأمة العربية ولكن الآن الحقيقة تقول إن الكلمة الفصل هى للبندقية الفلسطينية المقاتلة كما كانت كلمة الفصل للشهداء المليون فى الجزائر وللمليون إلا ربع فى ليبيا، ولأن كل ثورى حقيقى فى هذه الأمة يعرف إنه إذا ما انتظر الفلسطينى أن تحقق له السياسة العربية النصر والتحرير فإن عليه أن ينتظر أخباراً مماثلة من نوع: تخلى السادات عن مبادرة (السلام)، وتخلى الصهاينة عن أرض فلسطين وعن ضرب لبنان، وكذلك تخلى أمريكا عن ممارسة الإرهاب فى العالم، وعن أطماعهم الاستعمارية فى الدول الصغيرة والفقيرة وحين يتحقق كل ما سبق بمبادرات ذاتية من المعنيين بها، فعلى الفلسطينى عندها أن يوقن أن فلسطين قد تحررت ، ولكن ولأن شيئاً من ذلك لن يحدث، إذاً فالحل الوحيد هو مواجهة الفلسطينى للموقف بشجاعة والتزام وطنى قبل كل شىء. . وعليه أن يضع فى اعتباره أن تخليه عن القيام بواجبه معناه المشاركة الفعالة فى محاولات الصهيونية والرجعية العربية للقضاء على الشخصية الفلسطينية وعليه أن يتخذ قرار الموت فمن الأفضل له أن يموت بشرف مرة واحدة واقفاً كالشجرة من أن يموت ألف مرة فى اليوم وهو يستمع إلى أخبار الاعتداءات على أخوته. . ولكن تبقى نقطة هامة ينبغى الإشارة إليها وهى أن تتعهد الدول التى يتوجه منها الفلسطينيون إلى أرض المعركة بتقديم كافة

المساعدات لعائلات الفلسطينيين حتى يطمئن الفلسطينى على مصير عائلته من بعده ويتفرغ تفرغاً كاملاً للقضية التى وهب لها نفسه . .

وأخيراً ينبغى أن تردد ذاكرته باستمرار . .

الصوت الثائر الذى يقول:

علمتنى ضربة الجلاد أن أمشى على جرحى وأمشى . .
ثم أمشى . .
وأقاوم!(*)

(*) مقطع من إحدى قصائد الشاعر محمود درويش.

لماذا ثورة الفاتح(*)

لو لم تكن هناك منطلقات لقيام ثورة الفاتح سنة 1969 م، غير تلك القواعد الظالمة من ملكية متعفنة إلى نظام اقتصادى اقطاعى احتكارى إلى بوليس قمعى وحريات مكبوتة وقواعد منتشرة وفقر وقهر.. ورجعية عميلة.. لو لم تكن هناك هذه المنطلقات التى من أجلها تفجرت ثورة الفاتح لاستحقت كل الصفات النبيلة التى يمكن أن تطلق على الأشياء التى تتميز بالسمو. فكيف الحال إذن وقد رسخت هذه الثورة منذ قيامها وحتى هذه اللحظة مثاليات حلم بها المفكرون.. وظنوا استحالة تطبيقها على أرض الواقع لانتفاء وجود من يرضى بالتخلى عن مركز النجومية اللامع.

- ثورة الفاتح رسمت أبجدية جديدة لم يفهمها العالم بعد..
- رسمت خريطة تكوين الإنسان.. الذى تحترم فيه إنسانيته..
- وضعت نقاطاً على حروف مهجورة.. تركت فى السابق لاستحالة فك رموزها..
- ثورة الفاتح عانقت بتطلعاتها أحلام الفقراء وعلمتهم أن هناك ما هو أهم من رغيف الخبز. وارتفعت بأمانيهم إلى مستوى الفعل.. فكانت ثورة

(*) نشر بمجلة الطالب عدد 30 - 8 - 1981.

المنتجين.. وتحطيم غرور البرجوازية الغبية.. وقلب مفهوم الحكم.. حدث الإلتحام اللامشروط بين الثورة وبين الفقراء وبين الأرض..

• ثورة الفاتح اقتربت من الإنسان الحقيقى.. فساندها بطريقة لا محدودة وكل من عرف ثورة الفاتح ميز بوضوح رائحة النضال التى تفوح من كل نبضة من نبضات أعمالها ومنجزاتها..

• ثورة الفاتح عرفت من هو الذى سيدوم فوق هذا العالم.. فخاطبته مباشرة ولم تتخذ واسطة ـ أى كانت ـ بينها وبينه.. عرفت أن الشعوب هى دوماً الباقية.. والمنتصرة.. والتى منها ينطلق كل شىء ويعود إليها كل شىء.. خاطبت ضمير الشعوب فاهتز لصوتها الحقيقى الخالى من الأمراض المستعصية.. ولمعنى الحرية الذى أرسته.. ولكل القيم السامية التى نادت بها والتى يسمعها العالم للمرة الأولى ولكنها لن تكون الأخيرة..

• لكل الشعوب المضطهدة والمقهورة سعت ثورة الفاتح بقدميها وساندتها بكل قدراتها المعنوية والمادية.. فى أفريقيا.. فى آسيا بل فى كل بقعة من بقاع العالم تقمع فيها حرية الشعوب وتداس كرامة البشر.. وكان أن مورست كل أنواع الضغوط عليها لتتخلى عن مواقفها الجريئة.. ووصفت بكل الأوصاف المخجلة.. وعرقلت بشتى الطرق مشاريع تحولها فى الداخل وسعى كل أعدائها إلى محاولة تشويهها فى الخارج.. بالإعلام.. بالعملاء.. بالدبلوماسيات القذرة..!

ورغم ذلك احتضنت ثورة الفاتح الفقراء والمضطهدين بنقائها الثورى.. بل إن محاولات أعدائها للتشهير بها انقلبت لصالحها لأنها لم تؤلب شعوب العالم عليها بل تشوقت هذه الشعوب لمعرفة دوافع هذه الحملات الفدائية تجاه ثورة الفاتح وتجاه الجماهيرية وتجاه معمر القذافى الذى هو روح الثورة والذى تكمن فى أفكاره ومبادئه عوامل تجددها المستمر.. بل إنه فى غاية الصعوبة الفصل بين الثورة ومعمر القذافى وبين معمر القذافى وكل ليبى فى الجماهيرية.

احتفظت هذه الثورة بطهرها وبنقائها لأنها لم تكن ترسم أهدافاً آنية مؤقتة بل هى ترسم مستقبل البشرية كله وتخط كل مقومات الحضارة الإنسانية المتطلعة دوماً نحو الأفضل..

احتفظت ثورة الفاتح بنقائها.. لأنها ثورة غير تقليدية فالثورة تميزت بعمق مفاهيمها وبقيامها على أسس جديدة تذهل من يرى مقدار تجذرها فى أعماق كل ليبى حول بالثورة رسوم أحلامه إلى الواقع.. وتذهل من يرى أنها ثورة قيم لا تهدف من وراء مناصرتها للحق وللحرية، غير ترسيخ هذه القيم.. فالذين قالوا إن ثورة الفاتح ساعدت التشاديين على إنهاء حرب أهلية استمرت أكثر من عشرين عاماً، ساعدتهم كى تحتل تشاد وتسعبد التشاديين.. وتتخذهم عبيداً لتحقيق أحلامها التوسعية.. الذين قالوا ذلك ذهلوا عندما رأوا أن هذه المساعدة كانت لغرض المساعدة ونصرة كل القيم الإنسانية النبيلة التى تهدف إلى تحرير الشعوب وتركها لتمارس حياتها وقالوا بأن مناصرتها للشعوب ستجعلها محاصرة من كل الجوانب ذهلوا أيضاً عندما رأوا أن الأمر قد انقلب إلى العكس فقد ازداد عدد المتفهمين لمواقف الجماهيرية.. والمناصرين لشرعية ما تقوم به فى كل مكان من العالم.

• إن عظمة هذه الثورة لا تكمن فقط فى إنجازاتها الداخلية العملاقة ولا تكمن فى كل التحولات الرائدة التى أحدثتها على البيئة الليبية.. ولا تكمن فى إضافاتها المتجددة لعلم الثورة. علم تغيير المجتمعات.. ولكن عظمتها تكمن فى تكامل مواقفها الداخلية والخارجية وهو الأمر الذى لم يحدث أبداً فى السابق.

• إذن فلا داعى لأن نسأل لماذا ثورة الفاتح؟ لماذا هذه الحملات ضدها؟.. ولماذا يحارب معمر القذافى؟! ولماذا يتهمون الجماهيرية بممارسة الإرهاب؟! ولماذا محاولة اغتيال القائد والتى بالتأكيد ستتلوها محاولات أخرى كثيرة إن لم تكن مادية فستكون معنوية تحاول تحطيم الالتحام الذى تجذر بين معمر القذافى والثورة وبين الليبيين؟!.

لا ينبغى أن نسأل لماذا تحدث كل هذه الأمور مع ثورة الفاتح فقط وليس مع أى ثورة أخرى؟!.. ومع الليبيين وليس غيرهم ومع معمر القذافى وليس أى قائد آخر؟! ولماذا «لا يرتاح» الشعب الليبى حتى فى أعيـاده الوطنية من جراء المناورات التى تقام قرب شواطئه وفى مياهه الإقليمية وعلى حدوده لتهديد أمنه وطمأنينته وليشعر كل ليبى بأن هذه الثورة لم تجر عليه غير المشاكل (ووجع الرأس)؟!.

● لا ينبغى أبداً أن نسأل لماذا ثورة الفاتح؟ لأن ثورة هذه مواقفها وهذه أعمالها فى الداخل والخارج تقض مضجع..

الاستعماريين..
الارهابيين الحقيقيين..
الرجعيين..
العملاء..
البرجوازيين..
ومصاصى دماء الشعوب.. (الدراكولات)
المصابة بالشبق وبانفصام الشخصية.

● إن المناورات التى تقام فى كل حين قرب شواطئنا وتحديداً فى مياهنا الاقليمية.. وحتى فى أيام احتفالاتنا بأعيادنا.. وإن كل الحملات الهمجية المنصبة على هـذه الثورة العـظيمة وكـل المؤامرات المكشـوفة والخفية التى تدبر ضدها تعطينا القناعة التامة بأننا نسير فى الطريق الصحيح ولو حدث وتوقفت كل أعمال القرصنة ضدنا فحينها فقط علينا أن نعرف أن هناك انحرافاً ما قد حدث فى مسار تحركاتنا.. غير إنى واثقة أن ذلك لن يحدث أبداً..

مقص الرقيب والحرية(*)

- 1 -

« أوراق مهربة » « قراءة فى ديوان لم يكشفه ذكاء الرقيب » « قراءة فى كتاب محظور » عند القراءة الأولى نسأل « أوراق » و « ديوان » « وكتاب » مهربة من ؟ ولمن ؟ وتكشف لنا القراءة الثانية إنها مهربة من وراء الحدود . . وبدون المرور على مقص الرقيب الرهيب . . وإنها مهربة للناس . . للجماهير . . والتى هى غالباً وخوفاً من الاشتباه والمخابرات - تقرأ فى الكتب التى يطلق الرقيب سراحها وتحمد الله على ما تيسر لها من المعرفة (المشروعة) . . حسب قوانين رقابة المطبوعات والمشاعر والعقول . .

- 2 -

السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : من هو الرقيب ؟ ولماذا ؟ . . إن الرقيب على المطبوعات شخص لا تعرفه الجماهير لانها لم تصعده فى مؤتمراتها الشعبية . . وإنما عينته جهة خارجة عن الجماهير جهة من مخلفات العهد البائد وكل ترسبات النظم الأخرى التى تحصى على الجماهير ما تقوله . . وما تقرأه وحتى ما تفكر به . . جهة لا تعرف أن « الملكة الليبية »

(*) نشر بالطالب عدد ( ) 1982 م .

« والجمهورية العربية الليبية » قد أصبحت « الجماهيرية » . . وأن الأمور قد تغيرت إلى النقيض. . وببساطة فإن التغير الجذرى قد حطم كل القوالب المتعارف عليها وصاغ بدلاً منها خرائط لتكوين جديد لم يعرف العالم له مثيلاً ولكن الغالب أن الرقيب قد كان فى غرفة عازلة للصوت فلم تصل إليه أصوات الجماهير فى مؤتمراتها الشعبية ولا قراراتها وتوصياتها فى مؤتمر الشعب العام . . قلنا بما إن « الرقيب وجماعته » لم يصلهم شىء من ذلك . . عليه استمرارهم فى عملهم كان أمراً طبيعياً جداً ولاغبار عليه . . ولكن ولأن كل شىء يبدأ من الجماهير وكل شىء ينتهى إليها . . لذا فإنه ينبغى وضع حد لهذه المهزلة . . فما معنى أن تكون هناك جهة تحدد وتقرر ما يسمح للجماهير بقراءته وتمنع غير المسموح له بالدخول . . ؟؟ . . أليس المواطن فى عصر الجماهير هو ذلك الإنسان (الحر) الذى يملك حقيقة القرار ويملك حريته . . ؟ إذا كنا نسلم بذلك ونسلم بأن المواطن وحده هو الذى من حقه أن يحدد ما يقرأ فإن معنى ذلك انتفاء مبرر وجود (رقابة المطبوعات) أما إذا تبجح أحدهم وقال إن المواطن لم يصل بعد إلى الوعى الكافى ليميز بين الضار والنافع من الكتب فإن هذه حجة سخيفة لأن المواطن الذى يقرر فى مؤتمره الشعبى شؤونه الداخلية والخارجية يملك من الوعى ما يكفى ليحدد ما يصلح للقراءة وما يضر . .

إذا كنا نسلم بأن لانيابة عن الشعب فى السلطة ولا احتكار للثروة والسلاح فإنه ينبغى أن نسلم أيضاً بأن لانيابة عن الجماهير فى التفكير ؟ إذ بأى حق يفكر الرقيب نيابة عن المواطن ليقرر بأن هذا الكتاب جيد وذلك ردىء ؟ ؟ . .

ثم ما هى الكتب والمطبوعات التى تمنع الجماهير من مطالعتها ؟ . . . من ناحية الكتب فإن بعضها يتحدث عن (الماركسية) وأخرى تمجد (الرأسمالية) وباختصار النوع الأول من الكتب المصادرة هى كتب تتحدث عن إيديولوجيات وهى تتطلب مستوى معينا من الثقافة لدى قرائها وإذا كنا نؤمن بأن فكرنا النابع من النظرية العالمية الثالثة هو الحل

النهائى لمشـاكـل الإنسان المزمنة فلن يضيرنا اذن دخول مثل تلك الكتب بل بالعكس أن دخولها يتيح المقارنة بين حلول النظرية الجذرية وبين الحلول التلفيقية المطروقة فى النظريات الأخرى .. والنوع الثانى من الكتب هى كتب الدعايات الصهيونية وبصفة عـامة الكتب المضـادة للقوميـة العربيـة وللحقوق العربية فى فلسطين .. والذى أعتقد أنه من الواجب أن نعرف كيف عدونا لنعرف كيف نرد عليه بالإضافة إلى أن إيمان المواطن العربى بحق العرب فى فلسطين الذى لن تستطيع تغييره كتب الصهاينة كلها .. وهناك أنواع أخرى من الكتب مثل تلك التى (كمايقولون) عنها تدعو إلى الإنحلال الاخلاقى ومثل الكتب المضادة للإسلام والمحرفة لتعاليمه.. إن هذه كلها بالإضافة إلى الصحف والمجلات اليمينيـة المعاديـة والتجاريـة التافهة .. يستطيع المواطن أن يحدد موقفه منها دون أن يحدد موقفه نيابة عنه ..

- 3 -

قال لى أحد زملائى إن (رقابة المطبوعات) قد عرضت عليه التعاون معهم بحيث يعد تقريراً عن كل كتاب يقرأه يضمن رأيه فى الكتاب وابتسم زميلى وقال إنه سيستغل الفرص ليكتب أراء عادية عن الكتب حتى تنزل للجماهير وتختار هى أن تقرأها أو لا تفعل .. قال لى ذلك فحدثته عن الجماهير التى ينبغى أن (تصادر) الرقيب وأن تلغى رقابة المطبوعات ..

- 4 -

يأتينى صوتك سراً وعلانية
«لنكن فى امتداد النخيل .. لنكن خرائط التكوين والانتماء
لنكن نحن كل التواريخ الجديدة»
يأتينى صوتك همساً جهراً ..
يتشبع حتى العمق

برائحة الأرض حين تقذف براكينها
.. وبرائحة الغيوم حين تحمل حمماً .. وتأتى مواعيدها ..
يأتينى صوتك سراً وعلانية .. همساً جهراً
نحن المصادرة أحلامهم
فانتظروا مواعيدنا .. ولن نتأخر ..

سخافات بلا حدود (*)

قد يبدو للبعض أن صمت « إسرائيل » هذه المدة غريباً . والحقيقة أن هذا التكتيك الذى يستخدمه الصهاينة هو أمر طبيعى بل وغاية فى المنطقية من حيث أن أمريكا وفرنسا وبريطانيا تقوم بالنيابة عنها ولصالحها بتصفية الحركة الوطنية التقدمية فى لبنان ، والانتصار لمسيحيى لبنان « الموارنة » الذين يتمثلون فى حزب الكتائب بقيادة آل الجميل ، وفى حزب الأحرار بقيادة كميل شمعون ، وفى مجموعة المنشق الانعزالى سعد حداد .

وحجة قادة الحملة الصليبية العاشرة إنهم يحمون مسيحيى لبنان من الخطر الذى يتهددهم من المسلمين الذين يتكتلون فى الجبل والذين تقودهم جبهة الخلاص الوطنى بقيادة وليد جبنلاط . ولأن هذا العصر هو عصر السخافات الكبرى فإن الحجة المذكورة أعلاه تبدو مقبولة بل ومعقولة جداً وسط قائمة السخافات التى قامت عليها إنتصاراتهم وهزائمنا المتكررة .

«فإسرائيل» غزت لبنان فى 82 م ودمرت أغلب مدنه وحاصرت بيروت حتى الاختناق ، كل ذلك رأفة بشعب لبنان ورغبة من الصهانية الكرماء لتخليصه من حرب طائفية دامت عدة سنوات . وكذلك رغبة منهم فى تخليصه من الغزاة « الفلسطينيين » والاستعمار « السورى » على حد تعبير قادتهم وتابعهم سعد حداد رئيس دولة جنوب لبنان الحر جداً .

(*) نشر بجريدة الجماهيرية عدد ( ) 16- 9- 1983

«وإسرائيل» أيضاً كانت كريمة جداً بتوقيعها اتفاقية كامب ديفيد للسلام المؤقت مع مصر بالنظر إلى رغبتها الصادقة فى إعادة الحياة الطبيعية لمصر ولشعبها الذى انهكته الحروب (وإذا كنتم سيئى الظن فانظروا إلى نتائج السلام المهلك فى مصر) .

وها هى « إسرائيل » تفتح المجال لأمريكا ولفرنسا الاشتراكية المظهر والأمبريالية الجوهر ، ولبريطانيا التى تحلم باستعادة جزء من أمجادها حتى ولو كان ذلك اسمياً فقط - تفسح لهم إسرائيل المجال بحجة هى بحق أكذوبة العصر - إذ منذ متى كان المسلمون يهددون عسكرياً حياة المسيحيين ؟ فواقعيا يعيش المسلمون فى لبنان منذ مدة طويلة حالة هى غاية فى السوء ، وهم غير قادرين حتى على تقوية أنفسهم فكيف بتهديد الآخرين .

ومع ذلك فإن الجميع يعلم أن هذا هوالثوب الذى خلع أخيراً على شكل الحرب فى لبنان وأقصد بذلك تركيز الاهتمام العالمى على الحرب فى لبنان وتصوير الصراع على أنه صراع مسيحى / إسلامى رغم أنه قبل عام واحد كان العالم كله يعلم وامريكا وفرنسا وبريطانيا أولاً أن الصراع هو أساساً عربى / « إسرائيلى » وإن الوجود المهدد بالفناء فى لبنان هو الوجود العربى بغض النظر عن التقسيم الدينى وأن الذين قاوموا هذا الخطر المحدق هم المسلمون والمسيحيون معاً وإذا كانت الأحداث قد أظهرت أن مليشيات حزب الكتائب (وهى وفق التقسيم الدينى مسيحية) هى التى كانت تساعد الصهانية على تثبيت مواقعهم فى لبنان ، وهى التى وقعت اتفاقية الذل معهم كاعتراف رسمى بالاحتلال وترخيص بالتوغل والتغلغل .

وإذا كانت الأحداث قد أظهرت رغبة المنشق « سعد حداد » (وهو أيضاً مسيحى) لإقامة دويلة مسيحية في جنوب لبنان تعترف «بإسرائيل» وتتعامل معها على كل المستويات وإذا كانت الأحداث قد أظهرت مجموع الانشقاقات الحادة فى صفوف القوى الوطنية فى لبنان وتذبذب مواقفها

وتشتتها على أكثر من جبهة، وحتى تمزق المسلمين بين أكثر من مذهب. بالإضافة إلى عقدة الزعامة والرغبة فى السلطة التى تستبد بجميع الأطراف من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين.

إذا كانت الأحداث قد أظهرت كل هذه الأمور، فإنه كان طبيعياً أن تندفع « إسرائيل » لأعمال تكتيكية تمثلت فى : - استغلال هذا الوضع المأزوم بضرب الأطراف اللبنانية بعضها ببعض مع دفع أمريكا وتورطها عسكرياً لمساعدة الطرف العميل « الكتائب » . وكذلك دفع فرنسا وتوريطها أيضاً عسكرياً باعتبارها كانت وصياً سابقاً على لبنان . ورغبة من الحكومة الاشتراكية فى تحسين صورتها أمام الرأى العام الفرنسى وكذلك أمام أصدقائها وعملائها فى العالم حتى لا تبدو فى موقف الدولة الكبرى غير القادرة على المساعدة والحماية وكذلك توريط بريطانيا التى بدأت منذ أكثر من يومين فى التحليق بطائراتها فوق أحياء المسلمين فى بيروت.. وكذلك طلبها من رعاياها بمغادرة لبنان فى أسرع وقت ممكن.

هذه السلسلة المتلاحقة من التورط العسكرى والسياسى لم يجد له حجة أفضل من ادعاء تهدد أمن وحياة المسيحيين فى لبنان . وبالتالى حمل الرأى العام العالمى فى الدول المسيحية على التعاطف مع هذه الحملة ثم اضفاء الشرعية عليها لاحقاً . وإذا جاز التعبير أن التاريخ يكرر نفسه فى أشكال مختلفة فإنه يمكن القول أن هذه الحملة الصليبية ومبرراتها هى اجترار لما حدث فى الحملات الصليبية السابقة . ودعونى أذكركم بما يقوله التاريخ الذى يذكر أن الحملات الصليبية على المسلمين التى بدأت فعلياً عام 1095 م قد أثارها البابا ومجلس الكنيسة بدعوى تعرض الحجاج الميسحيين فى القدس لمعاملة الأتراك السيئة مما استوجب إعلان الحرب المقدسة التى حرض البابا الأوربيين على خوضها لاسترجاع بيت المقدس من يد من أسماهم بالكفار . واندفع الأوربيون فى حماس إلى الشرق بعد أن أقنعهم البابا أن ذهابهم يمحو خطاياهم ويكتب لهم الغفران . غير أن

السبب الحقيقى لتلك الحملات لم يكن ما أعلنه البابا كستار يغطى به أهدافهم الرئيسية والتى كان من بينها إخضاع الكنيسة الأرثوذكسية فى القسطنطينية .

أما الهدف الرئيسى فقد كان كساد تجارة أصحاب المصالح والتجارة فى البندقية وجنوا بسبب إغلاق الأتراك السلاجقة لكثير من طرقهم التجارية المؤدية إلى الشرق . ومهما تكن الأسباب للحملات الصليبية التى اتخذت الدين كستار لحجب أهدافها الحقيقة فإنه من المؤكد « إن الحملات الصليبية قد كانت المظهر العسكرى لرغبة أوروبا الشديدة فى الوصول إلى الشرق » ، كما عبر أحد المؤرخين الإنكليز .

هذا ما يقوله لنا تاريخ تلك الحملات . إما تاريخ هذه الحملة الجديدة فيؤكد أن الدول الإمبريالية الاستعمارية قد تكتلت لتحمى مصالحها فى المنطقة ولم تجد إلا الدين كثوب يصلح إرتداؤه فى أى وقت ومكان خاصة وأن ظروف لبنان مؤهلة جداً لاستعمال هذه الحجة . « وإسرائيل » عندما دفعت هذه الدول للتورط عسكرياً وسياسياً فى مساعدة مسيحيى لبنان كانت تعى جيداً أن هذه الدول لن ترفض ، لأن انتصار « إسرائيل » يعنى ببساطة انتصار المصالح الإمبريالية فى المنطقة « وإسرائيل » تعرف أكثر من غيرها أن فترة الصمت والاعتكاف هذه تساعدها فى التهيؤ عسكرياً لضرب لبنان مجدداً ، وهذه المرة ستكون ضربة قاصمة لأنها لن ترحم فيها أحداً .

فبعد انتصار الكتائب الذى تعتبره «إسرائيل» مؤكداً لمساعدة أميركا وفرنسا وبريطانيا فإن لبنان سيكون مهيئاً لضربة « إسرائيلية » تجعل منه فلسطين أخرى . وهى تعى جيداً إنها غير مستعدة ابداً لسماع صوت أى مسيحى يردد إتهامه لليهود بصلب السيد المسيح وبانتهاك المقدسات المسيحية .

إسرائيل » تعى جيداً أن عليها أن تكون هى وحدها فى الساحة وذلك يعنى أن تصفية جميع الأطراف سواء كانت إسلامية (وهو ما يحدث الآن) أو مسيحية (وهو ما سوف يحدث) هو أمر طبيعى إذا كانت تريد الضمان الأكيد لانتصارها التاريخى الذى يمهد لأعمال أخرى فى سوريا والأردن وبقية أقطار الوطن العربى .

ومن المؤسف جداً التصريح بهذه الحقائق . ولكن لأنها حقائق فإنها غير قابلة للتغطية . غير أننا والأمر هنا أكثر إحراجاً لا نرى فى ذلك حرجاً .

يعيش الجيش (*)

عندما تفجرت ثورة الفاتح فى سنة 1969 خرجت الجماهير فى الشوارع تهتف « يعيش الجيش » ولم تكن يومها قادرة على التفريق بشكل موضوعى بين المؤسسة العسكرية القمعية ذات التركيبة الخاصة والتى تحتكر إمكانات القوة وبين الثوريين الذين وعوا بامكانات هذه المؤسسة واستخدموها بذكاء لتفجير الثورة وبسبب من عدم قدرة الجماهير على التفريق وبسبب من وجود الجيش فى السلطة فى الفترة ما قبل إعلان سلطة الشعب وبسبب من كون القيادة التاريخية للثورة هى من العسكريين . . لذا فإن هذه المؤسسة قد كونت لنفسها (إضافة إلى إمكاناتها أصلاً) حصانة قوية يصعب إن لم نقل يستحيل تجاوزها أو التعدى عليها حيث إن أى إهانة تلحق بهذه المؤسسة ممثلة فى أعضائها خاصة« الكبار » تفسر على أنها ضد من قاموا بالفعل الثورى نفسه رغم أن الحقيقة تقول إن المدخل العسكرى للثورة ليس مبرراً لممارسة الفساد من رشوة ووساطة ومحسوبية وممارسة علنية للدعارة وباختصار شديد مجمل السلوكيات أللا أخلاقية التى تكفر الجماهير بكل القيم والمبادىء التى تطرحها الثورة وبالرغم من أن هذه الروائح العفنة التى تفوح من هذه المؤسسة هى التى تدفعنا إلى التعجيل بشكل جدى وحاسم للإسراع بحلها وإنهاء وجودها غير أننا ينبغى أن لا ننسى فى كل لحظة أنه

(*) نشر بجريدة الجماهيرية عدد (   )25 - 3 - 1983 .

حتى لو لم يكن هناك فساد وخيانة ورجعية داخل المؤسسة العسكرية إلا أن وجودها أصلاً لايتناغم مع طبيعة المجتمع الجماهيري الذي ينتهي فيه الاحتكار . . احتكار طبقة أو فئة ما للسلطة أو للثروة أو للسلاح . . . والجيش وفق هذا الطرح نغمة نشاز وسط مجموع النغمات المتوافقة والتي تشكل لحناً مميزاً لاتباين فيه . . وهذه المؤسسة التي تحتكر السلاح تشكل خطراً على سلطة الشعب وتهدد في كل لحظة بانتكاسة الثورة لأن كل المحاولات المضادة لسلطة الشعب كان للجيش يد فيها والوعي بإمكانات العسكرية وشعور من يحتكر السلاح بالتمييز عن الآخرين عن طريق هذا الإحتكار دفع ويدفع دائماً بالرجعية المضادة والفاشية لمحاولة السيطرة على الجماهير وإخضاعها بقوة السلاح الذي تسخره لخدمتها وتستغله في تحقيق أكبر قدر من الامتيازات خاصة لذي الرتب العالية .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإننا لا ننسى أبداً التركيبة الهرمية للمؤسسة العسكرية التي تقمع فيها حرية الإنسان ويعاد تشكيلة من جديد وفق قوالب محددة جامدة تخلق انضباطية آلية وتقتل روح الإبداع والتألق وحتى الشعور بالإنسانية وتغتال فيها إرادة الإنسان في الاختيار فالعسكري مجبر على تنفيذ أي شيء وفي أي وقت ممن هم أعلى منه رتبة دون أن يتدخل مبدأ الاختيار الذي يحترم في الإنسان حريته ووجوده كبشر وهذا الانصياع الأعمى للأوامر الفوقية دون وعي يجعل من مسألة تسيير العسكر في محاولة مضادة أمراً محتمل الوقوع في أية لحظة وعلى ذلك فإن طرح التعجيل بحل هذه المؤسسة ليس مسألة معروضة للنقاش والحوار وليس محل اختيار والجماهير فيها ليست مخيرة بين أن تقول نعم أو لا فهذه المؤسسة خطر يتهدد حياة وأمن الجماهير وهذه المؤسسة المنغلقة على ذاتها من حيث تركيبتها النشاز هي منفتحة من جانب آخر على هذا المجتمع باعتبار أن العسكريين واقعياً هم غير منفصلين عن المجتمع فهم لم يأتوا من المريخ ولم ينزلوا من السماء ولكوننا بإعلان سلطة الشعب وبتطبيق الفصلين الأول والثاني من الكتاب الأخضر على أرض الواقع قد استطعنا تجريد كل القوى

المستغلة والمسيطرة من أدواتها المادية على المستويين السياسى والاقتصادى إلا أنه ما زالت هناك « طبقة » العسكريين الذين يحتكرون السلاح نيابة عن الجماهير والذين يزدادون كل يوم تمادياً فى ممارسة أخطائهم ظناً منهم بأن الجيش هو الحكومة ما دام هو الذى استطاع به معمر القذافى تفجير الثورة وما دام كل شىء لا يتحقق بسهولة إلا بواسطة ضباط الجيش بدءاً من ملابس وأثاث وأغذية الحانوت العسكرى ومروراً بالتهريبات المحترمة من خارج إلى داخل الجماهيرية وانتهاء بكل الممارسات الفاشية الفوقية التى يمارسها العسكر على الجماهير وما دامت اللجان الثورية التى يجمعها تنظيم مخترق مهلهل هى التى تقف سنداً لضابط الجيش وكلنا يعرف أن العسكريين ليسوا وحدهم فى الميدان ، والجميع يتساءل بمرارة من الذى يشكل طوق أمان للعسكر غير هذا التنظيم المهزوز الذى لم يجىء حزباً سلطوياً يعلن أهدافه مباشرة للوصول إلى السلطة ولم يجىء تنظيماً جماهيرياً قوياً مبنياً بشكل علمى ليقود الجماهير لممارسة السلطة وانما وقف فى منتصف المسافة تؤرجحه الأزمة ذات اليمين وذات الشمال وتتجه به كل الاتجاهات ونتساءل مرة أخرى من الذى يساعد العسكريين فى تهريب الخمر والحشيش واستحضار الجوارى ؟

ومن الذى يهىء لهم الجو المناسب للتمتع بما أحل الله وما حرم ؟

أقول لكم أنه عندما تمارس اللجان الثورية أخطاءها القاتلة بمساعدة المؤسسة العسكرية فإن هذه المؤسسة أيضاً تمرر مؤامرتها عبر أعضاء التنظيم الثورى والمسألة ليست منفصلة عن بعضها والحقيقة التى ينبغى أن تقال هى أننا غير جادين فى تنفيذ أى برنامج وحتى هذا المقال (الجيش حشيش وطيش) الذى خافت منه المرئية بوق الدولة الصارخ فلم تذعه كعادتها عند استعراض افتتاحية العدد واستبدلته بمقال آخر أقل حدة «واستكردته» لأن كل كلمة من كلماته دعوة جادة لممارسة الثورة ـ هذا الذى تزاحمت الجماهير أمام أكشاك المطبوعات لشرائه حتى نفدت أعداده كلها .

هذا الذى ضرب باوسمة ونياشين ونجوم العسكر عرض الحائط ـ هذا الذى نفست به الجماهير عن سخطها على مؤسسة الفساد والدمار . . هذا المقال لا نريد أن يكون نوعاً من أنواع التنفيس عن الجماهير لاننا نرفض التدجيل عليها ونرفض أن تتنفس الجماهير الصعداء بعد قراءة المقال لتتوهم أن كل شيء قد تغير . . . نرفض تماماً أن يكون هذا المقال كلام جرائد . . مجرد حبر على ورق ولا نريد أن تتكرر الأزمة مرتين . . فنحن تحدثنا عبر الصحف الثورية أكثر من مرة حتى مللنا التنظير عن أزمة التنظيم الثورى وعن الممارسات الخاطئة لأعضائه وعن الفرز بداخله ومع ذلك لم يتحقق شيء فلا اللجان الثورية أعيد تنظيمها . . . ولا الممارسات الخاطئة توقفت وبقينا نحن ننظر وكل منا يدين نفسه . . . ولهذا فإننا لا نريد أن تتكرر الأزمة مرة أخرى عند الحديث عن المؤسسة العسكرية إذ لا يمكن أن نتحدث عن الفساد فيها وعن ضرورة حلها وتفتيتها ونحن أعجز من أن نستطيع إعادة بناء تنظيمنا الثورى وتصحيح مسار العمل الثورى على كل المستويات متكلين فى كل الأمور على تعليمات القائد ومبادراته منتظرين دائماً من يحركنا فى برنامج عمل منظم . . ولا يمكننا أيضاً أن نسب المؤسسة العسكرية ونحن نلجأ للجنود فى كل برنامج نفشل فى تطبيقه بدءاً من إدارة بعض الشركات ومرورا بالحملات التطوعية « كالعمل فى الموانيء وحملات التشجير واستصلاح الأراضى وتنظيف المدن» اعتماداً على تحريك الجنود بالأمر العسكرى لأداء هذه الأعمال التى عجزنا عن رفع مستوى وعى الجماهير لتؤديها بنفسها (ولست أدرى كيف يستطيع من يحمل نفس ثقافة الشارع أن يتحرك ليقنع الجماهير بأى قضية من القضايا)؟

وظهر هذا العجز بشكل واضح بعد خروج اللجان الثورية من الملتقى الخامس ببرنامج العمل الثورى وكذلك قبل وبعد انعقاد الدورة الثالثة للمؤتمرات الشعبية للعام 82م . . وعلى ذلك فإننى أعود لأقول لكم أن حديثنا هذا سيبقى أسير المترادفات اللغوية . . مجرد مقالات من قبيل التنظير الكلامى لاتسمن ولا تغنى من جوع . . وننفس عن الجماهير ولا

نقودها عبر التحريض المستمر لتنفيذ برامج عمل حقيقية وليست برامج خطابية فى المؤتمرات الشعبية . . .

أقول لكم للمرة الثالثة والعاشرة أيضاً أنه مالم نقر الفرز داخل اللجان الثورية ليعرف الثورى من الانتهازى المصلحى ومالم نبدأ بعد ذلك بشكل جادفعلاً فى تحريض الجماهير ودفعها لتطبيق مقولة الشعب المسلح واقعياً ودفعها أيضاً لمواقع الإنتاج لتنفيذ برنامج العمل الثورى الذى أقرته هذه الجماهير ذاتها فى المؤتمرات الشعبية حتى لاتحتاج لمن ينفذ هذه البرامج بدلاً عنها . . . مالم نفعل ذلك فإن المؤسسة العسكرية بفسادها وفسقها وفجورها وقمعها وخمرها وحشيشها ستبقى رغم انوفكم بنياشين ضباطها وأوسمتهم ونجومهم النحاسية اللامعة لتقول لكم فى كل لحظة وهى تخرج لكم لسانها القذر نكاية بكم : أيها الجبناء . . . مزيداً من التنظير .

لسنا ضد الفرح (*)

ملعونة هذه الذاكرة الضعيفة . . المثقوبة ألف ثقب كغربال قديم . . ملعونة ذاكرتنا الجبانة التى تقرر وتنسى ما تقرره . . تمتلىء للحظات أو لساعات بكل أشكال المترادفات اللغوية لمعان بدأتها ثم تسقط هذه الألفاظ من ثقوب الذاكرة وتبقى وحدها الثقوب تمتلىء هواء من جهة ليخرج صفيراً مزعجاً من جهة أخرى . . ضعيفة هذه الذاكرة أقول لكم وألعنها أمامكم لأنها تستحق الرجم فهذه العاجزة تقرر المواجهة وتخون قرارها علنا . . تعلن تحدى الجوع وتقف أضعف من ضعيفة أمام نقص أقل مادة استهلاكية . . تعلن استغناءها عن الكماليات وتتهافت على مناديل الورق « الكلينكس » كما يتهافت الأفارقة على الخبز . . وبين ثقافة المجتمع القائم وثقافة المجتمع البديل « مجتمع الجماهيرية » بون شاسع والهوة بينهما نستشعرها بعمق وبشكل حاد من خلال المعاناة اليومية فى الجامعة . . أقول لكم أن الجامعة مجتمع صغير يضم كل التناقضات الموجودة فى المجتمع الأكبر الذى يضم كل الليبيين والليبيات . . والحياة اليومية فى الجامعة تبين بوضوح الصراع القائم بين القيم الجديدة وبين قيم المجتمع القديم . . بين أصحاب القيم الجديدة وهم قلة قليلة . . وبين أصحاب القديم المتخلف وهم كثرة . . وعقلية « أقصد نمط التفكير » المجموعة الأخيرة

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية 1- 4- 1983 .

وهي العقلية السائدة فى الجامعة إنتهازية ومتخاذلة إلى أبعد حد . . منحازة أصلاً إلى نقيض العمل الجاد وأعنى بذلك إنحيازها لمبدأ التسفيه والترويح السطحى وها هو أسلوب التفكير العقيم هذا يتجسد خلال الأسابيع الماضية فى عدد الرحلات التى يسمونها تجاوزاً رحلات ربيعية التى قامت بها أغلب كليات الجامعة . .على سبيل المثال كلية الآداب والتربية تحوى أكبر نسبة عددية من الطلاب مطروح أمامها جملة من القضايا الهامة نجد أنها تتجاوزها لتستعيض عنها برحلات ترفيهية لمجرد الترفيه تقيم يوماً رحلة لجميع طلاب الكلية ثم يقيم كل قسم داخل الكلية رحلة لأعضاء هيئة تدريسه وطلبته وبالطبع فإن اللجنة الشعبية للكلية هى التى تتحمل مصاريف هذه الرحلات الممتعة أى فى النهاية أن الخاسر الأول هو خزانة هذا المجتمع الكريم الذى يغدق على ابنائه من منطلق « تقشفى » يعتبر « الباسطى » « الكلينكس » « والايس كريم » من أهم الضرورات التى يتضاءل معها شعار المرحلة « قررنا الحياة بالخبز والماء » ولا تقف أقسام الكلية عند هذا الحد من الكرم الحاتمى إذا أنها بكل تأكيد برهافة إحساس طلابها . . وضيق خواطرهم من المناهج الصعبة والعمل « المرهق جداً » داخل الكلية ولذا تعد لهم زيارات تدخل أيضاً فى إطار الترفيه الذى لا مبرر له إلى حديقة حيوان بنغازى أو كما يسمونه منتزه بنغازى رغم أن الكثيرين تساءلوا عن علاقة قسم كقسم اللغة العربية بمنتزه بنغازى . . ! ربما يدخل ذلك فى إطار التبادل الثقافى بين القسم وسكان الحديقة وعلى أية حال فإن وضعها كهذا يجعل المرء يهز رأسه أسفاً وسط مظاهر السلبية والاتكالية . . فكل الكليات تضم نسباً عددية متفاوتة من الطلاب ولكن هذه النسب ليست صغيرة ومنها ما وصل عدد طلابها إلى أكثر من ثلاثة آلاف طالب ورغم ذلك فإن فكرة حضارية كفكرة الإدارة الذاتية لم تجد من ينفذها بالشكل المطلوب . . ولا ننخدع بالمظاهر فالكليات اليتيمة التى أعلنت الإدارة الذاتية تعانى مشكلات كثيرة نتيجة وقوع عبء التغيير والإشراف على عاتق مجموعة صغيرة بالنظر إلى سلبية الطلاب القاتلة وتركيبتهم الاجتماعية التى تعودت على الأخذ دون العطاء والطلب دون البذل وحتى تقنين هذه الفكرة ووضع ضوابط لها قد لا

يلزم أحداً بتنفيذها رغم إلحاح مسألة التقنين تجربة الإدارة الذاتية ـ أما عن الكليات التى لم تعلن فيها الإدارة فإن الصراع مستمر بين القوة الثورية التى تريدها إدارة ذاتية بالفعل وبين الذين يميعون الفكرة ويحاولون تفريغها من مضمونها بجعل المسألة تتوقف عند حد تقليص الموظفين « الذين يتركون الكليات ويتراكمون فى الإدارة العامة بالجامعة » .

ورغم أن القائد يكرر باستمرار أن التقليص يختلف عن الإدارة الذاتية وأن التقليص قد يكون فعلاً بداية العمل على تطبيق الإدارة الذاتية . . إلا أننا ينبغى أن نرفض مسألة تبييض الوجوه أمام السلطة . .

« السذج الذين يعتبرون أن معمر هو السلطة » والصحيح الذى يفرض نفسه أن المؤسسة التعليمية التى لا تستطيع تطبيق هذه الفكرة ينبغى أن لا تعلنها من قبيل التلفيق والترقيع ـ الأمر الذى يترتب عليه التشويه الكامل لهذه الفكرة الحضارية التى هى مرحلة من مراحل تطوير المجتمع للوصول إلى مجتمع التسيير الشعبى . . ولننتظر 7 إبريل القادم الذى ينبغى فيه كما أوضح القائد إعلان الإدارة الذاتية فى كل المؤسسات التعليمية . . غير إنه وسط عجز اللجان الثورية على الأقل على مستوى الجامعة عن شرح هذه الفكرة لكل الطلاب وإقناعهم بجدوى تطبيقها وتخليصها من الربط السخيف الذى يرسخ فى أذهان الطلاب . .

بين الإدارة الذاتية وبين تحول الطلاب إلى موظفين كبديل للموظفين السابقين . . وتوضيح إنها على النقيض من ذلك تماماً فإنها تعنى الانعتاق من كل القيود البيروقراطية والاجراءات الإدارية الروتينية وأنها تعنى انتصاراً لحرية الإنسان الذى يرفض وجود الوسيط بينه وبين تسيير كل أموره بنفسه . . قلت وسط عجز اللجان الثورية عن أداء دورها فعلاً أن تقع بعض الكليات وكثير من المؤسسات التعليمية الأخرى فى منزلق المحاولات التلفيقية واللملمة بين تلقيص الموظفين وسلبية الطلاب وارستقراطية أعضاء هيئة التدريس ذوى الياقات المنشأة والحقائب « السمسونايت » . .

والمنتظر فى 7 أبريل القادم أن تعلن كثير من الكليات أنها قد ثورت مناهجها وأقسم لكم منذ الآن أن ما يحدث فى التثوير لأمر مثير للسخرية فعلاً فهو لا يتعدى حذف بعض المواد أو تغيير بعض العناوين وأعترف أن افتقادنا إلى المضمون الثورى لكل المناهج التى ندرسها عامل من عوامل السلب أمام التثوير . . فنحن لم نضع بعد مؤلفات ذات مضمون جديد على سبيل المثال لطلبة قسم الاجتماع وليست هناك مؤلفات عن الإعلام الجماهيرى النابع من النظرية العالمية الثالثة حتى يمكن دراستها فى قسم الإعلام ويبقى الأمر فى النهاية محاولات فى أغلبها على المستوى الفردى لطرح المواد التى يمكن أن تؤدى مستقبلاً إلى تكوين الخلفية التى تستطيع أن تؤلف لنا وفقاً لمنهج النظرية الذى تقدمه ويمكن أيضاً أن يكون لنا فى ما تقدمه شعبة المنهج بمكتب الاتصال باللجان الثورية ما يفيدنا مستقبلاً فى عملية تغيير وتثوير مضمون المناهج . .

ولننتظر 7 أبريل القادم . . ففيه ستقوم المؤتمرات الشعبية للكليات والتى تضم فى عضويتها الأساتذة والطلاب معاً مما يترتب عليه أن تكون هناك لجنة شعبية واحدة أمام المؤتمر الشعبى التعليمى لكل كلية مكوناً من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس تتولى تنفيذ قرارات المؤتمر الشعبى التعليمى وهى فى هذه الحالة ملزمة بتنفيذ قرارات المؤتمر وليس كما هو الحال الآن حيث أن قرارات المؤتمر الطلابى ليست ملزمة للجنة الشعبية للكلية بتطبيقها رغم أنها اصلاً مصعدة من قبل الطلاب على مستوى الأقسام ولكن لنسأل فعلاً عما إذا كانت المثابات فى الجامعة قد درست هذا الطرح دراسة وافية . . وعما إذا كانت استوعبته حتى تقوم بتوضيحه للطلاب . .

ولننتظر 7 أبريل القادم . . الذى ينبغى تخليصه من ارتباطه بالإرهاب . . وأعتباره حدثاً حضارياً تعلن فيه كل عام أفكار حضارية تعود إلى تحقيق المجتمع الجماهيرى . . أقول لكم فى كل مرة . . لسنا ضد الفرح . . الثورة لم تكن ضد الفرح . . لكننا فعلاً ضد قيم المجتمع القديم

وامراضه التى تنخر عظام الثورة كالسوس . . أقول لكم دائماً . . لسنا ضد الفرح ولكننا نبحث عنه حين يكون دافعاً للمزيد من الثورة ولننتظر 7 أبريل القادم .

معمر ليس رئيساً(*)

تذكر لنا كتب التاريخ إنه أثناء الحرب الأهلية فى أمريكا وعندما تم تحرير عدد كبير من العبيد وقال لهم أسيادهم البيض «اذهبوا فأنتم الطلقاء» إن عدداً من هؤلاء العبيد عادوا بعد فترة قصيرة إلى أسيادهم قائلين «دعونا عبيداً كما كنا.. لا نريد الحرية!! ذلك أن هؤلاء قد أدركوا أن تحمل مسؤولية الحرية هو أصعب من أن يستطيعوا احتمال تبعاتها، وأن استلذاذ العبودية قد يدفع بالمرء إلى أن يقف أحياناً ضد حريته.

أردت أن أسوق المثال السابق لأقول أن نسف ركام الإرث الثقافى لمجتمع ما لا يتم بين يوم وليلة حتى لو تم تدمير الأسس والهياكل السياسية والاقتصادية التى كان يقوم عليها هذا المجتمع إذ يبدو أن الأمور عندما تتعلق بتغيير أساسيات الثقافة الاجتماعية فإنها تخضع لقانون اجتماعى إذ تصبح المسألة متعلقة بتركيبة معينة لذهنية وتفكير الفرد داخل المجتمع ولا تتعلق ببناء مصنع أو مؤسسة اقتصادية يمكن تغييرها بقرار...

على أن رفض المرأة لحريتها ووقوفها كسند لثقافة الرجل ضد ذاتها المستلبة الغارقة فى استلذاذ العبودية لا يعنى أن هذا الوضع غير قابل للزوال ولا يعنى الاعتقاد الدائم بأن هذا الأمر معلل تاريخياً حيث أن خضوع المرأة للرجل قديم قدم الزمان ولا أمل فى تغييره..

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد ( ) 27- 1- 1984 م .

في نفس الوقت الذى ينبغى التأكيد فيه على أن مسألة حرية هذا الطرف المغيب لا تخضع لنمط اقتصادى معين كان سائداً وأفرز تبعاً لذلك ثقافته الخاصة ثم حين انتهى أو زال زالت حريتها ومن ثم ربط تحررها بالعودة إلى ذلك الشكل البدائى من النظم الاقتصادية إذ ثمة كثيرين ممن سفهوا هذا الربط غير العلمى وأكدوا على أنه حتى فى تلك الحقبة كانت المرأة معرضة لأشكال كثيرة من العسف والاستغلال ومن أولئك الكاتبة (جرمين غرير) فى كتابها (المرأة المدجنة) .

كذلك فإن تعبيراً مثل (نحن لا نولد بنات أو صبيانا إنما يجعلوا منا هكذا ، الذى تقوله (أرزولا شوى) فى كتابها (أصل الفروق بين الجنسين ليس صحيحاً على الإطلاق ، فالمسألة لا تتعلق بمغالطة الطبيعة أصلاً فالطبيعة أوجدت فورقاً لا يمكن تجاوزها بين الرجل والمرأة وهى الفروق التى حتمت وجود الرجل ووجود المرأة . وإذا لم يكن لهذه الفروق من مبرر لما كان هناك داع أصلاً لوجود رجل وامرأة . ومعالجة قهر المرأة لا يكون بنفى الفروق وإنما بنفى تفوق أى من الطرفين على الآخر ، فالطبيعة أوجدت فروقاً لتهيىء فرصة لتكامل الطرفين وليس لتفوق الرجل على المرأة أو العكس ، وتحرر المرأة لن يكون بإعادة تشكيل مجتمع بطريركى لكى تسود فيه المرأة سياسياً واقتصادياً ولا بتكريس المجتمع البطريركى الذى يتفوق فيه الرجل ويتقلص فيه دور المرأة إلى أقصى حد .

بل إن المجتمع الحر هو الذى تتاح فيه الفرص المتساوية ليقوم كل طرف بدوره الذى يختاره بملء إرادته وبشكل لا ممارسة للعسف فيه . على أن هذا المجتمع الحر سيكون مجرد طرح نظرى ما دمنا خاضعين لمعطيات الواقع وثقافته السائدة .

إن انتهاء عبودية المرأة لن يكون بقرار كما يتصور الأخ الكاتب ، فالاقتناع لن يكون مصدره خارجياً أبداً وإلا من حيث طرحه كفكرة والتحريض على قبول هذه الفكرة شرط ألا تأخذ شكل الإلزام المفروض فرضاً .

وخير دليل على ذلك أن المجتمع الليبى المتخلف الرجعى والجبان أيضاً واجه قرارا ثورياً كقرار توجيه الطالبات للكلية العسكرية بإخفاء البنات فى البيوت (لم يخرجن حتى لمزاولة الأعمال الخارجية) وحتى خريجات الجامعة/ نصف الأميات/ اكتفين بموقف جد بليد وسلبى من حيث قبولهن بالخضوع لما هو سائد اجتماعياً ورضوخهن لشروط المجتمع النمطية التى قولبت المرأة وفق النموذج الأنثوى . . ومجتمع مثل هذا يقابل أفراده قراراً ثورياً كقرار التوجيه / الذى تتطلبه الظروف الراهنة بشدة بهذا الشكل الجبان أى الاحتجاج السلبى بالصمت وعدم الاستجابة ، هذا المجتمع لن يتغير موقفه من المسألة أساساً بقرار فوقى يصدره معمر القذافى بوصفه قائداً أعلى للقوات المسلحة. . . هذه نقطة أولى .

والنقطة الثانية وهى الأهم فتتضمن رداً على قول الكاتب حرفياً (يجب أن تقوم الثورة بتحرير المرأة دون الرجوع إلى المؤتمرات الشعبية) وهو طرح خطير لا ينبغى تجاوزه بسهولة إذ أنه يتضمن محاولة هروبية هى فى العادة موقف المثقفين الكسالى حيث يعجزون عن مواجهة الأمور فيلقونها على عاتق الآخرين تهرباً من مسؤولية خوض النضال من أجلها . هذا شىء والشىء الأخر يتعلق بتحديد ماهية (الثورة) هنا فهى وفق طرح الكاتب جهة خارجية فوقية لها سلطة الإلزام بامتلاكها لسلطة القرار وفى هذا تجاوز واضح لسلطة الشعب . وهى أى (الثورة) بمحاولة عميقة لفهم ما يريده الكاتب تعنى باختصار وبالتحديد القائد معمر القذافى وهو وفق ما نعرف ليس رئيساً يمتلك السلطة التقريرية أو سلطة إلزام الجهات التنفيذية ، إنما هو قائد ثورة مهمته تحريضية ترشيدية ، وإذا جاز له كقائد أعلى للقوات المسلحة إصدار قرار التوجيه فلن يكون له تفجير صراع بين قيم الجديد والثقافة الرجعية السائدة بقرار . إما إذا تناولنا القضية من زاوية تحريضه للحركة الثورية (حركة اللجان الثورية) لمزاولة مهمامها فى هذا الإتجاه فإننى أقول وبشكل موضوعى تماماً أن الحركة بواقعها الحالى وبأعضائها المتخلفين اجتماعياً بكل المقاييس والرجعيين فى تعاملهم مع المرأة والحاملين لثقافة المجتمع

فى هذا الجانب لن يستطيعوا أبداً القيام بأى شىء لصالح الانتصار لحرية الإنسان المقهور (المرأة) فعضو لجنة ثورية يستنكف دخول أخته أو زوجته للكلية أو حضورها لجلسات المؤتمرات الشعبية أو انضمامها للحركة الثورية ، وعضو لجنة ثورية يحمل فى داخله تحقيراً دائماً وتصغيراً لقدراتها وانحيازاً لثقافة الذكور التى تصب قالباً جامداً للمرأة يعتبر الخروج عنه شذوذاً ، ويحمل فى ذهنه شعوراً دائماً بتفوقه كذكر مقابل دونية المرأة . . عضو اللجنة الثورية المحترم هذا لن يستطيع أبداً أن يكون مناضلاً حقيقياً لأن فى تخلفه هذا حكم مسبق بقصوره عن بلوغ مرحلة المناضلين المكافحين من أجل تحرر الإنسان (امرأة - رجل) من كل أشكال العسف والاستغلال . . ومن هنا فإننى أحكم ببرود علمى بأنه من الأفضل لهم بدل الصراخ أمام القائد بتحويل العالم إلى جماهيريات وبالنضال من أجل حرية الإنسان في أى مكان (ولا بد أنهم يتصورون دائماً أن الإنسان هو الرجل فقط) وبدلاً من رفع الشعارات الزائفة فى فترينات دكاكينهم عليهم أن يعلموا زوجاتهم وصديقاتهم كيف يمارسن سلطة الشعب أى المشاركة فى اتخاذ القرار وتنفيذه فقط وهو أمر بديهى على الأقل من زاوية الإيمان بتطبيق النظرية وليس بتعليمهن الثورة والنضال فهذه مسألة لن يستطيعوا الرقى إلى مستوى تطبيقها بأفكارهم المتخلفة حتى العفونة . .

القضية إذن وفق التحليل السابق لا تتعلق لا بقرار فوقى يتجاوز المؤتمرات صاحبة السلطة ولا بقدرة حركة ميتة الفاعلية بل يتعلق بصاحب القضية نفسه . . القضية ليست فى إقرار أن (على الثورة ألا تنتظر قراراً من الرجل بتحرير المرأة) بل فى تأكيد أن (على المرأة أن لا تنتظر قراراً من الرجل بتحررها) وليضع مجتمع الذكور المتواجدين فى المؤتمرات الشعبية ألف قرار وليقروا ألف مذكرة تزيد من تأكيد سيادتهم وسيطرتهم فحين تثور المرأة ستدرك أن مسألة تحررها من عبودية المجتمع البطريركى مربوطة بنضالها هى لا بنضال الرجل من أجلها . . وحين تدرك أن الحرية لا تمنح من الخارج كالصدقة وإنما يناضل من أجلها ويتفجر بسببها صراع اجتماعى رهيب تلتقى فيه المتناقضات فى حلبة الصراع ، وحين تعى تمام الوعى إنه

ما من سيد يرضى بثورة عبيده أو تمردهم عليه ، حيث يحدث ذلك ستنقلب كل حسابات مجتمع الذكور الذى يقنن كل يوم فى المؤتمرات الشعبية ويكرس علاقة العبودية ومعادلة الضعف والقوة بين الذكر والأنثى وسيكون هذا الانقلاب من داخل هذه المؤتمرات ذاتها . . لامن خارجها .

طوابير الناصرية(*)

عندما فجر عبد الناصر ثورته عام 1952 م كان معه كثير من الضباط الأحرار ممن شاركوه لإعداد الثورة وتفجيرها . . وبمرور الأيام وفى مقابل سعى عبد الناصر لتصعيد حركة الثورة فى مصر وكذلك حركته فى اتجاه نشرها على مستوى الوطن العربى كله فى مقابل ذلك كان أغلب الضباط الذين ساهموا فى تفجير الثورة قد بدأوا فى العمل لتكوين مراكز قوى لنفسهم سيطروا من خلالها على كل أجهزة الدولة فى ذلك الوقت ومكنتهم هذه المراكز بشكل تدريجى من عزل عبد الناصر وإحاطته بسور متين يحجب عنه الرؤية الحقيقية للأمور وكذلك تمكنوا من تغييب الجماهير عن ساحة الفعل بأن حلوا محلها وبقيت هى مجرد تابع راضخ لواقع غير قادرة على رفضه أو تغييره . . وهؤلاء الأشخاص الذين كانوا يحيطون بعبد الناصر كانوا قادرين على تحريك كل الأجهزة فى مصر لأن كل واحد منهم كون خلفه طابوراً من التبع يأتمر بأمره ويتحرك كيفما أراد . . وكل واحد منهم لم يعد ضابطاً حراً كما تحرك أول بداية الثورة بقدر ما أصبح (باشا) أى نسخة أكثر تطوراً من (باشوات) ما قبل ثورة عبد الناصر وما كانوا يملكونه من (فيلات) واقطاعيات وخدم وحاشية صار للضابط بعد الثورة أكثر منه (فسامى شرف) على سبيل المثال الذى كان مدير عبد الناصر للمعلومات كان كلما تحرك من مكان إلى آخر تحرك خلفه طابور

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد ( ) 15- 4- 1983 م .

سيارات وكل الذين لم يكونوا يملكون شيئاً (تبرجزوا) بعد الثورة كونوا طوابير أطول من طابور (سامى شرف) وطابور (صلاح نصر) مدير المخابرات . .

والأمر الذى لا يقبل المناقشة بحق هو أنهم جميعاً ساهموا إلى درجة بعيدة فى إفراغ الناصرية من محتواها فى تحويلها إلى طوابير من الإنتهازيين الذين ارتبطو بالناصرية ارتباطاً مصلحياً فخانوها عند أول مواجهة بل إننا لا يمكن أن ننسى أن بعضاً منهم وصلت درجة قوته إلى محاولة اختطاف عبد الناصر نفسه وأقصد بذلك (شمس بدران) (وعلى شفيق) وبالرغم أن عبد الناصر كان يكتشف فى كل مرة بعضاً من مراكز القوى هذه كما فعل حين قدم (المشير عامر) للمحاكمة وغيره ممن لعبوا دوراً فى النكسة إلا أن عبد الناصر ذاته اعترف وبكل مرارة قائلاً (لقد استطاع الاستعمار أن يصطادنى واستخدم البيروقراطية العسكرية كمصيدة) . . . وعبد الناصر كان وحده فى الميدان وكان الحصار حوله شديداً فلم يستطع القضاء على كل مراكز القوى التى تكونت فى عهده ربما لأنها كانت قوية لدرجة مخيفة وربما لأن عبد الناصر لم ينتبه لها فى الوقت المناسب وفى كل الأحوال فإن هذه المراكز استطاعت أن تلعب لعبتها القذرة بشكل ذكى لأنها أفرغت الناصرية من مضمونها . . وعندما مات عبد الناصر انتهى كل شىء والطوابير التى تكونت فى عهده تحولت إلى طوابير من الحديد الخردة وكل من كان مع عبد الناصر تحول إلى مضاد للناصرية سواء أعلن ذلك أم دللت أعماله وتصرفاته على ذلك .

فطيب الذكر (أنور السادات) ! الذى ما أن تولى الرئاسة بعد وفاة عبد الناصر حتى قاد حركته الإنقلابية فى مايو 1971 م ثم ما لبث أن توج ردته بتطبيعه للعلاقات مع العدو الصهيونى بزياراته المشؤومة للقدس المحتلة عام 1977 م . . . هذا هو السادات الذى كان نائباً لعبد الناصر.

وحسن التهامى « عراب » (اسطبل داود) والذى كان أول مسؤول

مصرى يقابل الإرهـابى دايان فى المغرب تمهيداً لزيارة السادات للقدس كان مع عبد الناصر . .

وممدوح سالم الذى كان مسؤولاً عن الأمن الشخصى لعبد الناصر فى الإسكندرية والذى اختاره السادات أول رئيس للوزراء بعد انقلاب مايو . . كان أيضاً مع عبد الناصر . . وزكريا محيى الدين (الذى هو الآن أكبر تجار البيض فى مصر كان أيضاً من رفاق عبد الناصر . . وعبد القادر حاتم) الذى كان مسؤولاً عن الإعلام وأحـد الذين ساهموا فى تكريس القيم البرجوازية فى المجتمع المصرى . . كان مع عبد الناصر .

ويوسف السباعى الذى كان مسؤولاً عن الثقافة وكانت كتابته ممتلئة بكل عبارات التمجيد والثناء لعبد الناصر وسياسته والذى تحول فى عهد السادات إلى واحد من أكبـر الداعين لمـا سمى (بالسـلام) مع العـدو الصهيونى . . كان مع عبد الناصر ووجيه أباظة الذى عمل فترة كوكـيل لأعمال (أبو رقيبة) المليونير الليبى الهارب . هذا الوجيه الذى ورث الآن فرع (البيجو فى القاهرة) كان مع عبد الناصر وكان مسؤولاً عن التنظيم الطليعى فى القاهرة . . فما أقرب الشبه بين قيادة تنظيم طليعى ورآسة فرع لشركة سيارات . .

وحمدى عبيد وحمدى عاشور . . ومحمود الجيار المعروفين بعلاقتهم مع الرجعية العربية كانوا جميعاً من الضباط الأحرار وكانوا جميعاً مع عبد الناصر . .

وكل السابقين لم يتخذوا أى موقف ثورى نضالى بعد وفاة عبد الناصر وكلهم أيدوا السادات فى ردته لأنهم كانوا مع مصالحهم ولم يكونوا مع عبد الناصر . . كلهم كانوا طوابير من التابعين والمنتفعين ولم يبنوا طوابير من المؤمنين بالناصرية والمعتنقين لأفكارها . . ولو أنهم فعلوا ذلك لما أجهضت الثورة ولما انحرفت مصر بعد وفاة عبد الناصر ولما استطاع السادات أن يقود حركة الردة فى مصر . .

إن الناصرية تجربة زاخرة .. علينا أن نعيها ونستوعبها بعمق لنستفيد من إيجابياتها وتجنب سلبياتها .. وما نقوله عن الناصرية لا نذكره من قبيل العبث بالكلام أو ملء وقت الفراغ أو ممارسة السفسطة التى لا طائل من ورائها .. إننا نقول هذا ومن خلال هذه الصحيفة الثورية التى هى صوت اللجان الثورية شعوراً منا بالخطر على الثورة ولأننا نخشى من تكرار النماذج التى تكونت فى عهد عبد الناصر .. فأعلى ضابط ذى رتبة عليا الآن لديه أكثر من (دوبلكس) وأكثر من سيارة فارهة ومتزوج أكثر من امرأة .. ويخشاه الناس .. وهناك ضباط فى اللجان الثورية يعمل لهم ألف حساب ومن يعمل فى مكتب الإتصال باللجان الثورية يظن نفسه فى مستوى أعلى من باقى أعضاء اللجان الثورية الذين هم حسب تصنيفه الشخصى أعلى مقاماً من الجماهير .

ومن يقترب من (معمر) فترة يتغير سلوكه ليصبح شيئاً آخر غير الذى كان.. ومن هنا بالتحديد تبدأ مراكز القوة فى التكون.. ليس لأن هناك قانوناً يخول النماذج التى سبق ذكرها فعل ذلك ولكن لأن العبيد الأخرين المرضى هم الذين جعلوا تلك النماذج تظن نفسها شيئاً آخر ورغم أن كل ما هو مطروح فى الجماهيرية وكل التطبيقات العملية للنظرية العالمية الثالثة تدعو إلى المساواة وإلى تحقيق مشاعية الأشياء بين كل أفراد المجتمع إلا أن هناك من يتجاوز بممارسته السيئة كل الحدود مستغلاً بساطة وعى الجماهير وضعف التنظيم الثورى (اللجان الثورية) وتعامل أجهزة الدولة بنفس العقلية الحكومية التى كانت تتعامل بها مع الأفراد قبل إعلان قيام سلطة الشعب فالضابط ذو الرتبة العالية .. هو ضابط كبير ينبغى له التجاوز فيما لا ينبغى لغيره ومن يعرف (معمر) أو يظهر معه فى (المرئية) له حصانة لا يملكها من لا يعرف معمر على سبيل المثال .. ليس هناك قرار يخول أيا كان صرف أكثر من (300) دينار كمخصصات سنوية عند السفر خارج الجماهيرية ومع ذلك فهناك من يصرف له أكثر من هذا المبلغ وهناك عائلات أخرجت من بيوتها بالقوة ليتم

تخصيص مكانها للضابط (فلان) أو للأخ (علان) دعونا نمارس مزيداً من الكشف الثورى فالجميع يعرف أن الخمر ممنوع وأن من يخالف ذلك يعاقب بالجلد والجميع يعرف أن الذى يهرب الحشيش عقوبته شديدة ومع ذلك فلم نسمع يوماً أن الضابط (. . . . . .) المدمن على الخمر قد عوقب وفقاً لقوانين هذا المجتمع أو أن الكبير (. . . .) قد صدر ضده قرار بالعقوبة لإدمانه على المخدرات والأدهى من ذلك أن كثيراً من أجهزة الدولة اللعينة تساعدهم جهاراً نهاراً لإشباع رغبتهم الدنيئة . . . إنها نماذج منحرفة تجاوزت حدودها مشكلة بذلك خطورة كبيرة على الثورة فى الداخل فى الوقت الذى يتهددها أكثر من خطر من الخارج . . وهى نماذج لا يمكن أن تتقزم ما لم تجد مواجهة عنيفة من قبل القوة الثورية التى تعرف جيداً أن (معمر القذافى) القائد الثورى تنمو فى ظله الجماهيرية وتقوى إرادتها ولا يحتمى فى ظله الأشخاص الانتهازيون المصلحيون والصادقون مع معمر لا يكونون طوابير من المنتفعين ولكنهم يبنون طوابير من المقاتلين الثوريين المؤمنين بالفكر الجديد تماماً مثلما كان (الحواريون) مع النبى (عيسى عليه السلام) الذين خلدوا مبادئه بكفاحهم وإيمانهم رغم قلة عددهم ومثلما كان الصحابة الذين نشروا بإيمانهم رسالة (محمد) فى كل الأرجاء . .

وهذه دعوة للثوريين لمحاربة أى انحراف . . دعوة علنية للفضح لكل من يرتكب أى ممارسة من هذا القبيل وفضح من يساعده على الممارسة . . نقول هذا ونحن نعرف مقدماً من سيقف ضد هذه الكلمات متعللاً بكل الحجج المستهلكة الفاقدة لمبررات قولها . . ولكننا فى المقابل نعرف أن الثورة لا يمارسها إلا الثوريون لأنهم وحدهم الذين يرفضون تماماً أن تتكرر طوابير الناصرية .

أمريكا هى أمريكا(*)

المكان : جامعة قاريونس ـ بنغازى.

الزمان : الإثنين 11/11/81 م .

المناسبة : خروج طلبة وطالبات الجامعة فى مسيرة استنكار وتنديد بالمناورات الأمريكية المصرية المشتركة على حدود الجماهيرية . .

فى البدء كان السؤال :

كم تبقى من الوقت الآن ؟؟
كم تبقى من الزمن الردىء ؟؟
هل خط تعاريجه فوق المدن جبين الوطن. . ؟؟
كم تبقى من نهاية المأساة
كم تبقى من الجنوب . .
كم تبقى من كل لبنان ؟
كم تبقى من مصر ومن السودان ؟
هل تبقى شىء يا سيدى الرقيب ؟
هل تبقى شىء ؟؟

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد (   ) 11 ربيع الأول 1391 هـ.

ملاحظات جانبية:

الإثنين 81/11/11 م كان الجو بارداً كليل الصحراء وكانت السماء تشاركنا الغضب بزخات من مطر قوى . .

صوت أول : سارعوا بركوب الحافلات . . سنذهب إلى المدينة الرياضية لتنطلق المسيرة من هناك . .

صوت ثانٍ : أنا لن أذهب معكم . . فلست مؤمنة بجدوى المسيرات . .

صوت ثالث : عدد الطالبات قليل جداً . .

صوت رابع : « كويس والله . . لو كان أهلى يشوفونى فى مسيرة يقطعوا رقبتى » !!

تداخل :

كان الالتحام جد رائع . . وضجت شوارع بنغازى بصدى هتافات متدفقة . . شكلت فى الأفق تعابير عديدة . . التحدى . . الكبرياء . . الجرأة . . ومسحت السماء بمطرها المتدفق إمارات الإجهاد البادية فوق الوجوه ولم يبق إلا علامة سخط وغضب . . كانت فى كل مرة . ومنذ مئات السنين ـ تحرق من تقذفه بنارها . .

صوت أول : الشعب الليبى كله معمر . . واللى يعادينا يدمر .

صوت ثانٍ : مش عارف هالطالبات شن بيديرن فى المسيرة ؟؟

صوت ثالث : « المفروض » القوة الثورية بالجامعة كانت حركت الطالبات وشجعتهن على الخروج فى المسيرة . .

صوت رابع : بصراحة أنا مستعد نطلع فى أى مسيرة لكن أختى لا !!

. . كانت الساعة الواحدة ظهراً عندما عادت الحافلة بالطالبات إلى الجامعة . . وفى المحطة كان هناك عدد من الطالبات . . وكان الإرهاق مع التحدى يرسم خطوطه فوق وجوه الطالبات الآتيات من المسيرة . ؟

صوت ضعيف: أهلاً . . أهلاً . . سمعنا أن أمـريكا قـد ارتعشت مفاصلها لخروجكن فى هذه المسيرة . .

صوت أضعف : والنبى بلا قطاف فارغ . . راهى أمريكا هى أمريكا

استدراك : لم أتهم فى أى يوم بالعمل فى المخابرات . . لكنها مجرد ذكرى لم يكتبها العقل الباطن . .

الخوف(*)

يشل حركة جزء من القاعدة الجماهيرية فى بلادى شىء مرعب يسمى الخوف ، الذى اعتبره المعوق الأول والأخير لنهوض الحركة النسائية وتطلعاتها نحو الثورة الاجتماعية التى تحطم البالى وترسى دعائم الحرية الصحيحة وفق قاعدة المساواة الإنسانية بين الرجل والمرأة التى جاء بها الفصل الثالث ـ الركن الاجتماعى للنظرية العالمية الثالثة .

مارد جبان هو تنسحق تحت أقدامه أقوى العزائم . . . وتجبن أمامه أشجع القلوب وعندما يبدأ فى التسلل إلى روح إنسان ما ، فإنه عادة يختار نقطة استراتيجية محكمة الجوانب يستطيع منها الانطلاق بدون قيود أو مقاومة يختار دوماً القلب ، ويسرى عبر شرايين الدم إلى كل أنحاء الجسد ، وعندما يتشبع الجسد به ، يكون من السهل عليه أن يفتك بالإنسان فتكاً ذريعاً كمرض عضال أو أشد ويكون من السهل عليه أن يضرب ضربته القاضية بكل بساطة ويسر وحينها ينهار الإنسان تاركاً زمام قيادته لصاحب الجلالة والفخامة ، المحصن ضد أى عدو كان ، عدا عدو عملاق ، مارد وجرىء يسمونه المقاومة الباسلة ، وأسميه الثورة والتحدى .

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد (   ) 12 - 14 - 1981 .

تمر بذاكرتى الآن صورة واضحة الملامح لجزء من هذا المجتمع ، تنطبق عليه قاعدة أن الخوف مرض فتاك ، وأنه عندما يبدأ فى التنقل بحرية بين جزء من المجتمع فإن المصير الحتمى الذى سيؤول إليه هذا الجزء هو الشلل التام . . والخمود اللامحدود ، وأن مجرد تصور إن هذا المصير وشيك الحلول والوقوع لما يصيبنى بالغثيان والاشمئزاز ، ولما يثير فى نفسى بوادر ثورة عارمة ومد هائل من التحدى الواعى لواقع مترد يزداد تردياً وسوءاً يوماً بعد يوم ، نتيجة لتقبلنا للأمر الواقع . . ورضوخنا للحقيقة المرة والتى بسكوتنا عنها تزداد عمقاً وترسخاً فى المفهوم العام . . وكأنى بها وقد أصبحت تقليداً متوارثاً بين الناس ، يغذونه بسيل من تفاهاتهم ، وجهلهم ونظرياتهم الخرقاء المبنية على ترسبات بالية ورثوها بكل تأكيد عن جدات جداتهم (عليهن لعنة الله وسخطه) .

لنعترف بكل أسى أن الحركة النسائية فى بلادنا تركن يوماً بعد يوم إلى الدعة ، وتستسلم لعقدة الخوف السارية فى أعماق كل الليبيات ، وحتى القلة اللائى أثبتن وجودهن فإنهن صرن يعتمدن أكثر ما يعتمدن على الشهرة التى حققنها ، وصرن يعملن ليس من أجل القضية اللائى كرسن أنفسهن لأجل الدفاع عنها بل من أجل تحقيق أهداف ترى بالمنظار الواعى ومقارنة بأهداف القضية نفسها صغيرة وتافهة ، وإنه لمن السخف حقاً أن يحب الإنسان فى الشىء مدى تحقيقه لأهدافه وغاياته الذاتية ،وأن يبتعد كلما اقترب من تلك الغايات عن الهدف السامى الذى كرس نفسه له بدءاً ، وأن يصبح عبداً لشهرته ، حباً فى الشهرة من أجل الشهرة وليس حباً فيها من أجل قضية ما .

كل ليبية مهما وصلت من درجات العلم والثقافة تخاف المجتمع ، هذا المجتمع الذى ينظر إليها نظرته إلى الثمار تماماً ، فهى لا قيمة لها ولا تساوى شيئاً إن كبرت ولم تعد تصلح - فى نظر المجتمع - لعرضها فى سوق الزواج الرائجة لفتيات الثانويات والمعاهد ، و (المكسـدة) للفتاة الجامعية فأعلى وللمثقفات بوجه خاص من كل فتاة ليبية تحمل فى أعماقها

الخوف من مجهول ما،فهى حذرة ومتحفظة إلى درجة الموت فى تحدثها إلى زميل لها سواءً فى العمل أو فى الدراسة.. وهى تؤنب نفسها بعد كل تصرف تتصرفه حتى ولو كانت غير مخططة فيه حتى وإن تصرفته بعفوية بالغة، الفتاة الليبية تتصور أن المجتمع لا يتعامل إلا مع الفتاة المؤدبة - ولو على الأقل ظاهرياً - فهى تراها مطرقة الرأس وهى ذاهبة إلى العمل أو المدرسة ولا تجد فتاة ليبية إلا فيما ندر تمشى وهى ترفع رأسها بطريقة عادية وبسيطة، إنها تطرق برأسها وكأن المجتمع سيحترمها على هذه الإطراقة المؤدبة والتى بها أثبتت أنها بنت (ناس) عرفوا أهلها كيف يعلمونها حتى طريقة السير فى الشارع.

الفتاة الليبية تترسخ فى أعماقها عقدة الخوف القاتلة من المجتمع وحتى المثقفة الشامخة بثقافتها، تعترف بين الحين والآخر وهى تكاد تنفجر من الألم والمرارة، إن المجتمع لا يعترف بمكانتها وبثقافتها، ولا يهم الرجل الليبى الذى سيتزوجها إن كانت قد قرأت « لديستوفيسكى » و « لمكسيم جوركى » أو لطه حسين أو للصادق النيهوم، ولا يهمه إن كانت تتابع قراءة « الثقافة العربية » أو العربى.. لا يهمه أن تكون على علم بما يحدث فى « إيرلندا » أو فى « مصر ».. لا يهمه أن تعرف شيئاً عن « على الفزانى » أو عن « درويش »، لا يهمه شىء من ذلك بقدر ما يهمه أن تستطيع عمل (المكرونة والرز والعصيدة)، وأن تنجب له الأولاد الذكور وقليل جداً من الإناث، والرجل الليبى يثور ويعربد ويقلب (صونية المكرونة فى الصفرة أو على الفرشة) إذا لم تكن طبختها كما ينبغى وهو أيضاً يصل إلى حد الضرب إذا لم تستطع لسبب ما إعداد وجبة طعام دسمة كالمعتاد. ويصل الرجل الليبى إلى حافة الجنون حينما يصل إلى أسماعه صدفة حديث ما عن ذكريات ماضية لزوجته، وهو لا يتورع عن ضربها بكرسى الصالون إذا ما عرف أنها كانت على علاقة بشخص ما قبل زواجهما.؟ تعترف الفتاة المثقفة فى لحظة حزن عميقة بكل ذلك، وتعترف مرغمة (ورغم أنفها أيضاً) بأن الفتاة الثائرة منبوذة، وإن التى

تدخل فى اللجان الثورية فتاة سيئة سمعة ، وإن التى تعود من مؤتمر ما إلى بيتها عند منتصف الليل أو تخرج إلى ملتقيات ثورية هى فتاة يجب الابتعاد عنها وإلا نقلت العدوى إلى غيرها من الفتيات اللائى لم يتعودن الخروج أو العودة من المؤتمرات عند منتصف الليل ، أو اللائى لم يدنسن عروش أفكارهن العظيمة بالأفكار الجديدة الثائرة التى تطرحها عضو اللجنة الثورية ، تدور كل هذه الأفكار برأس فتاتنا المثقفة والتى شعرت بطعنات متتالية من المرارة والسخط والألم لكنها تتنهد بصوت مسموع وقانط وتعود إلى التفكير وإلى الاعتراف بالواقع المرير الذى تكابد أهواله ، وتمر أمامها بذاكرتها صورة الرجل الذى وضعت فيه ثقتها وآمالها فخيب آمالها عندما وضع أمامها الشرط المستحيل لكى يتم زواجهما ، وهو تركها للجان الثورية وتتذكر ذلك وتطفر من عينها دمعة يائسة فتهز رأسها بقوة مدارية ضعفها بالإحساس العميق ، بالسخط على الأفكار البالية السائدة فى المجتمع ، تعترف الفتاة الثورية المثقفة الواعية المدركة بكل المرارة بهذا الواقع ، فكيف بالفتاة العادية التى لم تدخل فى حياتها لجاناً ثورية ، ولا مارست عملاً نقابياً ، ولا استطاعت من الخوف حتى التكلم فى موضوع اللجنة الثورية أمام أهلها ؟ كيف بالفتاة العادية التى لم تحضر ملتقى واحداً من الملتقيات الثورية ولا تابعت باهتمام كبير التطورات السياسية والاجتماعية حولها ؟ كيف بها هذه الجامدة الخامدة التى تجمدت حول جوانب نفسها كل صور الماضى المتعفنة وكل حقائق الحاضر المريرة ، والتى بذلك خلقت لنفسها بكل تأكيد تصوراً معيناً تسير وفق مخططه المبنى على تلك المتجمدات إلى النهاية التى اعتقدتها دائماً لنفسها (نهاية البنت سطل ومكنسة ومطبخ) . . أنا لا أدعو أبداً إلى أن تترك الفتاة الليبية المطبخ لتقول : إننا فى عصر حرية وتبدأ فى التبجح والتفلسف . . كلا . . إنما أدعوها إلى تحطيم حاجز الخوف الذى يسيطر عليها . . إلى تكسيره قطعاً صغيرة . . ورميه فى البحر ، إلى اقتحام الميادين التى تناسبها ، وإلى ممارسة العمل الثورى الخلاق الذى يطهر نفس الإنسان من رذائلها ويصرفه عن التفكير فى توافه الأمور ، والتطلع إلى جلائل الأعمال وإلى خدمة

الإنسانية بروح هادئة نقية مؤمنة ، تلتزم الثورة جوهراً وقالباً . . إننى أدعو بادئة بنفسى إلى ثورة اجتماعية تقودها الفتاة الليبية الواعية ، والتى أطلب منها أن تقوم (هى بنفسها) بعملية غسيل مخ لتنظيف فكرها والخروج من دائرة الحصار الضيقة والتى حوصرت فيها زمناً طويلاً . . إننى أدعو إلى الثورة وإلى التحدى وإلى اقتحام الليبيات لكل الميادين المناسبة والمشاركة بإيجابية فى تحقيق أهداف هذه المرحلة التى نعيشها . . إننى أدعو باختصار إلى الثورة وإلى التحدى ، فهل من مجيب وملب ؟ - .

متفرقات من الوطن العربى(*)

1

يقول لك المتشدقون الذين يدعون أنهم يفهمون أكثر منك أنه كان من المفروض على معمر أن يؤجل طرح نظريته وأفكاره قرناً آخر من الزمن ، ويبينون لك فى تفلسف وفى ترتيب منطقى ما يقنعك من الأسباب فيذكرون أن الشعب الليبى لن يحتمل القفزة المفاجئة من حالة البدائية إلى حالة راقية متخطياً مراحل ما قبل التقدم والتى تعدتها أمريكا واليابان الخ . . حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من رقى حضارى ، ويحاولون أن يجذبوك أكثر بأحاديثهم هذه ، فيذكرونك بقلة نسبة الحضور فى مؤتمر شعبى ما ، ولا بأس إن زادوا على ذلك باختفاء البضائع بسرعة رهيبة من الأسواق العامة ، واختفاء بعض السلع لفترة ثم ظهورها ، كما يذكرون لك تزاحم الليبيين وتضاربهم أمام منشأة تبيع « عالات الشاهى » وتبيع « البدالى العربية » ويقرنون ذلك بأن الشعب الليبى شعب لا يعرف النظام ، لا يستحق أن تظهر فيه نظرية متطورة كهذه ، وتفتح أنت فمك أمام هذه الحجج ، ولكنك فى نفس الوقت تحس الإهانة لأنك عضو فى اللجنة الثورية فى الحى الذى تسكنه ، وتتذكر أنك لم تذهب إلى المثابة منذ أكثر من أسبوع ، وتحاول أن

(*) نشر بجريدة الطالب عدد ( ) 1 - 3 - 1981 .

تدارى اضطرابك بفتح جهاز المرئية فيطل عليك مذيع متشنج يطلب كمية من الدم لأحد مواطنى بلادك ، ملقى بأحد المستشفيات بين أيدى أطباء من « . . . » ومن « . . . » يجعلونك كحقل تجارب ، لتكون لديهم خبرة ذلك أنهم كانوا فى بلدهم مجرد (ممرضين) . . تتذكر أنت كل ذلك ثم تتنبه لأن الوقت موعد نشرة الأخبار المصورة ، وتطل عليك مذيعة ترفع المفعول به وتنصب المبتدأ، وتبتسم فى براءة لتقول عفواً. . . وتزداد أنت يقيناً من صحة كلام ضيوفك الأذكياء ، ولكن كل ذلك يطير مرة واحدة عندما تسمع عن افتتاح مصنع ضخم فى منطقة ما من الجماهيرية ، وعن زيادة إنتاج مصنع آخر بما يقارن بإنتاج أحدث المصانع العالمية ، وترى كذلك مجموعة من المزارع الحديثة يتسلمها مزارعون ليبيون ، يطير من رأسك كل ما رسمته عندما ترى مناورة تقوم بها القوات المسلحة الليبية ، أو تسمع حديث المذيع فى برنامج الشعب المسلح حول التجييش فى المدن وفى المؤسسات التعليمية ، ثم أنك تنظر إلى ضيوفك فى شىء من السخرية عندما ترى القائد وهو يصف الشعب الليبى بأنه شعب عظيم وأنه يستطيع تحقيق المعجزات ، ثم عندما تسمع هتافه عند إعلان الوحدة بين الجماهيرية و... ، تنظر إلى المتحذلقين أدعياء المعرفة نظرة احتقار وتصرخ فى وجوههم : ـ إذا ما كان من سبب للتأخر الذى تدعونه فهم أنتم لا سواكم .

2

تطل بوجهها الجميل ، وقسماتها الحلوة ، فتجذبك إلى مشاهدتها جذباً ، ثم تزداد إعجاباً بها عندما تسمع كلماتها الهادئة ، وحديثها الممتلىء ثقة واطمئناناً ، وتعجب أيضاً بذكائها وبحديثها عن الأغنية ذات المضمون والهدف ، وعندما تقول : إنها تفضل الأغانى الوطنية لأنها تخدم القضية العربية ، تصيح أنت بينك وبين نفسك : الله أكبر ، ثم تعجب أكثر بحديثها عن الالتزام فى الأغانى العاطفية وأنها لا تغنى منها إلا ما كانت ذات مضمون ومعنى . . وعندما تبدأ فى أغنيتها العاطفية . . تتحفز أنت لسماع الكلمات ذات المضمون وتبدأ هى : يا للى كويت القلب . .

وحرقنا . . وبعيونك الكلمة عذبتنا . . . وطيحت سعدنـا . . وشويتنـا وأنا متعذبة . . والعذاب والنار . . . الخ ما فى قواميس أغنيات الهزل « عفواً الحب » الرخيصة .

وتصدم أنت . . وتقفز لتقفل الجهاز المرئى بعنف لاعناً كل الأغانى ذات المضمون والهدف .

3

عندما يفتح المواطن العربى المتجرد من كل إقليمية الإذاعة المسموعة ويدور بين الإذاعات العربية . . يصاب بخيبة أمل عظيمة . . ويتمنى لو يستطيع تحطيم رؤوس الحكام العـرب بما فيهم السمـو والملك والأمير والوزير . . الخ الذين هم علة التأخير والتخلف والجهل تتمنى أن تحطم رؤوس هؤلاء ولكنك تقول لنفسك : لأكن صبوراً ، ولأكن عادلاً فاستمع وأحسن الاستماع إلى إذاعة كل « خيمة » عربية ، لكنك تكتشف وبدون حاجة إلى استخدام العقل أنها لا تتعدى كونها مسرحية هزلية ـ سخيفـة وبايخة ـ مثل التى تهرب وتعرض فى الفيديو ، وتقرر بمنتهى البساطة أن الوطن العربى لن يتعدى دائرة الجهل والغباء ما لم يتعدى الآتى : ـ

1 ـ الاتهامات التى تلقى جزافاً بين خيمة وأخرى .

2 ـ الشيخ وسمو وجلالة ومولاى وسيدى . . الخ .

3 ـ كل ملتمس شيوعى ، وكل مسلم إخوانى ، وكل مواطن عربى « مجرد شلاكة قديمة » .

4 ـ حرمان المواطن العربى من حريته بواسطة المخابرات ومـا أدراك ما المخابرات العربية ؟ التى تحركها وتشرف عليها مخابرات « . . . . » .

5 ـ الخيمة الفلانية شيوعية والأخرى تابعة لأمريكا ، والأخرى تساعد فرنسا

أو بريطانيا على النفاذ إلى الوطن العربى وشعارات الدب والغول والعفريت . . الخ .

6 ـ أصحاب الملايين في الريفييرا . . وأطفال فلسطين يتضورون جوعاً ، وجنوب لبنان بل كل لبنان يكاد يذهب فى خبر كان .

وعندما تتعب من نقد الأخطاء ومضغ الحلوى تمد يدك إلى « حبة أسبرين» وتقفل المذياع وتضع وسادة على وجهك وتنام .

4

ينادى القائد بالوحدة . . . يصرخ بالعرب النيام منذ مائة عام ليستيقظوا وليواجهوا واقعهم المرير بشجاعة وقوة ـ يمر نداء الوحدة على عشرين كرسى عربى ـ وعشرين رأساً أجوف من الحكام ، ومائة وخمسين مليون مواطن عربى . . لا يستيقظ منهم غير شعب واحد . . يهتف مع القائد : نحن شرابين الدم ، لا يستيقظ منهم غير الشعب السورى وغير حافظ الأسد الذي وقع على الوحدة بأصابعه العشرة ، والذى ردد وراء القائد : الجولان بنرويها دم ـ بالدبابة وبالبردم .

بعد عدة أيام يتسلم القائد مئات الرسائل. . تحيى الوحدة ، وتندد بأى محاولة ضدها من الرئيس فلان ومن فلان . . ومن جلالة الملك فلان . **ونضحك نحن أبناء الشعب الليبى** وأبناء **الشعب السورى . . نضحك** حتى النخاع ونطلب تمزيق الرسائل لأنها لا تعدو كونها جواز مرور من تهمة الإقليمية إلى صفة الوحدوية .

5

تعبت يداى من الكتابة ولم تنته المتفرقات . . ذلك لأنها كثيرة بغير حساب فى الوطن العربى . .

عبد الناصر يعود إليكم(*)

28 سبتمبر 1961 . . يوم الإنفصال الأسود . .

28 سبتمبر 1961 . . الشك واليأس . .

28 سبتمبر 1961 . . المرارة والحزن. .

28 سبتمبر 1961 . . الإجهاض والإحباط . .

لا . . . لا . . هذا المقال لن يكون مقالاً بكائياً . . يعلو فيه النحيب والتشنج ولن يكون مجرد رص فى كلمات فقدت معانيها. . فكررت نفسها بطريقة مملة. . إنه محاولة لمسح الغبار عن الحقائق. . محاولة لوضع الأمور فى إطارها الصحيح . . بطريقة مناقضة لما يفعله الكتاب والمثقفون العرب عندما تمر عليهم هذه الذكرى . . وما الفقرات التى ذكرتها فى البداية إلا نموذج من مئات النماذج التى يستقبل بها كتابنا يوم 28 سبتمبر 1961 تحديداً . . أما إذا شئنا التعميم فسوف نذكر كل الصدمات التى تلقاها العرب مثل هزيمة 48 ، ونكسة 67 ، وحرب 73 ، وخيانة السادات . . إلخ .

مروراً بكل الأوراق الصفراء الصغيرة التى خطت عليها الكثير من الأحداث التى أجهضت آمال العرب فى السابق والحاضر. . إذا شئنا

(*) نشر بجريدة الطالب عدد (   )أول المريخ 1981 م .

التعميم وذكرنا ماسبق فإننا لن ننسى بسهولة أن أحد أكبر أسباب هبوط الروح المعنوية لدى كل مواطن عربى من المحيط إلى الخليج هو سوء استخدام وسائل الإعـلام العربية - رغم تعددها - ووقوعها عن قصد أو غير قصد فى أخطاء قاتلة وذلك لاتخاذها أحد طريقين :

إما التباكى والصراخ وإما التعميم على الحقائق وتزويرها وفى كلا الحالين يقع المواطن العربى فى دائرة من الحيرة والشك ويظل يضرب أخماساً بأسداس لكى يصل إلى الفهم بما يدور حوله من أحداث ، ثم يتسرب اليأس إلى نفسه فيشك فى مقدرته وفى مقدرة أمته على المقاومة والصمود و . . و . . و . . إلخ .

وعلى ذلك فإننا نتساءل ويوم 28 سبتمبر يقرع الأبواب معيداً إلى الذاكرة أحداثه . . هل ما زلنا بحاجة إلى مزيد من ذرف الدموع والبكاء ؟ هل ما زلنا بحاجة إلى مزيد من المخدرات والمسكنات لطمس الأشياء عن عيون المواطن العربى ؟ . . بالتأكيد لا . .

فنحن لانحتاج إلى الصراخ كى نوضح الحقائق للآخرين . . نحن أحوج مانكون إلى الهدوء وإلى النقاش الموضـوعى . . فالإنفصـال فى 28سبتمبر قد حدث وكان لابد أن يحدث وسط كـل تلك الظروف التى أحاطت بالوحدة بين مصر وسوريا ، والإنفصال لم يكن حـركة عشـوائية (بعكس ردة فعل العرب عندما استقبلوا الخبر) ظهرت وضربت ضربتهـا القاسية فجأة . . والانفصاليون لم ينزلوا من المريخ بدون موعد . . بل كان كـل شىء معداً بـدقـة وإحكـام . . ولم يكن فى الأمـر لا فـوضى ولا اضطراب . . ولكن الشعوب العربية المنفعلة لا الفاعلة أصابها الذهول وعلا الصدأ وجوه أبنائها وتآكلت الأمانى فى صدورهم لاجهاض أمل الوحـدة الوليد المنبثق من أجواء القحط والجدب الذى كان سائداً فى معظم أقطار الوطن العربى آن ذاك . . الإنفصال حدث . . وكـان لابد أن يحـدث ، والإنفصاليون والإقليميون فى كل مكان وزمان هم أولئك الذين ينتهزون،

فرصة انشغال الجميع بالغناء والرقص للوحدة ليبدأوا فى تحضير المراسم الجنائزية .. وقد يرقصون ولكن بطريقتهم الخاصة .. وقد يشاركون فى الغناء ولكن لتمرير أوراقهم فى هدوء ويسر .. وبينما يستمر الآخرون فى إقامة حفلات تدجين الوحدة بمزيد من الضجيج والتهريج .. يكون الإنفصاليون قد قطعوا أشواطاً بعيدة فى تنفيذ مخططاتهم الإنفصالية بهدوء .. تاركين أمر الإعلان النهائى لحين الانتهاء من كل المراسم ..

وهكذا حدث .. وصور الإعلام العربى يوم الإنفصال على أنه يوم ليس له مثيل أبداً وأنه الكارثة التى ما بعدها كارثة .. وهكذا مارسوا نفس الأسلوب ولكن بأشكال مختلفة مع كل الأحداث المأسوية الأخرى ، مع أن الذين فعلوا ذلك ، هم أعرف الناس بأن الأمور لا يمكن مواجهتها بهذه الطريقة ، وهم أعرف الناس أيضاً بأنهم إذا استمروا فيها فسيحدث المزيد من الكوارث إذا جاز واستخدمنا نفس تعبيراتهم .

والوحيد الذى وقف فى وجه العاصفة ، ورفض أن يخدر حواسه ومشاعره بمسكنات مواقفة ، الوحيد الذى نهض من كبوته وأعلن أن محاولة الوحدة مع سوريا أو مع غيرها من الأقطار العربية لن تتوقف وأن الإنفصال لا يعنى نهاية بل بداية المعركة ضد كل القوى المتآمرة المتحفزة للإنقضاض .. الوحيد الذى وقف ولم ينحن هو عبد الناصر الرمز الذى ظل متوهجاً فى قلوب كل القوى التى جاهدت لأن تكون فاعلة فى الوطن العربى ومهما قيل عن عبد الناصر - بعد رحيله - فإنه يظل وثورته الناصرية أحد أسباب تفجر ثورة الفاتح 69التى استلمت اللواء من بعده .. والموقف لا يختلف كثيراً ، فالتاريخ كما يقولون يعيد نفسه ، والمعركة التى كانت مشتعلة بين عبد الناصر وكل القوى الامبريالية التى تمثلت آن ذاك فى بريطانيا بالدرجة الأولى ثم أمريكا والكيان الصهيونى والرجعية العربية ، هذه المعركة انتقلت إلى ليبيا مع بعض الاختلافات الشكلية ، صحيح أن معمر القذافى يظل فى النهاية معمر القذافى ولكن الكثيرين يعتبرونه الامتداد لعبد الناصر وهم يقصدون بذلك تطلعهما المستمر المقترن بالفعل للوحدة

العـربية ، ومـواجهتهما التى تصـل إلى درجة الصـدام مـع «الإمبـرياليـة العالمية . . وكما قلت فالموقف لا يختلف كثيراً فالعدوان الثلاثى على مصر كان من الممكن حدوثه من أطراف أخرى فى خليج سرت وقد يحدث فى أى لحظة قادمة فهذا ليس بمستغرب ، والأسلوب الهجومى الإعلامى هو نفسه لم يتغير ، وحتى محاولات الاغتيال كررت نفسها بصورة جديدة ، وبقى أن نقول أنه إذا لم يكن وعينا بمستوى خطورة المرحلة وإذا لم يكن نـظرنا ينـطلق إلى البعيد كـاشفاً كـل المـواقع، وإذا لم نسرع بـالزحف الجماهيرى لفرض الوحدة فرضاً إذا لم نفعل ذلك ، فإن علينا أن نتوقع أن يبدأ دعاة الانفصالية والاقليمية من وراء الكواليس فى رسم خرائط الموت والتفجير . . غير أنه بالإمكان قلب كل الموازين لصالح الجماهير ، عندما يشعر كل عربى بأنه الأمين على القومية العربية وعلى الوحدة العربية ، وبأن عبد الناصر لم يمت كما يصوره نظام السادات . . فعبد الناصر لم ينتـهِ بعد إنحراف 15 مايو1970 ولم ينته عند الخيمة فى الكيلو 101 ، ولا عند زيارة السادات للكيان الصهيونى ولم ينته عند اتفاقيات إسطبل داوود ، صورة عبد الناصر فى أعماق كل عربى أكبر من أن يشوهها عميل كالسادات ، يصر إعلامه وصحافته بالذات على أن يؤكد أن ثورة23 يوليو فقدت شرعيتها فى عهد عبد الناصر ، بينما يقع السادات فى عملية تناقض فاضحة عندما يعلن فى مطلع كل شمس أنه يسير على أهداف ثورة 23يوليو ولست أدرى إن كانت هذه الأهداف هى التى أملت عليه أن يثير الفتنة الطائفية لأول مرة فى تاريخ مصر ؟؟ أو أن يزج بمعارضيه فى السجون مختلقاً ما شاء من الحجج كمبررات لفضائحه ، فى نفس الوقت الذى لا يمل فيه عن الترديد بمناسبة أو بغير مناسبة بأن مصر هى بلد الاستقرار والأمن والطمأنينة ؟؟ أو أن يحول أرض مصر إلى مكان إقامة طيب للأمريكيين والصهاينة ؟؟ . . لست أدرى من ذلك شيئاً ، ولكن الذى أدريه أن عبد الناصر موجود فى أعماق كل عربى مصرى . . فقد ظهر عبد الناصر فى انتفاضات الطلاب فى الجامعات والمدارس ظهـر عبد الناصر فى وجوه الجماهير التى قالت كلمتها فى يومى 18 ،19 يناير ، وظهـر فى صفوف المعـارضة الـوطنية ، وفى الأحـزاب

التقدمية ، ولم يقتصر الأمر على مصر فقط . . فعبد الناصر عاد إليكم فى بسبتمبر1980 . . وما زال مستمراً معكم . . وقد حضر كل مؤتمرات الصمود والتصدى ، وشم الجميع رائحة نضاله فى كل سطر من سطور بيان بنغازى سبتمبر 1981 .

● عبد الناصر التصق بالجماهير العربية فزرعته فى أعماقها بركاناً لا يخمد أبداً، وإن هدأ فترة فإن نشاطه يعود إليه ليرسل حممه صواعق تحرق فى الأعداء أحلامهم وأطماعهم الاستعمارية .

● وإلى كل الذين استمروا وما خانوا ولا ركعوا وإلى كل الذين بذلوا وما زالوا ولم يهنوا إليهم يقول عبد الناصر -

● أماماً أيها البشر . .

والبقية تأتى (*)

كان هناك فيما مضى ، ترهات صبيانية تشبه أفعال « الكاوبوى » التى يجيدها المراهقون حفظاً وأداءً . . قد تناهت إلينا عبر أفعال وأقوال الفارس المغوار الذى لا يشق له غبار فى عالم الغباء الذى يظنه الأغبياء أمثاله مكراً ودهاءً ، فارس البيداء المقدام الذى لا قبله ولا بعده تمسحاً بأذيال الخونة الأنذال . .

أما بعد . . فابشر بقرب النهاية يا عمرو . . اقصد يا مشير « نميرى » .

وأما قبل . .

فمثلك لايرقى إلى مستوى الفعل ـ لأنك أجبن من ذلك وكل أقوالك وأفعالك طنين أجنحة ذباب . . لا يؤثر فيمن عرفوا الطريق الحقيقى للحرية ـ وإن كان يشعرهم بالاشمئزاز الذى يتولد عنه الشعور بالغضب . . ومن ثم الفعل الذى هو يناقض فى كل الأحوال جرك لعربة كاوبوى أمريكا العجوز الذى أجاد لعبة التمثيل والضحك على الذقون حتى بعد أن ترك مواخير « هوليود » إلى مواخير البيت الأسود وألاعيبه الهزلية . . وبما أن عجائز البيت

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد (   ) 9 - 7 - 1981 م .

الأسود لا يجدون غير عرب الهزائم والنكسات والتمسحات والتبركات من أمثالك وأمثال السادات لذلك فهم لا يجدون غضاضة فى أن يعرضوا عليكم (وبكم) مسرحياتهم الهزلية ، وكذلك فهم لا يجدون غضاضة فى إسناد دور البطولة إلى أحدكم حتى يحسده الآخرون ، ممن أسندت إليهم أدوار جانبية فيحاولون أداء أدوارهم على أكمل وجه لعل المخرج يرضى فيعطيهم أدواراً بطولية فى مسرحيات قادمة ، وما أكثر ما يعملون من مسرحيات وما أكثر ما يسند إليكم فيها من أدوار خاصة وأن لكم مواهب عبقرية ممتازة فى هذا المجال . . كمثل رفيقك « السادات » الذى كان فيما مضى من أيام شبابه التليد يتدرب على (فن الإلقاء) وكذلك يعرض نفسه فى مجلة (روز اليوسف) كبطل وسيم لمن يختاره من المخرجين ، على أننى أبصم بالعشرة إن لم يكن المخرجون قد قالوا له بأنه ممثل فاشل وعليه فإن اتجاهه إلى إبراز مواهبه فى التمثيل السياسى على خشبة مسرح الدجل وأمام أبصار المصريين (الغلابة) ، إن اتجاهه هذا ليس غريباً كمحاولة لسد مركب النقص فى نفسه خاصة وأنه بقى مختفياً فى الظل طوال زعامة الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) فلا بأس باحتلال مركز النجومية بعد رحيل عبد الناصر بأعمال بطولية خارقة كمثل أعمال (السوبرمان) تمثلت فى زيارته للقدس وتقبيله (للأعور) ومحادثاته مع العجوز الشمطاء (جولدا مائير) و (بيجن) ثم فى توقيعه لاتفاقيات اسطبل داود القذرة وفى محاولاته تحقيق حلم أمريكا والكيان الصهيونى بتصفية القضية الفلسطينية . . .

أقول ذلك لأنك بالتأكيد رأيت وأنت تنظر فى المرأة المذهبة فى قصرك المنيف رأيت أن لك من المواهب الخارقة ما لا يقل عن مواهب رفيق عمرك (السادات) ولا بد أنك قلت لنفسك « هو السادات أحسن منى فى إيه » ثم إنك قررت وأنت تلمس عضلات ذراعيك أن تبرز إلى ساحة النجومية لعلك تحظى بما حظى به السادات من مقابلات صحفية ومرئية ومن أموال أمريكية تكدس للحساب الخاص فى مصارف سويسرا ونيويورك ومن استثمارات لشركات أجنبية تستغل أموال شعبك المقهور الذى يتململ

من الغيظ والقهر ويعانى من التخلف والجهل . . وينتظر الفرصة ليجعل من رأسك الأجوف الفارغ طبلاً يعرض فى متحف الأشكال المضحكة . . . .

قلت إن عقدة النجومية استبدت بك فأخذت فى أول الأمر تهاجم القوى الثورية بالوطن العربى وخاصة الجماهيرية التى تقض مضجعك وتقف حائلاً أمام مسابقة عرض الخدمات التى قررت أنت ورفاقك أن تقيموها أمام لجنة حكام من العجوز الهرمة أمريكا . . ثم إنك تماديت فى القول وفى استعراض الفنون الهجومية ذاكراً تارة أن الخطر الروسى يهدد السودان من قبل الجماهيرية وذاكراً أن هناك قواعد روسية فى الجماهيرية وتارة أخرى تهدد (وتبرطم) وكأن الجماهيرية ستخسر شيئاً إذا تخلى جنابك عن تصدير الحيوانات الحية واللحوم إلينا ـ ولذا فإنى أحب تذكيرك أن الشعب الليبى يستطيع أن يعيش على اللحم (المكفن) وكذلك فإنه لن يموت إذا أكل اللحم (الأرجنتينى) ولكن الذى سيخسر فى الحقيقة هو أنت ـ وستخسر السودان دعم الجماهيرية لها وستتذكر أنت وقت لا تنفع الذكرى أن الجماهيرية هى التى أنقذت حكمك من الانقلاب العسكرى عام 1971 عندما أرغمت الطائرة التى كانت تقل زعيم الانقلاب (أبا بكر النور) على الهبوط فى مطار بنينة ببنغازى حيث اعتقل وأحبطت محاولة الانقلاب ،

وعوضاً عن أن تحفظ الجميل كعادة العرب (الذين لا يفخرون بانتسابك إليهم) عوضاً عن ذلك تستمر فى ارتكاب مزيد من المغالطات ظناً منك أن ذلك يزيد من مدة التصاق جسمك بكرسى الحكم رغم أن نظامك بات فاقداً لأبسط مقومات البقاء كما تدل كل المؤشرات الداخلية فى السودان أو المؤشرات الخارجية على مستوى الوطن العربى وتعليق الصحف الأجنبية على غبائك وترهاتك . . .

تستمر فى ارتكاب مزيد من المغالطات الداخلية من قمع وكبت وتسلط والخارجية من انفتاح على نظام زميلك المهزوم من أجل فك الحصار الذى يطوق نظامه المنهار ومن أجل أن تجر غيرك من الأنظمة المهزومة أمام

شعوبها والتى تفرش الأرض نقوداً وتلتحف بالذهب لعل بريقه يخفى عنها غضبة جماهيرها ، وها أنت تفتح أرضك - كعلامة على الإخلاص أمام قواعد أمريكا فى (سواكن) وفى ((الفاشر) وأمام القوات المصرية فى الخرطوم وفى غيرها من مناطق السودان ثم أنك لا تكتفى بذلك وكذلك فإن سيدتك زعيمة الإرهاب لا ترضى ولا تقنع فهى من ذلك النوع الذى يريد كل شىء عن طريق خطة (الخطوة . خطوة) وها هى تدفعك لاستقبال رفيقك الغالى فى السودان على مرأى ومسمع من العرب الذين ولا شك أعجبهم شعار (شاهد ما شافش حاجة) فاتخذوه لواء يختفون وراءه وكذلك يتصارعون (ويتخبطون) كمرضى الصرع وراءه ، وأخيراً يكيل كل منهم ما شاء من التهم لغيره رافعاً شعار (وأنا مالى) أو صورة للقرود العينية التى تمثل حكمة (لا أسمع .. لا أرى .. لا أتكلم) مع حذف الأخيرة ، كل ذلك وراء الشعار السلبى وبالطبع وما دامت الفرصة سانحة والجو العام مهيأ فلتضرب أنت بأمر من سيدتك ضربتك وليذهب العرب فى (ستين داهية) ولتسميك الصحافة العربية (الخائن الثانى) أو ليسميك الشعراء (الجرذ المتضخم بالسودان) ولتنعتك الإذاعات بأشنع الصفات فما أنت إلا البداية ورقعة الشطرنج من الرجعية العربية ستتحرك فيها قطع أخرى بعدك .. وما الذى يهمك من أمر العرب ومن أمر فلسطين ما دمت تحصل على الثمن ؟ ثم إنك وبتفكيرك العبقرى - كمثل تفكير السادات -

رأيت أن تنهى هذه المشكلة حتى (دوخت) العرب مدة 32 عاماً ورأيت بذكائك الألمعى الخارق أن الاستسلام الذى يقضى على كرامتك وعزة نفسك كعربى خير من الصراع المدمر للميزانية العربية (الفقيرة جداً للأسف) وكذلك فإن حلاً كهذا خير من بقاء المشكلة بلا حل ، وبذلك تضرب عصفورين بحجر واحد .. أى أن تستريح وتريح ، فتستريح من استخدام ذكائك الجبار فى التفكير لعقد مؤتمر سفح عفواً أقصد قمة من القمم العربية وفى محاولة إيجاد البديل ومن ثم تنصرف إلى قمع كل المناوئين لحكمك فى داخل السودان وكذلك فإنك فى ذات الوقت تريح

أمريكا من التفكير فيك بحيث تنصرف إلى جر أصدقاء آخرين من خلف الكواليس إلى خشبة المسرح حيث الأضواء والألوان . . .

ولأننى أعلم أن (جل نفخى فى رماد) وأنك سقطت سقطة أخلاقية ذريعة بارتكابك جريمة مخلة بالشرف ، فإننى لا أقصد من وراء تعريتك غير تحذيرك ، فإن المد الثورى آت لا محالة ، ليس من الجماهيرية التى ترتعش خوفاً منها ، بل من الأرض السوداء الزاخرة بالعطاء ،أقصد من السودان ذاتها . . فاحذر فإن شعبك الذى تظن أنك قد قمعت فيه روح الثورة ، هذا الشعب سيصب جام غضبه عليك فى لحظة ما لن تسمع فيها غير اللعنة الأبدية على تفكيرك الأبله الذى قادك إلى الدخول فى قطيع الأبقار العربية التى يقودها عجوز كاوبوى ما زال يحلم بأنه فتى الشاشة الأول !! . . .

منطق التحدى (*)

رغم أن الكثيرين قد تطرقوا للحديث عن قرار تشغيل الطلاب الذى اتخذته المؤتمرات الطلابية وصيغ فى صورته النهائية فى المؤتمر العام الخامس لاتحاد طلبة الجماهيرية الذى انعقد بجامعة قار يونس ورغم أن هذا الموضوع قد طرق من زوايا عديدة إلا أن حساسية هذا الموضوع وأهميته وأيضاً مقدار ما يحتويه من شمولية واتساع يتيح الفرصة لغرض الحديث فيه سواءً من زاوية جديدة أو حتى لتجديد الرؤ يا حول جوانبه الأخرى وفى كل الأحوال ورغم أن هذا القرار الجرىء لم يثر دهشة أى كان فى الجماهيرية لأن ذلك شىء بديهى نظراً للدور القيادى الذى يلتزمه القطاع الطلابى بين قطاعات المجتمع الجماهيرى الأخرى إلا أن خلفيات القرار ومنطلقاته تدل بوضوح ـ وهذا شىء جيد بالفعل . .

على الطريقة التصاعدية التى ينمو بها وعى الطالب الليبى الذى بدأ يدرك إيجابيات وسلبيات المواقف المختلفة التى تتخذ حوله وبدأ يدرك أن طلاب الجماهيرية شىء مميز فى العالم وملفت للنظر ، فالحرية التى يتمتعون بها فى اتخاذ قراراتهم من خلال مؤتمراتهم الطلابية مثار إعجاب من قبل باقى الاتحادات والروابط الطلابية والشبابية فى العالم . . والاهتمام

(*) نشر بجريدة الطالب عدد (   ) 2 - 8 - 1981 .

الذى يحظى به القطاع الطلابى فى المجتمع ابتداءً من عضوية المؤتمرات الشعبية وفرض وجودهم على أرض الواقع وتصاعداً إلى تحريض القائد المستمر للطلبة بالزحف على الإعلام وإدارته من قبل العناصر الطلابية المؤهلة فكرياً وخلقياً لذلك .. أقول أن هذا الاهتمام يزيد من الإعجاب بطلاب الجماهيرية من قبل طلاب العالم الذين يعانون القهر والكبت والتسلط ولا يستطيعون التعبير عن رغباتهم إلا فى صور العنف الذى يتخذ عدة أشكال تختلف ظاهرياً وتتفق جوهرياً بدءاً من الاعتصام بالجامعات ومروراً بالمظاهرات وانتهاءً بالتجمعات السرية والمنشورات المطالبة بحقوق الطلاب فى التعبير عن أنفسهم وعن احتياجاتهم ورغبتهم فى التمتع بحرية الكلمة على الأقل ..

إن كل ذلك يزيد من اقتناعنا كطلاب فى أول جماهيرية بخطورة الدور الذى نلعبه ونمارسه على أرض الواقع .. وكل ما نتخذه من قرارات تحلل بدقة لمعرفة مدى وعى الطالب الليبى بواقعه .. ومدى ارتباطه بحركة الثورة فى اتجاه ترسيخ سلطة الشعب .. ومدى إحساسه بقيمة دوره ..

وأخيراً مقدار تجاوبه فى اتجاه تحقيق النموذج المصغر للجماهيرية العملاقة والذى سيبدأ مع الطرح الجديد للجان الشعبية بالمؤتمرات الطلابية حيث تصبح المدرسة أو المعهد مجالاً واسعاً يدرك فيه الطالب مسؤولياته كفرد من المجتمع ومن ثم عندما ينطلق إلى مجالات العمل المختلفة يعرف كيف يشارك فى المؤتمر الشعبى بآرائه لصنع القرار الجماهيرى ..

إذن فقراراتنا كطلاب ينبغى أن تكون دائماً بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقنا كشعلة متوهجة متقدة من الجرأة والتصميم والتحدى .. الجرأة لصنع القرار والتصميم لتحقيقه والتحدى كل التحدى للفكرة السائدة عن كون القطاع الطلابى قطاعاً استهلاكياً .. عالة على المجتمع .. على جميع القطاعات الأخرى أن توفر له الخدمات المطلوبة بينما هو لا يقدم فى المقابل أى شىء ..

إن منطق التحدى هذا الذى يبرز بوضوح بين ثنايا قرارات تقسيم العام الدراسى إلى قسمين دراسة وإنتاج يؤكد أن النضج الثورى قد وصل إلى مرحلة متقدمة فى القطاع الطلابى وإن رؤية معسكرات الإنتاج التى أقامها الطلبة فى كل بلديات الجماهيرية مما يفسح المجال أمام الطلاب لإثبات قدراتهم ومهاراتهم وكذلك فإنه يعد كنوع من التدريس لتعلم أشياء جديدة خاصة وإن القرار يحتم التوجه إلى أعمال يدوية وتحطيم عقدة الروتينية التقليـديـة.. والمكتبيـة وحتى نسـاهم فى خلق جيـل واعٍ يثـور على كل ما هو روتينى ويرفض (الكراسى الدوارة) و (المكاتب المكيفة) و (التكسيد على حل الكلمات المتقاطعة وتقويم عباد الله) هذه الترسبات البالية التى تمتلىء بها أماناتنا ومصالحنا ومؤسساتنا الشعبية المختلفة..

قلت إن العمل اليدوى يتيح للطلاب فرصة تعلم أشياء كثيرة ويبرز كفاءات الطلاب وهناك أمثلة كثيرة على نجاح الطلاب فى عملية الإنتاج فمثلاً فى بلدية الفاتح وزع أكثر من 800 طالب على عدة مشاريع زراعية من بينهـا مشروع الجبـل الأخضر.. وكـذلك فى مجـال صيـانـة المعـاهـد والمدارس، إلى جانب ذلك هناك ظاهرة أخرى تحدث للمرة الأولى، وبدرجة لفتت الأنظار: وهى تقدم عدد كبير جـداً من الطالبـات وإبداء رغبتهن فى العمل فى أى موقع من المواقع الإنتاجيـة، وقد بلغ عـدد الطالبات أكثر من 350 طالبة تركز عدد كبير منهن فى أعمال صيانة المدارس والمعاهد ولعل خير نموذج على ذلك ما قامت به الطالبات اللواتى وجهن من قبل مكتب العمل إلى مدرسة الحرية الإعدادية، حيث قمن بطلاء جميع الفصول والجدران فى المدرسة بدرجة جعلت الذهول يسيطر على كل من رأى الطالبات وهن يقمن بعملية الطلاء بكل إحساس بقيمة العمل الذى أنجزنه، وقد أكدن أكثر من مرة أن هذا القرار قد أتاح لهن فرصة اكتساب مهارات جديدة، وكذلك كان بمثابة تمرد على تقاليد اجتماعيـة عتيقة، وبالية تهدف إلى كبت حرية الفتاة ودفنها طوال فترة الإجازة فى البيت كأى متهم بجريمة لم يرتكبها..

هذا قليل من كثير ، وما ذكرته يعد نموذجاً من مئات النماذج الأخرى فى مختلف مناطق الجماهيرية ولعل تسليط الضوء على هذا النموذج يتيح الفرصة لمعرفة المزيد من التعرض لبعض الممارسات الخاطئة التى حدثت من (بعض الطلاب) والذين هم بالدرجة الأولى والأخيرة يجنون على أنفسهم بحرمانها من المشاركة فى بناء المجتمع ،وكذلك فإن ممارساتهم الخاطئة تكشف عنهم - أى العناصر السلبية - التى تهدف إلى إعاقة كل ما هو رائد وحضارى فى جماهيريتنا مما يسهل معه محاصرتهم فى دائرة ضيقة وكشف ممارساتهم أمام مؤتمراتهم الطلابية لتتخذ بحقهم الإجراءات الكفيلة بردع أمثالهم عن التغيب المستمر عن العمل أو عدم الحضور على الإطلاق وكذلك الإهمال المتعمد أثناء العمل مما يدفع بقية الطلبة للتذمر والشكوى من قصة (حميدة ومحمد) وما يترتب على ذلك من سلبيات . . لكنه ! تبقى كل هذه الممارسات الخاطئة ضئيلة بجانب إيجابيات هذا القرار الحاسم : الذى يمثل بحق منطق العصر : أقصد منطق التحدى . .

انفتاح التلفزيون الليبى (*)

— 1 —

« سبحان الله عليك إذاعة خاربة » . . تهز رأسك بحسرة وأنت تشاهد القطع الفجائى الذى حدث أثناء عرض إحدى بدائع ليلى رستم فى برنامجها « بين الحقيقة والخيال » وترتسم على وجهك الدهشة حين تشاهد الأخ القائد وهو يتحدث فى المسيرة الطلابية بسببها عن توقعاته لقرب سقوط السادات وتابعه النميرى ، ثم إن دهشتك تبلغ ذروتها عندما تواصل المرئية عرض البرنامج وتقع أنت فى حيرة ، إذ أنك لا تجد صلة تربط الأشياء التى عرضها التلفزيون الليبى ببعضها ولا تفهم ما هى علاقة حاتم الطائى بطل القصة فى البرنامج بحديث القائد عن السادات والنميرى ولا علاقة البرنامج أصلاً بالأحداث الجارية من إعدام السادات إلى المسيرات الشعبية فى كل أنحاء الجماهيرية ، غير أن كونك مواطن عادى . . لاتملك من المؤهلات ما يجعل صوتك مسموعاً لدى المسؤولين وكذلك كونك إنسان عادى لا يملك « فيديو » ولا (انتينة عالمية) . . وليس أمامك سوى إذاعة لندن ونشراتها المزورة ، كل ذلك يجعلك تضع إحدى يديك على فمك ليصمت والأخرى على قلبك حتى لا يصاب بالسكتة القلبية من هول الخوارق التى

(*) نشر بجريدة الطالب عدد (   ) 25 - 10 - 1981 م .

تتحف بها المرئية أعزاءها المشاهدين ، والذين هم فى الحقيقة لا أعزاؤها ولا يحزنون ،وكل ما هناك أن المسؤولين فيها يضحكون على ذقون أمثالك من الكادحين « صكصك » ظنا منهم أنكم لا تستطيعون التفريق بين ما هو هزيل وبين ما هو جيد وإنكم على سبيل المثال لا الحصر لا تدرون فرقاً جوهرياً بين « مقالب غوار » وبين « كأسك يا وطن » وتتساوى لديكم أدوار الممثلين فى مسلسل « الغريبة » بأدوارهم فى مسلسل « تل الفخار » . . وأخيراً وبالتالى أنكم لن تستطيعوا (بعد هذه المقاطعة الطويلة للفن المصرى) أن تتعرفوا على وجوه أم كلثوم ، محمد عبد الوهاب ، صباح ، وفايدة كامل ، الذين عرضهم التلفزيون الليبى الكريم ضمن حملته الإنفتاحية على الأشرطة (البائدة) للمذكورين أعلاه بعد أن أعطاهم حادث موت السادات الدافع الذى طالما انتظروه ليكون الأذن الشرعى لتقديم التسجيلات المحفوظة فى الإذاعة والتى علاها الصدأ والعنكبوت من طول الانتظار ، مما يدفع للاعتقاد بأنه ليس من الغريب أن يعرض التلفزيون الليبى فى القريب أشرطة عمر الشريف القديمة المحفوظة لديه باعتبار أنه يجب مراعاة العدالة فى معاملة المنفتحين من الفنانين المصريين وراء السادات . .

وبما أنك وكما قلت سابقاً مجرد مواطن ، لاتملك غير كلمة مواطن فقط لتقدم بها نفسك ، وربما تذكرت أنك من أصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة باعتبارك كادحاً وفقيراً، وبما أنك لا تملك «كتيف» عتد أحد المسؤولين فى قسم «التخريب» عفواً التنسيق المرئى، ولا تعرف أحداً فى اللجنة الإدارية للإعلام الثورى جداً ، ولست من الذين يظهرون مع الأخ القائد فى كل تنقلاته حتى يخافك من لا يخاف إلا من هؤلاء ، بما أنك لا تعرف أحداً ممن يستطيعون أن يتكلموا ولست فى نفس الوقت معروفاً من أحد من الذين يسمعون للذين يتكلمون ، إذا فأنت لا تستطيع أن تقول للتلفزيون الليبى أن (يتحشم على وجهه) ولو قليلاً ، لأنه لو كانت ذاكرته ضعيفة إلى هذا الحد، فإن عليه أن لا يعتقد أن الآخرين مثله . . فذاكرة الجماهير ما زالت قوية ، وهى لا تستطيع أن تنسى حتى

بعد إعدام السادات أن هناك الكثير من الخونة ممن باركوا خطوات السادات الاستسلامية فباركهم السادات بكرمه وعطاياه الثمينـة ، وأولهم (إن نسى التلفزيون الليبى) محمد عبد الوهاب الذى قدم كقائد للفرقة الموسيقية فى نشيد وطنى الأكبر . . هذا المحمد عبـد الوهـاب هو عينـه الذى منحـه السادات رتبة لواء بعد أن عزف له نشيد السلام عند عودته من فلسطين المحتلة ، كذلك فإن ذاكرة الجماهير لا تنسى أن تذكر التلفزيون الليبى أن فايدة كامل هى ذاتها عضو ما يسمى بمجلس الشعب المصرى وزوجـة نبوى إسماعيل وزير الداخلية ، وأما عن العجوز صباح فحدث ولا حرج فصاحبة « أكلك منين يا بطة » هى نفسها التى قدمها التلفزيون فى نشيد وطنى الأكبر وهى نفسهـا صاحبـة الموقف المشين مـع أحد الصهـاينة فى التلفـزيون الفرنسى . .

فإذا كانت ذاكرة التلفزيون الليبى قد نسيت هذا كله فإن الذى لم تنسه الجماهير هو أن قرار مقاطعة هؤلاء المنافقين ما زال سـاريا لأنهـا (أى الجماهير) لم تصف حسابها بعد معهم . . قلنا بمـا أنك مجـرد مواطن عادى . . فإنك لن تستطيع أن تفعل شيئاً أمام خوارق التلفزيون ، ولكنك تحس بالحماس لدعوات صحيفة الجماهيرية والزحف الأخضر المتكـررة لاتخاذ أسلوب إعلامى جديد . . ثورى وناضج . . ولا يعامل الجماهير على أنها مغفلة لا تفهم . . وتشعر بالحيوية تـدب فى جسدك وأنت تقرأ الحلول البديلة للوضع الإعلامى الحالى الهزيل جداً ، وتتساءل مندهشاً عن سبب مرور هذه الحلول الجيدة مر الكرام دون أن يتوقف عندها القادرون على إحداث التغيير ، وعندما تحاول تحليل الأمر فى ذهنك يطل عليك وجه مذيع يستعرض عضلاته البيانية ليفلسف سقوط السادات . . وتدرك حينها سبب عجز التلفزيون الليبى عن تحقيق الالتحام بينه وبين الجماهير وتزداد اقتناعاً حين يغنى للفاتح أحد مطربى مقاهى بيروت سابقاً وباريس حالياً ، ثم تعرف بدون عناء ولا عظيم ذكاء لماذا تصادر أغانى مرسيل خليفة وعدلى فخرى وفرقة جيل جلاله وناس الغيوان ولماذا لم يقدم التلفزيون الليبى لحظة سقوط السادات أشعار أحمد فؤاد نجم ولا أغانى الشيخ إمام ، بدلاً

من تقديم الوجوه العميلة الكالحة التى بات سقوطها وشيكاً بفعل الوعى الجماهيرى، تعرف أنت المواطن العادى.. البسيط.. بوعيك الذى رفعه مجىء الفاتح وأحاديث الأخ القائد تعرف ببساطة أن الأشياء فى التلفزيون الليبى وفى الراديو الليبى لم تتغير منذ أن كان المذيع يقول (هنا إذاعة المملكة الليبية) حتى صار يقول هذه إذاعة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، لكنك فى نهاية هذه (الدوشة) كلها تحمد الله على عدة أشياء أولاها أنك مواطن عادى لا يعرفك أحد فى الإذاعتين حتى لا يخصصوا لك برنامجاً هجومياً على حياتك الشخصية بدلاً من التعرف على مواطن الأخطاء ومعالجتها.. وثانيها أن هناك آلافاً من المواطنين العاديين أمثالك والذين يحسون بنفس ما تحس به وفى هذا ما يطمئنك إلا أن ساعة التلفزيون الليبى آتية ما فى ذلك شك.. ويومها لن تمنع الواسطة الجماهير من الوصول إلى كل المفسدين فى أهم وأخطر جهاز إعلامى.

— 2 —

عندما سمعت أنت كمواطن ليبى أخبار موت السادات فتحت فمك مندهشاً وكأن الخبر كان أكبر من أن يسعه عالم فرحك ولم يهدأ نقاشك مع أصدقائك حتى عدت إلى البيت لتفتح إذاعة لندن وتستمع إلى أخبارها بحكم تعودك على تصديق كل ما تقوله، ويصيبك ضيق شديد، عندما تسمع فى القسم العربى لهيئة الإذاعة البريطانية أن السادات لم يمت بل إن إصابته لاتتعدى جروحاً فى يديه وذراعيه، فتلعن أنت السادات والشيطان وتضرب إبنك الصغير لكى يسكت ثم إنك بعد فترة انتظار طويلة ومملة تتأكد تماماً من أن السادات قد مات فعلاً وتقول لزوجتك وابتسامة فخر على شفتيك (أهم الرجالة صحيح) ثم إن الفضول لتسقط الأخبار يدفعك للاستماع إلى أى إذاعة تتحدث بالعربية، ولكنك تشعر بالغضب عندما تحاول فى ذهنك المقارنة بين ردود الفعل فى الدول العربية، لأنك تجد أنه بينما تكاد إذاعة الوطن العربى تنفجر حماساً، توجد إذاعات أخرى لم

يؤثر نبأ موت السادات على خطة برامجها المعتادة إلا بمقدار جعله الخبر الرئيسى فى نشراتها الإخبارية ، وحتى فى هذه فهى تقدمه كخبر عادى لا يجب أن تعرف الشعوب العربية تفاصيله ففى ذلك خطر عليها ، لأن الشعوب العربية من محيطها إلى خليجها تكره السادات كفرد وكفكرة وكظاهرة ، ولكنها لا تستطيع التعبير عن آرائها بحرية ، لذا فإن ردود فعلها عن الحادث تبقى حديث قمقم الأنظمة التى هى استمرارية للسادات ولكن فى الخفاء . . وتشعر أنت بغضب أشد حين تستمع إلى ردود فعل الأنظمة نفسها ، والتى جاءت أغلبها بطريقة سخيفة تدعو للرثاء ، وحتى الذين كنت تظن أن فيهم بعض الأمل فاجأوك بقولهم أنهم بالرغم من مخالفتهم لنهج السادات إلا أنهم لا يعتبرون العنف الطريق الصحيح للتغيير . . وتبتسم أنت ساخراً ، هل كان ينتظر هؤلاء إذاً من السادات أن يعود بنفسه عن مبادرة السلام المزيف ؟؟أم أنهم كانوا ينتظرون أن يحكم السادات حتى أخر حياته ثم يموت كما يموت بقية خلق الله فيتغير الوضع بعد ذلك ؟؟ . . هل كانوا ينتظرون حقاً ذلك وهم الأعرف بخط السادات النازل دوماً نحو الاستسلام الكامل؟ تزداد ابتسامتك الساخرة اتساعاً حين يتضح لك عبر الإذاعات العربية إلى أى مدى وصل الغباء ببعض الأنظمة العربية وتذكر وسط زحام أفكارك أن الحسنة الوحيدة للسادات أنه كان دائماً يكشف عن نفسه وأن كل مواقفه كانت معروفة لأنه لم يحاول العمل فى الخفاء ، ولهذا استطاع الشعب إزاحته من الطريق ، وتذكر أن المعركة الصعبة حقيقة هى معركة الشعوب مع الساداتيين الآخرين المتخفين فى اشكال مختلفة وتحت أسماء عديدة . . وتسأل نفسك بهدوء ! هل تنتظر الشعوب العربية حدوث معجزة تخلصها من هذه العوائق التى تحول بينها وبين أحلامها وطموحاتها؟؟ أم تخرج من قلب الوطن العربى المعلب بالصمت والموت والانحناء الجماهير التى تنشد بقوة وبدون خوف.

الخوف عار

الصمت عار

فنحن عشاق النهار

أما حفرنا ثغرة . . أو متنا فى جنب الجدار . . (*) .

(*) مقطع من أغنية الفنان جابر على .

بين الحياد والانحياز(*)

« على الليبيين أن يرتفعوا بوعيهم إلى خطورة المرحلة التى نعيشها »

«قائد الثورة»

• الحديث عن الحياد والانحياز حديث متعدد الجوانب يثير الكثير من الأسئلة المتشابكة مثل: ما معنى الحياد؟ وما هى الأشياء التى تترتب على إتخاذ أى دولة مبدأ الحياد فى حالة إعلان الحرب؟ وما موقف الدول المتحاربة منها؟ كذلك تساؤلات عديدة عن معنى الانحياز؟ وهل يعنى الانحياز الخضوع على اعتبار أن انحياز دولة ما صغيرة إلى دولة قوية أو معسكر قوى معناه هذا أن تلك الدولة بحاجة إلى مساعدة هذا الجانب الذى إنحازت إليه لتأمين سلامتها؟ وهل يصل الانحياز الكامل إلى درجة العمالة وجعل أرض الدولة المنحازة مسرحاً لقواعد وجيوش المعسكر الذى انحازت إليه؟ وما هى الضرورات التى تفرض الانحياز؟..

إن الجواب عن الأسئلة يتطلب تحديداً واضحاً لمفهوم كل من المصطلحين بحيث لا يحتمل هذا التحديد أية مغالطات جانبية ولا تفسيرات خاطئة وذلك لخطورة الموضوع ولأنه ينبغى فهمه الفهم الصحيح من جميع زواياه حتى يستطيع الشعب العربى الليبى اتخاذ قراراته المتعلقة بهذا الأمر

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد (   ) 13 - 9 - 1981 م .

من خلال مؤتمراته الشعبية فى جو واضح من الفهم والاقتناع . . لأن هذا الموضوع متشابك ويحتاج إلى وعى مرتفع وهو ما ينبغى أن يتوفر عند الجماهير لفهم جوانبه ، فإنه وإلى هذه اللحظة يعتبر مدخلاً سهلاً للمشككين «لأعزائنا من اليمين الليبى» الذى سيجدها فرصة طيبة لزرع بذور الشك فى عقول البسطاء والسذج الذين يقبلون الأمور كما هى دون مناقشة ولا جدال.

● كمصطلحات سياسية فإن هناك نوعين من الحياد. . حياد سلبى وتتخلى فيه الدولة التى تتخذه عن القيام بأى دور خارج حدود بلادها أى أنها لا تتدخل فى سياسة أى دولة أخرى فهى تترك العالم وشأنه . . لا تؤيد ولا تساند ولا تعادى أحداً وكل صلاحياتها تستخدمها بما لا يتعدى حدودها . . وهذا المبدأ أثبت فشله الذريع فى كل الدول التى تطبقه وأثبت عقمة لأن هناك من الأمور ما لا تستطيع أى دولة كانت التعامل معه بالصمت وهناك من المواقف فى السياسة الدولية ما يتطلب تحديد موقف صريح. وواضح لا يتحمل التردد ولا التزام الحياد السلبى خاصة فى حالات الحرب والتاريخ يقدم أدلته على عقم التزام المبدأ ، فالدول التى التزمت الحياد فى الحرب هى الدول التى بلغت الخسارة فيها مداها رغم أنها لم تشترك فى الحرب مع أى من الجانبين المتصارعين ، غير أن حيادها هو الذى أوقعها فريسة لكلا الفريقين ، وبدلاً من أن تعيش الدول المحايدة فى سلام صارت معبراً للفرق المتصارعة وانتهاك وسلب كل شىء فيها وصارت ملكاً مشاعاً للجميع . .

وهناك النوع الآخر من الحياد وهو الحياد الإيجابى وهو الذى التزمت به الجماهير منذ تفجر ثورة الفاتح العظيمة 1969 م وهو يعنى الوقوف بعيداً عن القوى الكبرى المتصارعة وعدم التدخل فى سياسات الدول الأخرى مع اتخاذ مواقف واضحة من الأحداث السياسية المختلفة وهو فى كل الأحوال يعتبر تطوراً أرقى بقليل من الحياد السلبى ولكن وكما اثبتت الأحداث فإن الاحتفاظ بالحياد الإيجابى عندما تبلغ تطورات الأحداث منعطفاً خطيراً وحاداً

يصبح أمراً صعباً للغاية ومرتبطاً بنتائج الأحداث ولمدى تقدير كل جانب لقوته ووزنه مما تترتب عليه أن يلجأ الطرف الأضعف إلى معسكر قوى ومعاد للخصم حتى يستطيع أن يضمن إما انتهاء الصراع لأن الأمر سيصبح مواجهة بين قوتين متماثلتين فينتهى الأمر بعودة الأمور إلى مجراها وإما الصدام .. وحينها سيضمن الجانب الضعيف وقوف المعسكر القوى الذى انحاز إليه خلفه ومساعدته ومساندته مما يؤدى بالطبع إلى صراع مدمر ينتهى غالباً بكارثة عالمية ..

● إذا فالانحياز فى كثير من الأحيان تفرضه ضرورات لا يمكن مواجهتها إلا بالانحياز..

وكذلك فإن الانحياز بالنسبة للدول التى تحتفظ بمواقف وبمبادىء ثابتة لا تتغير لا يعنى أبداً الخضوع وهذا يعنى أن الدعم الذى يقدمه الجانب القوى دعم غير مشروط .. ولا يتطلب أى تغيير فى مبادىء والتزامات الجانب الأضعف، وإن كان هذا أمراً صعباً أمام كثير من الدول فإنه لا يبدو أبداً صعباً امام الجماهيرية والتى تفرض عليها خطورة المرحلة التى تعيشها الآن أن تكون مستعدة فى أية لحظة لأن تضع أمر الحياد فى الميزان وأن تعيد النظر فيه وأن يتخذ الشعب الليبى القرار الذى يراه مناسباً واضعاً نصب عينيه أن هزيمة العدو الذى لا يريد للجماهيرية أن تبقى دولة محايدة هو أهم من الحياد .. لأن القضية ستكون باختصار قضية وجود أو لا وجود .

● عرفت الجماهيرية دائماً بمواقفها الصريحة والواضحة وهذا ما يجعلها فى بؤرة نظر القوى الاستعمارية والإمبريالية العالمية وأن معمر القذافى معروف فى كل مكان بأنه يجرؤ (وبعفويته البدوية) على أن يقول كل ما يريد قوله ـ وهو ما لايستطيعه الآخرون ـ دون أن يخشى شيئاً .. وهذا ما جعل أمريكا التى تعتبر أنه من العصيان تحديد أى قائد أو زعيم أو رئيس لموقف ثابت يقتنع به ويتمشى عليه حتى ولو كان معارضاً لما تريده

هذا ما جعلها تصنف القذافى على أنه الرجل الأكثر خطورة فى العالم وعلى أنه العدو رقم 1 لمصالح أمريكا وأطماعها ولسياسة الهيمنة الاستعمارية التى لا تتردد لحظة فى استخدامها ضد الشعوب الصغيرة ، محطمة كل القوانين الدولية متصرفة بعقلية أبطال (أفلام الكاوبوى) فى دور خيالتـه .. معلنة العداء لكل من يتحداها بجرأة ويعلن أنها بحاجة إلى صفعة قوية على وجهها ..

● فى عموم القول فإن الشعب الليبى كغيرة من شعوب هذه الأرض شعب يحب السلام القائم على الاحترام المتبادل .. ولا يحب الحرب لمجرد الرغبة فى إرضاء عاطفة تدعى حب السيطرة والتسلط والهيمنة.. ولكنه أيضاً لا يغير من موافقة وإذا ما جاءته الحرب وقف لها متناسياً ما ستكون نتيجتها ومدركاً أنه من الخير أن يموت كل أفراده فى موقف دفاعى عن حقوقه من أن يستسلم بخنوع لإرادة أعدائه.. ولكى يكون الموقف حاسماً ولكى ندلل على أن الشعب الليبى لا يرغب فى معاداة أحد ولا يبحث عن الحرب مع أحد، فإنه يكفى أن نسأل! لماذا مثلاً لم نتخذ موقفاً عدائياً مع أية دولة أخرى قوية عدا أمريكا.. لتكن اليابان أو بـريطانيـا أو ألمانيـا الغربية؟.. والجواب بكل بساطة: لأنها لم تحاول استفزازنا.. لم تستعرض عضلاتها أمام شواطئنا.. لم تحاول مرة أن تدخل مياهنا الإقليمية ولا أن تشتبك مع قواتنا.. لم تهدد فى يوم من الأيام وجودنا ولم تبد أى رغبة فى محاصرتنا اقتصادياً ولا سياسياً ولا وضعت خططاً عظيمة لاغتيال قائدنا ولا خططاً أعظم للهجوم علينا ولم تتحالف مع العملاء للتحرش بنا..

لم تفعل شيئاً من ذلك فبقينا على احترامنا لها ولم نحاول نحن أيضاً أن نظهر لها أى شعور بالعداء لأنه لا مبرر لذلك.. ولكن الذى فعل كل ما سبق ولم يخجل من فشله المستمر سـواء على الجبهات الداخلية أم الخارجية ولم تتوقف لحظة عقوله المبدعة عـن إخراج آخر المسرحيات الهزلية.. علماً منه بأننا طرف محايد ليست لنا أى ارتباطات أو تحالفات أو معاهدات عسكرية ، وبأننا أقل بكثير منه حيث القوة العسكرية والمادية والبشرية.. هذا

العدو الصفيق ينبغى له أن يقف يوماً متردداً عندما يرى أن الأمر قد تطور كثيراً وخرج عن نطاق إرهاصات، الكاوبوى، وإننا لسنا وحدنا فى المعركة وإن بجانبنا من تحسب له أمريكا ألف حساب قبل الإقدام على أية حماقة جديدة من حماقاتها المعروفة. .

وحتى يتحقق فعلاً وقوف أمريكا فى حيرة من أمرها وإعادتها للنظر فى كل حساباتها القديمة والآتية. . حتى يتحقق ذلك على اللجان الثورية أن تقوم بدورها بالارتفاع بمستوى وعى الجماهير إلى الحد المطلوب وأن تقوم بترشيد المؤتمرات الشعبية فى دورات انعقادها القادمة لتتخذ القرار الصحيح والمناسب .

هيا اخجلوا من أنفسكم(*)

البطاقة الأولى:

الإسم : سرحان بشارة سرحان

الجنسية : عربى / فلسطينى .

تاريخ الميلاد : 1942

محل الإقامة : سجن سوليراد/ ولاية كاليفورنيا/ الولايات المتحدة الأمريكية .

دليل الانتماء للوطن : اغتيال روبرت كنيدى 5 يونيو سنة 1968 م وأربعة عشر عاماً من السجن المؤبد وعشق لم تستطع جدران السجن الرطبة اغتياله من أعماقه . .

ـ سرحان: هل أنت قاتل؟[1] . . / وسرحان كان يقيس الزمان بأغلاله . . ولم يشك يوماً لحراس سجنه ضيق الزنزانة وهواءها الفاسد . . لأن ذاكرته ظلت عابقة بروائح برتقال حيفا وبصور جميلة للوطن . . وطوال أربعة عشر عاماً لم يألف سرحان الابتعاد عن الوطن ولم تألفه جدران زنزانته . . وظل طوال الوقت يرسم تفاصيل عشقه للوطن ويبوح بحبه وبأوجاعه لأوراق مذكراته اليومية . . وكان أحياناً يختصر المسافة فى خياله

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد (   ) 18 - 6 - 1982 .

(1) من قصيدة « سرحان يشرب القهوة فى الكافتريا » لمحمود درويش .

بين الوطن وبين الحلم فيقول بهدوء وحزن « كل ما أريده هو أن أعود إلى الوطن العربى . . وأن أذوب فى مجموع جماهيره » . . فأى أمنية صعبة يا سرحان ؟؟

رسالتان ومشروع قرار :

ولماذا تعود يا سرحان؟ . . وهل يمكنـك أن تقدر فى ذاكـرتك الخصبة كم نكسة أصابت العرب منذ الذكرى الأولى للنكسة 5 يونيو سنة 1968 م (تاريخ مولدك وسجنك) . . ؟ أوه يا سرحان أشياء كثيرة حدثت . . فنحن قتلنا عبد الناصر . . وهزمنا أنفسنا فى الـ 73 م . . وقامت إسرائيل بزيارة مصر وشرب أعضاء الكنيست من ماء النيل فأقسموا أن يقيموا بجواره وافتتحـوا سفـارتهم فى القـاهـرة وصـدروا للمصـريين البيض والجبن والمشروبات الإسرائيلية واستوردوا من النظام الحاكم فى مصر كرامته وماء وجهه . . وسلمت سيناء نفسها إلى آمريها . . وضم جنوب لبنان نفسه إلى « إسرائيل » لأن تطلعاته لا تسعها مساحة لبنان الصغيرة . . فاستقبله الصهاينة بالأشواق الموقوتة ودموع الفرحة الحارقة . . وأخطأ صدام التصويب فضرب إيران بدلاً من إسرائيل فارتدت عليه رصاصاته الخاطئة وهزت عرشه وأطفأت ناره المجوسية . . ودعنى أتنفس قليلاً يا سرحان فالأحزان كثيرة وذاكرتى أضعف من أن تحفظ كـل التـواريـخ المعـاديـة . . والسؤال فى داخلى يحترق . . . ولمن تعود يا سرحان . . للوطن المحاصر . . . أم للمواطن المقهور . . . ؟؟

ـ سرحان : قل أنت قاتل؟ . . وتضع سلطات السجن في كاليفورنيا حـديثاً أدلى بـه سـرحـان عـام 1980 م قـال فيـه «إن روبـرت كينـدى كـان مذنبـاً بتهمة اغتيـال العـرب لتـأييـده الـدعم العسكـرى الأمـريكى لإسرائيل » . . وقبل سرحان قال أحد الكتاب اليهود . . « إن كيندى أكثر يهودية من أى حاخام » . . وفى كراسة مذكرات سرحان كلمات تقول « إن من حق أى شعب يشعر أنه مهدد بسبب سياسات المسؤولين الأمريكيين أن يستخدم كل ما لديه من أساليب الدفاع عن نفسه » . . وسرحان استخدم

وسيلة واحدة دافع بها عن وطنه . . لكن أبناء هذا الوطن عاقون . . تقول ذاكرة الأيام . . لم يتذكروا سرحان . . ولا حتى بورقة احتجاج أو تنديد . . وسرحان فى سجنه يشعر بالحزن والألم . .

فسلطات السجون فى كاليفورنيا أعلنت أنها تلقت (3961) رسالة تحمل توقيعات 8127 « مواطناً غاضباً » عن مجرد ظهور فكرة الإفراج عن سرحان فى عام 1984 م . . وسرحان لم يتلق حتى رسالة واحدة بإمضاء عربى تخفف عنه رطوبة جدران الزنزانة وهواءها الفاسد !! .

ـ يسكت سرحان . . يشرب قهوته ويضيع .

ويرسم خارطة لا حدود لها . . ويقيس الحقول بأغلاله . .

ـ هل قتلت؟

وسرحان لا يتكلم . . يرسم صورة قاتله من جديد ، يمزقها ، ثم يقتلها حين تأخذ شكلاً أخيراً .

البطاقة الثانية:

الإسم : زياد أبو عين .
الجنسية : عربى / فلسطينى
تاريخ الميلاد . . . .
محل الإقامة : أحد سجون الأرض المحتلة .

دليل الانتماء للوطن : متهم بكتابة شعارات معادية للصهيونية وتنظيم المظاهرات وبسبب ذلك سجن فى 77/11/4 م ووضع فى زنزانة خاصة ثم أطلق سراحه وحين سافر لزيارة شقيقته بأمريكا ألقى القبض عليه ، وفى 79/12/18 م صدر قرار الموافقة على تسليمه إلى الصهاينة وتم بالفعل تسليمه ويومها ماتت الأسئلة فوق شفاه الأطفال وهاجرت بعض العصافير باتجاه فلسطين لتضم صوتها إلى صوت زياد . . ولتبصق على هذا الزمن الردىء . .

ودعنى أقول لك يا زياد أن حادثة تسليمك للصهاينة كانت مادة خصبة ومشروعاً استثمارياً نجحنا فى استغلاله حتى آخر لحظة ودبجنا عنه الكثير من البكائيات والمراثى والمقالات الملتهبة والباردة .. ولكن هذا لم يمنع أمريكا من تسليمك .. ولم يمنع الأعداء من استلامك .. ولم يمنع عصافير الجليل من الانتحار .. ولم يمنع الأعداء من البدء فى تعذيبك وإجبارك على الاعتراف بما فعلت وبما لم تفعل .. لم تستطع مقالاتنا وقصائدنا أن تفعل لأجلك شيئاً .. تماماً مثلما لم تستطع احتجاجات السفراء العرب واستنكاراتهم فى الأمم المتحدة أن تغير من الأمر شيئاً .. وقد تمت الصفقة وتوجر بك فى وضح النهار .. فبكى من بكى .. وضحك من المأساة من ضحك .. ثم بدأ الجميع ـ كالمعتاد ـ فى نسيان ما حدث ـ فلا تحزن يا زياد وحاول أن تنسى أنك قلت يوماً قبل أن تتسلمك أيدى الأعداء .. « تعلموا درساً من قضية زياد أبو عين .. فقد نكون لا نزال دولاً متخلفة لكن يجب أن يعلمنا التاريخ كيف يجب أن نتصرف وهذا هو زياد أبو عين يمثل الدرس الألف أو ربما الأكثر من الألف الذى لقنتنا إياه إسرائيل طوال السنوات الثلاثين الماضية » .. حاول يا زياد أن تنسى ما قلته لأن العرب لم يفهموا رسالتك وحتى لو استطاعوا غداً فهمها فإن الوقت قد تأخر .. تأخر جداً يا زياد .

إلى زياد وسرحان :

إنى أتأهب للصراخ
على حافة الحقيقة
كما يتأهب البركان
للانفجار
وهذا زمن ردىء جداً
وإنّا من أنفسنا لنخجـل [1]

---

(1) من قصيدة « مزامير » لمحمود درويش .

موت امرأة(*)

لا أرثيك ولا أبكيك يا هذا الوطن الوجع . . وأترك لهواة الفن الردىء أن يرسموك تفاصيل بدون وجه . . أو وجهاً بتفاصيل مرهقة . . أن يرسموك جروحاً منتشرة أو جثة وخناجر . . أن يرسموك لوحة بدون إطار أو إطاراً محطماً للوحة رديئة لفنانين سيئى السمعة . . اترك لهم أن يرسموك واعلم أن من يحترف يبدأ فى فقدان ذاكرته ، وإن المبتدىء يمل من تكرار الوجوه والضجر والخرائط المشوهة . . أعلم وأود أن أحدثكم عن كتب درسناها منذ الصغر ولا زلنا نجتر ما قرأناه فيها . . أود أن أحدثكم عن الذى حدثونا عنه ولم يحدث وعن الذى زيفوه ولم نصدقه . . عن الوطن الواحد وعن الخارطة المنمقة التى يحضرها الأستاذ معه كلما دخل الفصل/ المدرج وعن قصصه المستهلكة . . « ويمتاز الوطن العربى بأن موارده متكاملة وأنه يستطيع الاستغناء عن الاستيراد من الخارج لأن هناك إمكانية لقيام تكامل اقتصادى بين دوله » !! . .

وعلمونا أيضاً أن الوطن العربى ينتج الحبوب والفواكة وينتج الزيتون والتمور بكثرة . . وإنه ينتج النفط بمقدار رهيب . . ولكنهم لم يقولوا لنا أنه ينتج الفقراء بكثرة ربما أكثر من إنتاج الزيتون والنفط والتمور . . وإنه وكما ينتج القليل من النباتات السامة فإنه ينتج أيضاً نوعاً فريداً من الأمراء

(*) نشر بجريدة الجماهيرية عدد (   ) 26 - 2 - 82.

والأغنياء والحكام . . وقد سألت الأستاذ مرة بعد أن حاولت أن أعقد مقارنة فى ذهنى عما إذا كان الحكام القلة يفكرون باستثمار الفقراء كمورد من موارد ثروة هذا الوطن المعطاء ؟ ولكن الأستاذ كان يقيد عنقه بربطة عنق فاخرة فى منتصفها يلمع دبوس ذهبى لم أستطع تقدير ثمنه لقلة خبرتى بهذه الأشياء البعيدة عن تناولى . . ويبدو أن رباط العنق مثلما كان يقيد عنق الأستاذ فإن تأثيره امتد إلى عقله أيضاً لأنه نظر إلى نظرة دهشة واستنكار ولا بد أنه اعتقد أننى مجنونة . . لكننى أجزم بأننى صنفته ضمن مخلفات عصر النفط والقحط . . غزارة فى الغباء وقحطاً فى الوعى والانتماء . .

لا أرثيك ولا أبكيك يا هذا الوطن الوجع وسأترك لهواة البكائيات أن يرثوك فى معلقات تكتب هذه المرة بالنفط العربى وتعلق فوق البيت الأبيض . . حتى يكون هناك تناسق بين اللون الأسود والأبيض أو تعلق فوق مبنى الأمم المتحدة . . أو لا تعلق على الإطلاق . . وهذا شأنهم . . وسأترك لهم أن يبكوك فى قصائد مدح أنيقة تليق بمقام الوطن الأكبر . . ثم ينشروا هذه القصائد فى دواوين فاخرة ولا يتنازلون عما تحققه من أرباح لصالح أبطال قصائدهم . . بعض الضحايا المتاجرة بآلامها وآمالها . . أترك لهم ذلك وبى رغبة لكشف تاريخ وقائمة حساب وضحايا . . تاريخ مزورة وقائعه منسوفة حقائقه . . تأتى فيه الجماهير فى أسفل قائمة صانعى تاريخ الوطن وفى الأعلى تقام طقوس وثنية لعبادة بعض من خانوا خفية وارتدوا ثياب البطل وراهنوا على الجواد الرابح . . وعما أحدثكم أيضاً وأحدث الوطن ؟؟ عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم . . وعن علاقات المودة بين الغنى والفقير . . والفقير يحمد الله على هذه النعمة ولا يرفع عينيه إلى الغنى منعاً للحسد وتطبيقاً لحكمة كنز لا يفنى . . ولكن أحداً لم يقل أن الفقير يستغنى وإن مال الغنى يرثه من بعده أبناؤه . .

وعما أحدثكم أيضاً وأحدث الوطن ؟ . . عن الذين يزايدون على قضايا الوطن . . وهم لا يحسون به ، عن الذين لا يعرفون المأساة إلا حين تمسهم . . عن شاعر (من إياهم) خدر العقول وأفقدها الوعى وغيبها عن الوطن . . وتغزل فى المرأة بحجة أن المرأة هى الوطن وهى الأرض برغم

أنه لا وجه للمقارنة بين المرأة والجسد الرخيص المبتذل فى قصائده وبين الأرض الحب والأمان والنقاء . . عن شاعر كتب مئات القصائد المنمقة ذات الوقع الموسيقى عن المرأة العطر . . الفستان .؟ وباع ما كتب وأسس داراً لمنشوراته وكدس فى البنوك ثمن ما كتب ولم يشعر أن هناك وطناً . . وإن هناك مأساة فى هذا الوطن إلا عندما قتلت زوجته . . حينها وللمرة الأولى . . علم الشاعر أن هناك شيئاً اسمه خريطة الموت المرسومة بدقة للعرب الحكام الأغبياء القلة منهم وللفقراء الانتماء الكثرة أيضاً . . هنا فقط عرف الشاعر معنى أن يموت المرء مقتولاً وفى حادثة نسف أيضاً . . هذا الشاعر لم يسمع آلاف الأطفال القتلى فى فلسطين ولبنان وعن المشردين واللاجئين منهم . . ولم يسمع شيئاً اسمه قهر سياسى ولا كبت حريات إلا عندما تمنع بعض أشعاره السخيفة من التداول فى بعض الأقطار العربية . . هو لا يعرف أن هناك محاصرة للإنسان فى كل مكان . . وبالتأكيد فهو لم يستمع يوماً إلى مرسيل خليفة عندما غنى « وقفونى عالحدود » لأنه ليس من هواة (الترف) الفكرى . . هو لم ولا يعرف شيئاً مما سبق لأن ذلك لا يدخل فى نطاق اهتماماته واهتمامات صديقاته الراشدات منهن واللائى لم يبلغن سن الرشد بعد . . هذا الشاعر لم يعرف شيئاً عن الوطن وعن المآثر الحميدة التى تميزه إلا عندما أصبح الأمر « قضية شخصية » والأهم فيها أنها لا تحل باستخدام « الواسطة » . . وبرغم كل ذلك نجد مجلتين من مجلات هذا الوطن « المعطاء » تتكرمان بنشر قصيدة « نزار قبانى » (12 صفحة) فى رثاء زوجته كأهم خبر واجهته الأمة العربية على مدار الأسبوع الذى قتلت فيه بلقيس زوجة نزار . . وتتضامن المجلتان بكل ما تشكلانه من ثقل مع مأساة الشاعر وتعتبران القضية من مآسى هذا الوطن ودليلاً واضحاً على تخلفه . . ومن وصمات العار المنطبعة على جبينه الدامى . . ولا تنسى مجلة تقدمية (جداً) « كالمستقبل » . . لا تهمها كما تدعى مسألة الربح والخسارة بقدر ما يهمها تقديم الأفضل للقارىء العربى . . لاتنس أن تذكر فى صفحتها الأولى (أن هذا العدد قد طبع منه 104225) كمزيد من التأكيد من التأكيد على غياب وعى أبناء الشعب العربى الذين اشتروا هذا العدد من

« المستقبل » لمجرد أنه يحمل صورة نزار والمرحومة بلقيس على غلافه الخارجى . . .

آه أيها الوطن الوجع كم يحملونك من أخطائهم . . وكم يغرقوننا فى سخافاتهم . . لا أحد يسخر من آلام الناس . . لا أحد يسخر من إنسان قتلت زوجته . . لا أحد يفعل ذلك . . ما لم يكن هذا الإنسان شاعراً كنزار . . وما لم يكن التضامن معه فى الحزن بحجم (12 صفحة) فى المستقبل ومثلها فى مرآة الأمة . . والبقية تأتى . . إنهم يستغلون جراحك أيها الوطن أبشع استغلال . . ويختارون منها ما يعود عليهم وعلى حساباتهم الجارية بأكبر عائد . . ولا يخجلون من صمتهم وعدم حديثهم عن المشردين والمقهورين وعن الفقراء وعمن يقابلهم من خونة وأغنياء ومستغلين . . لا يخجلون من الأطفال والموت والحرائق والرعب لأنها مواضيع لا تحقق دخلاً . . ولا يقرأها المترفون وربما لو حاولوا أن يقفوا (وهم بالتأكيد لن يفعلوا) موقفاً شجاعاً مرة واحدة فى تاريخهم لأعلنوا إفلاسهم لأنهم لا يعلمون أن الحرف الصادق رصاصة وإن الكلمات الحقيقية ترفع التغييب وتعالج التخذير ولهذا فهى مصادرة على حدود أجزاء هذا الوطن المنتشرة كبقع فى بقايا ثوب . .

هذا الشاعر ومعه تجار الكلمات لا يعرفون وجع الوطن إلا فى المناسبات وخاصة عندما تهزهم صدمات قوية . . . . على المستوى الشخصى غالباً . . وهؤلاء لا يقارنون بمن جعلوا الوطن قضيتهم التى لن يخونوها والتصقوا به فالتصق بهم وصار وجعهم اليومى . . ولم يهادنوا ولم ينفصلوا ولا يعرفون كيف يفصلون بين مالهم وبين ما للوطن . . فقضايا الوطن هى قضاياهم وقضاياهم هى قضايا الوطن وليكن هناك ضوء بل أضواء . . فقط لنعرف كيف نميز بين من يتاجرون بالوطن وبين من لا يعرفون وجهاً وأملاً غيره . . .

قراءة من مناهج عميلة(*)

للصديق المشاغب الذى بعث بسطورة المشاغبه إلى صحيفة الجماهيرية العدد «106» والتى نشرت تحت عنوان « هذه المادة مسمومة » . . لهذا الصديق المشاغب أصدقاء كثيرون وأكثر منه شغباً . . ولعلهم من النوع الذى يمارس عمله بهدوء وبدون ضجيج . . فهم ليسوا من النوع الذى يرمى بطاقته الثورية خارج سور المدرسة . . وهم أيضاً لا يتوعدون ولا يهددون المدرسين العرب بنظرات بوليسية من أجل كسب عدد من الدرجات مقابل أقل جهد مبذول فى الدراسة وهم أيضاً ليسوا مصابين بعقدة النرجسية . . فليس منهم من يعشق التطلع إلى ذاته طوال الوقت معجباً بالشريط الأخضر الذى يطوق به معصمة (كفتوات الشوارع) وليس منهم من يتشدق بكلمات سمعها من ثورى متفقه أو فى مكان ما مستخدماً إياها كمادة جيدة للاستهلاك اليومى وكى يمنحه زملاؤه لقب « المثقف » . . لصديق صحيفة الجماهيرية المشاغب أصدقاء أكثر منه شغباً . . لكنهم فى العادة يمارسون قناعاتهم بهدوء ولا يحبون الهالات المزورة من الضجيج والصدى . . ولأختصر الحديث أقول : إن هؤلاء الأصدقاء عندما كانوا طلاباً فى الثانوية العامة رفضوا أن يدرسوا ضمن منهج مادة التربية الدينية بعض الموضوعات العامة والتى تتحدث عن نشأة الحكم وعن نظام الحكم فى الإسلام، وعن العلاقة بين الحاكم والمحكومين وباتفاق مع مدرس المادة الذى احتج أيضاً مع طلبته على وجود هذه النماذج المسمومة فى منهج يدرس لطلاب الثانوية العامة فى وقت تغيرت فيه كل المعطيات . . وما

من المخجل جداً أن توجد هذه النماذج الثقافية الرجعية فى الوقت الذى تطبق فيه سلطة الشعب التى تنسف من الجذور وجود حاكم ومحكومين وبالتالى وكنتيجة طبيعية لهذا الطرح فلن تكون هناك علاقة من أى نوع حتى يتعب مثقفو «وزارة المعارف» أنفسهم لشرح أبعادهـا وتفسير جـوانبها.. وهؤلاء الطلاب ومدرس المادة رفضوا دراسة هذه النماذج وأخرى غيرها .. وتحدى هؤلاء الطلاب بقرارهم هذا ..

* وزارة المعارف (المومياء المحنطة الباقية من العهد البائد).

* إدارة المدرسة ومديرها الذى يرتعد خوفاً من تعليمات الوزارة .

* الامتحانات التقليدية والإرهاب والقمع الممارس فيها .

* الدرجات وشهادة الثانوية العامة والتى لاتثمر إلا عن أنصاف متعلمين وعبيد للمناهج الرجعية التقليدية .. وعبيد أيضاً لسلطة المدرس التقليدى ونظراته البوليسية وعصاته التى لاتخطىء أهدافها ....

هؤلاء الطلاب تحدوا الدوائر السابق ذكرها .. لأن إيمانهم بالثورة يمتد إلى كل زوايا حياتهم .. ولا يختص بجانب دون غيره ولأنهم وصلوا إلى قناعات راسخة بأن كل الدوائر المذكورة أعلاه لن تستطيع أن تقوم بعمل ما جدى ما لم تجد نفسها أمام الأمر الواقع حيث يبدأ الطلاب أنفسهم برفض دراسة المناهج التقليدية العميلة من منطلق أن الطلاب الثوريين لا ولن ينتظروا القرار « الفوقى » ليقوموا بممارسة واجبهم الثورى..

ويقول الأصدقاء المشاغبون للطالب صديق صحيفة الجماهيرية التى تدين المناهج التى طرحها فى مقالة ليست هى وحدها التى تدين المناهج العميلة والمعادية بالفعل لسلطة الشعب بل إن الكثير منها منتشر بين العلوم الإنسانية والدينية التى تدرس لطلبة المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية .. وهناك نماذج أخرى فى كتاب التربية الدينية ـ الطيب الذكر ـ والذى تعرضنا لبعض موضوعاته في أول هذا المقال... ومن هذه النماذج على سبيل المثال بعض

الأحاديث المنسوبة إلى الرسول والتى تحث على طاعة الحاكم (حتى وإن كان عبداً على رأسه زبيبة) ومنها الدعوة إلى قتل كل من يحاول أن يشكك الجماعة فى أمر الحاكم أو السيد المطلق الذى يلتف حوله كل أفراد الجماعة طائعين مسبحين بحمده صباح مساء . . أيضاً من النماذج السيئة موضوع التشريع ودراسة الأئمة والمذاهب فى الإسلام المقررة على طلبة السنة الثانية ثانوى . . وقد تناولت صحيفة الطالب فى عدد سابق نموذجاً عملياً من منهج مادة « علم الاجتماع » المقررة على طلبة السنة الثانية أدبى والذى يقول فيه مؤلفوه (إن وجود ممثلين عن الشعب هو أمر يفرضه المنطق والعقل إذ لا يعقل أن يحكم كل الشعب نفسه بنفسه) . . . وتصوروا وجود مثل هذا النموذج الحضارى جداً فى منهج يفترض أن لجان تثوير المناهج قد وصلت إليه على الأقل بقليل جداً من التثوير .

لكن يبدو أن التغيير لم يمتد إلى أكثر من أغلفة الكتب حيث استبدلت الجمهورية العربية الليبية بالجماهيرية . . . ولم يتعب أعضاء هذه اللجان أنفسهم ليتفقدوا ما تحويه هذه الكتب المسمومة من الداخل من تكريس للعلاقات الظالمة ودحض صريح لسلطة الشعب ومعاداة واضحة لكل ما هو مطروح فى الجماهيرية . . . وتحالف واضح مع أعداء الجماهير الطبيعيين (حكام ، تجار ، مستغلين . . . . إلخ) . . . وإن وجود هذه النماذج المعادية وتدريسها للطلبة هو عملية تآمرية واضحة تمارس علانية وفى وضح النهار لتغريب الطلبة ولتغييب وعيهم ولايقاعهم فى التناقض حيث يبدأ الطلبة فى الخلط وفى محاولات التوفيق ـ التى لن يجدوا إليها سبيلاً بين ماتحشى به عقولهم من مناهج ثقافية تمثل وجهات نظر رجعية وبين ما يطبق حالياً فى الجماهيرية حيث أن طالب المرحلة الإعدادية مثلاً لا يفهم كيف تطرح النظرية العالمية الثالثة سلطة الشعب بينما يرى أن كتب العقائد (التربية الدينية) تكرس جهدها لشرح واجب المحكومين أو لطرح وشرح كثير من الأحاديث المنسوبة للرسول . . . . وتأويلات كثيرة غير حضارية على الإطلاق لبعض آيات القرآن الكريم ؟؟ إن وجود هذه المناهج والاستمرار

فى تدريسها هو تحد صارخ لسلطة الشعب . للقوة الثورية من الطلاب وللمبادىء التى يحملونها .

للدعوة الصريحة التى يوجهها القائد باستمرار من أجل العمل السريع على تغيير المناهج وجعلها مواكبة لروح العصر والحياة الحديثة .

إن الطلاب كلما ازداد وعيهم وكلما نضجوا عقائديا . . . بالإضافة إلى تحريض القائد المستمر لتثوير المناهج . . كل هذا يساهم بشكل مباشر فى رفض الطلاب للمناهج التقليدية جداً جداً وخاصة فى مجال دراسة العلوم الإنسانية . .

وإن الموقف الثورى الآن يتطلب ثورة طلابية عارمة على المناهج التقليدية الرجعية . . ثورة تحرق البالى المعادى بتأخره . . وتأتى بالجديد المتفتح الذى يخلق طلاباً نموذجيين بالفعل لا أميين بشهادات «ليسانس» أو «بكالوريوس» . . وليكن قرار الطلاب حاسماً لا يرتعد أمام وزير المعارف أو مدير الإدارة . . إلخ . . ليكن قراراً يجمع على اتخاذه كل الطلاب الرافضين . . ليرتفعوا به إلى مستوى الفعل الثورى الحقيقى لأن رفع الشعارات وحده لا يكفى والهتاف المستمر بأن الطلاب « درع الثورة » وهم القوة الحقيقية الواعية . . هذا الهتاف لايكفى لإسقاط المناهج العميلة . . ولايكفى لتحقيق التغيير المطلوب . . ولنفعل شيئاً . . قبل أن تصل هذه المناهج غاياتها المعادية .

هل مناهجنا حقاً ثورية ؟(*)

ما سأقدمه يعتبر نموذجاً سيئاً من بين العديد من النماذج إنها كلمات من موضوع فى كتاب علم الاجتماع المقرر على السنة الثانية أدبى لهذا العام قراءة سريعة لهذا الموضوع استوقفتنى وأصابتنى بالدهشة . . ففى مثل هذا الوقت الذى تتأكد فيه سلطة الشعب . . فى هذا الوقت أفاجأ بوجود مثل هذه الكلمات فى مقرر دراسى لطلاب يملكون النضج الكافى لتفهم كل ما يدور فى الجماهيرية والمساهمة بما فى وسعهم لتنمية هذا الوطن . . ترى هل مناهجنا حقاً تلائم هذه المرحلة ؟؟ سؤال تردد فى ذهنى أكثر من مرة عند اطلاعى على موضوعنا صاحب الشأن . . يقول وبالنص الحرفى :

ـ كيف يحكم الشعب نفسه بنفسه : ؟ ـ

فى دولة المدينة تكون الإجابة بسيطة ومباشرة إن شعب المدينة يجتمع فى ساحاتها العامة ويختار حكامه ويضع قوانينه مباشرة . . فالسيادة والسلطة تنتقل من الشعب إلى الدولة مباشرة ، وهذا ما كان يحدث فى المدن اليونانية . . غير أن هذا الأمر يصبح مستحيلاً عندما تكون الأمة بأسرها هى الشعب والأمة موزعة فى أقطار ومدن وبمسافات متباعدة ففى مثل هذه الحال لا يمكن أن يحكم الشعب نفسه بنفسه إلا عن طريق ـ

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد (   ) 17 - 8 - 1980 .

الممثلين ـ الذين يختارهم من أفراده فتنتقل السيادة من الشعب إلى ـ ممثلى الشعب ـ ويصبح المجلس الذى يجمع هؤلاء الممثلين مصدراً للسلطة. . فهو الذى يختار الحكومة ويراقبها، ويثق بها، أو يعزلها. . وهو الذى يسن القوانين ويقرر السياسة ويوافق على المعاهدات الخ . . فالضرورة هى التى تستدعى التمثيل ولكنها ليست وحدها التى تقضى بذلك . . فليس تعذر جمع الأمة فى مكان واحد هو الذى يستدعى التمثيل فقط وإنما العقل ومستوى الحكمة يستدعيان أيضاً مثل هذا التمثيل إذ ليس الشعب على درجة كافية من القدرة العقلية والخبرة السياسية والفهم الاجتماعى ، لذا كانت الأمة بحاجة لأن تختار من يقوم بتمثيل خصائصها وحقيقة وجودها ممن اكتمل عقله وأظهرته تجاربه وخبرته ـ هذا ما يقوله ويناقشه الموضوع . . إنه يناقش أهم شىء يرتكز عليه مصير الشعوب . إنه يناقش السلطة من وجهة نظر مضادة لما يطبق حالياً فى الجماهيرية وإذا كان مؤلفو الكتاب يطرحون ما يطبق فى البلدان الرأسمالية والشيوعية فإنه كان من الأجدر بهم أن يشيروا إلى ذلك بصريح العبارة ولكن فى حالة كون هذا الموضوع هوما يعتقدونه ويؤمنون به فعليهم إذاً أن يحتفظوا بمعتقداتهم لأنفسهم فنحن فى غنى عن هذا الكلام غير المعقول . حقاً إنه من غير المعقول أن تكون نظرية التمثيل هى ما تفرضه ـ الضرورة ـ و ـ الحكمة ـ ومن غير المعقول أيضاً أن يكون الشعب كله عاجزاً عن تسيير أموره بنفسه وأن لا يكون على ـ ذلك ـ المستوى الذى يظهر به ممثلوه ثم إنه بتطبيق فكرة المؤتمرات الشعبية انتفت فكرة أن جمع الشعب بأسره فى مكان واحد هو من الأمور المستحيلة . . إنها مستحيلة نعم ولكن عند غير المتعمقين فى دراسة هذه القضية . إن النظرية العالمية الثالثة وفكرتها الرئيسية ـ سلطة الشعب ـ هى نهاية المطاف بالنسبة لحركة الشعوب الباحثة عن المتنفس وعن الحرية وسط هذا الخضم المتلاطم من كبت الحريات واسترقاق الشعوب وإخضاعها بواسطة الخدعة القائلة بأن التمثيل جمع الشعب بكامله مرة واحدة لمناقشة مشاكله خاصة فى البلدان المزدحمة بالسكان . . وبذا صرفت الشعوب النظر قسراً عن فكرة الديمقراطية المباشرة . .

إخوتى الطلاب: إنه من الغريب حقاً أن أصدق أن هذه الكلمات موجودة في هذا الوقت بالذات وأنه لا رقابة هناك على مثل هذه المواضيع؟؟ أم أن وجود صفحة بعد هذا الموضوع تناقش النظرية العالمية الثالثة وسلطة الشعب ـ باختصار شديد ـ قد جعلت المكلفين بالأمر يغضون النظر عن مثل هذا الموضوع؟. إننا في حاجة إلى مناقشة صريحة حول هذه الأمور ومن حقنا أن نتساءل فى تعجب: هل مناهجنا حقاً ثورية يا أمانة التعليم؟!.

انتبهوا للزمن الذى كان(*)

مشهد (1) :

« كان » العرب - يبدأ المذيع فى حديثه - كانوا أصحاب أعظم حضارة فى العصور الوسطى . . ولقد بنوها على أسس متينة فامتدت جذورها حتى شملت المشرق والمغرب ، « وكان » العرب يشجعون العلوم والفنون وتفوق منهم الكثير . . بل وفاقوا فيما كتبوه كل تصور ، وقد « كانت» كتب عباقرة العرب وعلمائهم تدرس فى جامعات أوروبا وقت إن كانت أوروبا غارقة فى سراديب الجهل والتخلف، خاضعة للإقطاعيين ولرجال الدين الذين أشاعوا الخرافات فزادوهم جهلاً على جهل:

مشهد (2) :

يفتح مواطن عربى فى مكان ما من الوطن العربى الجهاز المرئى ويجلس بجانبه - طزينة - من الأولاد والبنات يستمعون للمذيع الذى يستمر فى حديثه : وهكذا نرى أيها الأخوة أن العرب « كانوا » خير أمة أخرجت للناس ، وقد أثبت العرب بالفعل ذلك ، أثبتوا لأوربا ولكل العالم أنهم بناة حضارة عظيمة جمعت بين علم وفن ، كالحضارة المعمارية التى تمثلت فى بناء المساجد كالمسجد الأموى أو الأزهر الشريف ، أو فى بناء القصور

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد (   ) 26 - 4 - 1981 م .

كقصر الخضراء الذى بناه سيدنا عبد العمد بن عبد الأحد بن . . . أو كقصر الزرقاء الذى بناه سيدنا(. . .) رحمه الله وأفسح له من فسيح جناته الحدائق والقصور وأعطاه من الجوارى الحسان مثلما كانت يمينه تملك فى سالف الأيام والأزمان نعود فنقول إن المعمار قد وصل إلى درجة عظيمة من الرقى ، وهذه آثارنا تشهد على « ما كان » من عظمتنا ، وليس هناك أدل على عظمة معمارنا ، من أن كبار مهندسى المعمار فى أمريكا وأوربا لا يملكون إلا أن « يشهقوا » إعجاباً بالزخارف الهندسية التى صممها المهندسون العرب فى ذلك الوقت وبمناسبة حديثنا عن المعمار والفنون الهندسية فإنه لا يفوتنى أن أذكر أن الرئيس المؤمن يفكر فى إعادة أمجاد العرب إلى أرض الواقع وذلك عندما وافق على تلوين مساحة كبيرة من صخور الصحراء المصرية باللون الأزرق ، لون السماء والحب والدم الملكى الراقى الذى يجرى فى عروق سيادته . . .

هذا أيها العرب « ما كان » من حضارتنا فى البناء والمعمار ، أما الحديث عما كان من تقدم الفنون الأدبية والعلوم عندنا فيطول ويطول فإن علماء عظاماً كجابر بن حيان وكالحسن بن الهيثم وكابن النفيس قد أدوا مجهودات عظيمة للإنسانية جمعاء بأن نقلوا وترجموا ما كتبه اليونانيون فى العلوم المختلفة ولم يكتفوا بذلك فقط بل وأضافوا إليها من شروحاتهم ومن اكتشافاتهم واختراعاتهم ما جعلهم نوابغ عصرهم وما جعل شهرتهم تطبق الآفاق ، لدرجة أن جامعة عظيمة فى ذلك الوقت وهى جامعة نابولى فى إيطاليا قد درست لطلبتها كتب جابر بن حيان وابن سينا وغيرهم من العلماء العرب والمسلمين وقد صاحب هذه النهضة العلمية نهضة أدبية فى الشعر والموسيقى ولا يفوتنا فى هذا المجال أن « نندد » بالشاعر الإيطالى دانتى الذى اقتبس أفكار كوميديته الرومية عن كتاب أبى العلاء (رسالة الغفران) وكذلك « ندين » الكاتب دانيل دوف الذى اقتبس قصته الشهيرة روبنسون كروزو عن قصة (حى بن يقظان) للفيلسوف العربى (ابن طفيل) ونحب أن نؤكد لكل سكان الغرب أن محاولاتهم الاستعمارية لن تنجح أبداً ، وإن

« لنا » أعظم أمة فى الوجود وقت لم يكن لديهم خليفة كهارون الرشيد ولا مدينة كبغداد ولا قصور كقبة الذهب . . .

مشهد (3) :

ينام الأطفال الصغار حول أبيهم وينكفىء رأس الأم مـائلاً لـلأمام ويتعالى صوت/«شخيرها» فيصرخ بها زوجها « هس » نريد أن نسمع » بينما يزداد صوت المذيع حدة وهو يقول : لماذا تنكر أوربا أننا كنا السابقين إلى الحضارة التى تنعم هى الآن بآثارها. . لماذا يا أوربا تتجاهلين علماءنا الكبار الذين سبقوا علماءك إلى اكتشاف حمض الكبريتيك والدورة الدموية . . سوف يأتى يوم تعلمين فيه إنك كنت صفراً على شمال العرب وإن العرب «كانوا». . عفواً أيها المشاهدون. . يتوقف المذيع قليلاً ريثما يسترد أنفاسه اللاهثة، ثم يواصل: وإن العرب كانوا شيئاً له أهمية كبرى، فقولى لنا وأخبرينا بأى حق تحاولين أن تسدلى ستاراً من التجاهل على تلك الحضارة التى «كانت» لنا بأى حق تقولين إنك أصل الحضارة. . يسمع المواطن العربى صوت أزيز طائرات تأتى من بعيد ثم فجأة تنطلق صفارة الإنذار. . يصرخ بزوجته التى تقوم والرعب يكاد يقتلها: غغرة. . غارة. . الأولاد. . يهربون إلى الملجأ وينسون الجهاز المرئى مفتوحاً فى غمرة خوفهم ويواصل المذيع حديثه: سنريك يا أوربا كيف يكون التجاهـل لماذا لا يستخـدم الحكام العرب سلاح النفط ليعلموك الأدب؟ ألم تتعلمى من الدروس التى يعطيها الحكام العرب لغيرك من قارات العالم؟ ألم ترى أنهم قد جندوا كل قواهم لتحرير أفغانستان المسلمة من قبضة الروس «الطغاة». .؟ ألم ترى أنهم قد أعلنوا الجهاد «المقدس» ضد كل من تسول له نفسه ضرب مسلمى أفغـانستان؟. . تعلمى يـا أوربا من هـذه الدروس فهى ستلهمـك العبرة وستجعلك تعودين إلى جادة الصواب. . !!

مشهد (4) :

تضرب قنبلة المنزل فيتساقط كالهشيم ولا يبقى منه غير الجدار الذى

يستند عليه الجهاز المرئى . . ويتعالى صوت المذيع من بين الصراخ والعويل : ـ إن علينا أن نسخر كافة جهودنا من أجل أن نعيد « ما كان » من حضارتنا العظيمة التى كان « العربى فى كل مكان يفخر بها ويمشى مختالاً رافعاً رأسه بين البشر متذكراً فى كل مرة أن العرب هم خير أمة أخرجت للناس » يتساقط العرق من جبين المذيع فيخرج منديلاً من جيبه ويمسح به « ويبتسم قائلاً : عفواً . . ويدخل فى ذات اللحظة المواطن العربى حاملاً ابنه الجريح بين كفيه . . تقع عينه فى لحظة ما على المذيع المنفعل ، فيتقدم من الجهاز ويركله بقدمه فيقع . . لكنما صوت المذيع يستمر فى الحديث وهو يقول : إننا تماماً كما يقول الشاعر العربى القديم :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

أو كما قال الشاعر العربى الحديث :

انتظر رحيلك يا أيها الزمن المتكلس
فى أعماق الجراد
وتفاجئنى ذات مساء . . فأراك فى عيون
النملة التى لا تنام .

وإلى اللقاء يا إخوتى فى حلقة قادمة نستعرض فيها بعض أمجادنا التى كانت قبلة الأنظار وموضع الاعتبار إذا استطعتم الفهم فافهموا أيها الشطار . . وإلا فناموا نومة أهل الكهف . . أدامها الله عليكم دونما حسد أو انبهار .

حديث الذاكرة

— 1 —

الأخ القائد

دعوتك الأخيرة إلى إنهاء أو تجميد كل الخلافات العربية لمواجهة العدو الحقيقى للأمة العربية هذه الدعوة أصابت فى الصميم الكتاب النادبين أو الناحبين ، أولئك الذين يجدون فى الشقاق العربى فرصة لابراز قدراتهم البكائية العجيبة لكنهم بعد الآن لن يجدوا منفذاً لإخراج شحنات الدموع والتباكى على أمجاد العرب التى ذهبت فى خبر كان ولا لندب حالة الأمة العربية اليوم ومقارنتها بحالتها فى العصور الوسطى .. لا .. ولن يجدوا مكاناً يعرضون فيه مواهبهم الرائعة التى فاقت قدرة الخنساء على الرثاء .. وبما أن هؤلاء لا يكسبون عيشهم إلا بالندب والتباكى ولطم الخدود على الورق لذا فإنه ليس من الغريب أن تجد أمامك يوماً ما عريضة مليئة بمئات التوقيعات يناشدونك فيها باسم اتحاد الناحبين العرب أن تتخذ لصالحهم الاجراءات الكفيلة بحل مشكلتهم .. ولكننى اعتقد أن ذلك لا يزال بعيداً ما دامت فرص الشتم أمامهم مفتوحة ، ففلسطين لم تتحرر بعد وكذلك الجولان وأخيراً مصر ، وعليه فإن داراً للرزق ما زال مفتوحاً يلجونه لشتم

(*) نشر بصحيفة الطالب عدد(   ) 19 - 7 - 1981 م

أمريكا وإسرائيل وبذلك يضيفون إلى التراث العربى الأصيل مآثر ستخلد بماء الذهب وستضاف إلى حصيلة بيانات التنديد ومقالات الاحتجاج مجموعة أخرى منها على أساس أن طريق التحرير والخلاص فى نظر هؤلاء معبدة بالمقالات الهجومية المضادة لمفاعلات إسرائيل النووية . . وأرى أنه من الأنسب وبدلاً من تبديد أموال الشعب بالصرف على الصحف المليئة بمثل هذا النوع من المقالات . أرى (وكما شاهدت ذلك مرة) أن توزع على المقاصف النظيفة جداً فى مؤسساتنا التعليمية ليستخدمها الطلبة فى لف « الأنفاص ».

— 2 —

دعا الأخ القائد : فى أكثر من خطاب إلى أن يكون إعلامنا ثورياً تحريضياً وذلك لمواجهة الإعلام الصهيونى المركز والمدروس بدقة تثير الدهشة ، وكذلك لتعبئة الطاقات وزيادة الوعى لدى المواطن ويبدو أن إذاعتنا الكريمة تستجيب دائماً للأشياء بشكل عكسى يلائم متطلبات من يعملون فيها، فهم بدلاً من أن يعدوا برامج مدروسة ودقيقة للأطفال يقدمون لهم برنامج جنة الأزهار الذى هو مع الأسف ليس جنة بدليل أن الأطفال يومى الأثنين والخميس يهربون منه إلى الشارع حيث ينشدون أغنيتهم المفضلة أنا ولد بلاد . . واسمى سندباد . . وصاحبتى ياسمينة . . ونسكن فى بغداد أو يتحدثون عن صاحب الفخامة ((قريند ايزر)) الذى لا تخطىء زرته المزدوجة أو صحنه الدوار ، وفى تقديم هذه الأشياء إثبات لمدى الوعى عند لجنة الإعلام الثورى التى زحفت على الإذاعة فلم تغير فيها شيئاً ولعلها هى أيضاً أعجبت بمسلسل الغريبة وسندباد ورأت أن فيهما من إمكانات الإبداع الثورى ما يزيد من الوعى بقضايا القومية. . إن خيبة الأمل التى يصاب بها المشاهد الليبى كل ليلة مما يزيد من عدد المصابين بمرض ضغط الدم والسكر هذا إلى جانب عسر الهضم للحفلات الساهرة المنقولة مباشرة عند الاحتفال بعيد ما من أعيادنا الوطنية ، نحن لا نقول لا تحتفلوا كما قال أحد كتابنا الأفاضل فإن فى هذا إجحاف بحق المواطن الذى يريد

أن يعبر عن أحاسيسه ومشاعره، ولكن نقول احتفلوا بطريقة لائقة، عن طريق المعارض ، الرياضة ، المهرجانات الشعبية ولكن ليس عن طريق الحفلات المستوردة . . فالحفلات التى ينقلها تلفزيوننا الكريم هى حفلات مستوردة ومعظم المطربين فيها لا يعرفون عن الجماهيرية غير مطار طرابلس العالمى وفندق الشاطىء ومكان الإحتفال ، والملحن الليبى المشهور (فلان) وغالباً ما يقرأون أغانيهم من أوراق فى أيديهم ، فلا وقت لديهم لحفظ الأغانى لأن تفكيرهم ينصب على ما سيقبضونه ثمناً لأتعابهم وكذبهم ونفاقهم . . وبما أن لجنة الإعلام الثورى تعرف جيداً كيف تجعل المواطن الثورى الحقيقى يفكر جدياً بشراء فيديو حتى وإن أرهق ميزانيته ليشاهد حتى أفلام دراكولا فهى لا تختلف كثيراً عما يقدم فى التلفزيون الليبى ، لذلك فهى لا تمل ولا تكل من أتحافنا بالخوارق حسب تعبير صحيفة الجماهيرية ولكن الغريب أن ذكاء المسؤولين يتجلى فى أنهم لا يردون على حملات الصحف وأغلب الظن أن وقتهم الثمين لا يسمح لهم بالقراءة ، هذا وإن شعار الصمت الذى تعتصم به الإذاعة سيجعل كل الصحف تعلن فى النهاية : جفت الأقلام ورفعت الصحف . . .

— 3 —

رابطة الأدباء والكتاب والفنانين بالجماهيرية لا تنظر إلى أبعد من قدميها ولذلك فإن الأخطاء التى تقع فيها كثيرة . . ورغم أن لقاء الأخ القائد بهم وشرحه لدور الإعلام ودور الأدباء فى هذه المرحلة قد بين لهم الطريق الذى يجب أن يسيروا فيه إلا أن الحقيقة تبدو وكأنهم قد اتخذوا من كلام القائد دليلاً نظرياً فقط لم يطبق حتى الآن فما زلنا فى دائرة النخبة والطليعة . . ولم نتجاوز أبداً عقدة الأديب الكبير والفنان الكبير ، وبهذه الطريقة فلن يتحقق شىء إسمه أدب جماهيرى . . بل ستبقى فكرة مثالية تتطلع إليها الجماهير ولا تصلها . .

رابطة الأدباء والكتاب والفنانين تقيم مهرجانات شعرية وملتقيات

أدبية ، وتدعو إلى المهرجانات الشعرية جهابذة الشعراء العرب الذين لا يعرفون عن الثورة الحقيقية فى ليبيا أكثر مما يعرفونه عن كوكب المشترى ، ومعلوماتهم عن الأساطير اليونـانية ، والشعـر السوريـالى الفرنسى وعقـدة أوديب . . إلخ ما فى الثقافة الغربية . أكثـر من معلوماتهم عن الكتـاب الأخضر ومقولاته ، ومع ذلك فالرابطة تدعوهم للمشاركة فى أعياد سلطة الشعب أو فى مهرجان الفاتح الشعرى ليشاركونا بقصائد عصماء ومعلقات بديعة تحشى بمقولات الكتاب الأخضر التى التقطت جزافا من مطالعة سريعة للكتاب ، أو من خلال الإذاعة المرئية . . ولنأخـذ الأمر بـطريقة منطقية ، فإن ما ينشر عن الجماهيرية والكتاب الأخضر فى الصحف الأجنبية (على أساس تمتعها بالحرية أكثر مما يوجد فى الوطن العربى) أكثر مما ينشر عن نفس الموضوع فى الصحف والمجلات العربية وذلك ضمن خطة التعتيم على الفكر الثورى فى الجماهيرية والخوف منه . . إذن فاطـلاع الأدباء والشعراء العرب على الفكر الثورى فى ليبيا بسيط إن لم يكن سطحياً ورغم أننا نعرف ذلك . ورغم أن الرابطة تعرف ذلـك ورغم ان الأدباء العرب يعرفون ذلك إلا أن المهرجان يقام وتلقى فيه القصائد التى يحسها المواطن الواعى تزلفا إلى معمر القذافى والشعب الليبى . . فهم يا رابطتنا الكريمة لا يفهمون أن لا يكون معمر رئيساً أو ملكاً وهم يعاملونه كما لو أنه خليفة المسلمين فى ليبيا وهم يقلقونه بقصائدهم العصماء . . ولو ترك الأمر أمام أدباء وشعراء ليبيا الشباب الذين عاشوا مخاض الثورة وعرفوا نهجها الحقيقى لكان الأمر أفضل بكثير من دعـوة أولئك الـذين تحدثت عنهم وكذلك من توجيه الدعوة إلى أدباء بنغازى وطـرابلس (فقط) وتناسى أو تجاهل كتاب وأدباء المدن الأخرى باستثناء القليل جداً ، أن الأمر يقتضى منكم وقفة شجاعة لتراجعوا مالكم وما عليكم وسوف تجدون أنكم مقصرون غاية التقصير فى حق الكتاب والأدباء الشباب فى مختلف مناطق الجماهيرية أن اقتصار المهرجان على الأديب الليبى الكبير(. . . . .) وزملائه الكبار أيضاً (. . . .) و (. . . . .) يصيب الأدباء الشباب بخيبات أمل متتاليـة وكذلك يقف حاجزاً ظاهرة شرعى أمام الجماهير لممارسة حقها الطبيعى فى

التعبير عن أحاسيسها.. وفى النهاية فإذا كنت أيتها الرابطة تعانين من قصر النظر.. فيجب أن تعلمى أن لبس نظارة طبية لا يفيد كثيراً وإنما المفيد أن تفسحى المجال لمن هم أكثر إدراكاً وسلامة نظر منك ...!!

من يصفى من ؟(*)

لقد حدثت مجموعة معطيات فى الحركة الثورية خلال عام واحد فقط من الملتقى السادس وحتى الملتقى السابع أدت إلى تجاوز كبير لمبدأ كان فيما مضى من أهم أساسيات الحركة وهو مبدأ الإسقاط التلقائى أو الإسقاط الطبيعى والذى اعتبر أمراً منسجماً مع طبيعة الحركة من حيث أنها لا تمارس أى نوع من الاجبار فى دخولها أو فى الخروج منها ومن حيث تشبيه حركة الثورة بطريق يسقط على جانبيه من لا يملك القدرة على مواصلة السير وفى هذا السياق فإننى أذكر جيداً أن جدلاً حاداً دار بين مجموعة من أعضاء اللجان الثورية فى الملتقى التحضيرى للملتقى السادس وكان محور هذا الجدل مسألة الفرز والإسقاط التلقائى ففى حين كانت مجموعة تنادى بضرورة الفرز حتى ولو كان استخدام العنف طريقاً إليه معتبرة ذلك طريقاً لتجديد ثقة الجماهير فى الحركة الثورية ووسيلة مثلى لبناء حركة خالية من شوائب وأمراض المجتمع القديم والتنظيمات التقليدية الأخرى رأت المجموعة الثانية أن الإسقاط التلقائى هو نهاية حتمية لكل من يعجز عن أداء مهامه كعضو لجنة ثورية ويكتشف مقدار فشله وقصوره عن مواكبة حركة الثورة فيسقط تلقائياً كما تسقط الورقة اليابسة عن الشجرة.

ونتيجة لهذا الجدل فقد صنف دعاة الفرز والتطهير والإسقاط والتصفية

(*) نشر بصحيفة الزحف الأخضر، (الأعداد الخاصة بالملتقى السابع للجان الثورية).

على أنهم متشنجون متطرفون حين كانوا يرفضون منطق التلقائية فى تطهير الحركة ويرون أن ذلك قد ينطبق على الفاشلين والعاجزين عن أداء المهام الثورية حين لا يرون مبرراً لاستمرارهم ولكنه لا ينطبق على الآخرين الذين رغم إدانتهم لم يسقطوا ورغم ممارساتهم اليومية السيئة استمروا يأكلون الثورة من داخلها ويساهمون بشكل دؤوب فى تفتيتها وفى خلق هوة كبيرة بينها وبين الجماهير مرتدين رداء الثورة ومتلونين بلونها . .

والأمر الأكثر مدعاة للسخرية أن يحضر الملتقى السابع للجان الثورية هؤلاء الذين هم سبب تشرذمها وانقسامها إلى مجموعات تتنافس على الزعامة وخلق التبع ومن السخرية أيضاً أن يناقشوا كيف تنفذ اللجان الثورية التعميم رقم (1) وكيف تساءل أفرادها المنحرفون مخرجين أنفسهم من دائرة الاتهام تماماً كما فعلوا فى الملتقى السادس حين حضروه وأجابوا أيضاً على سؤال ما كان ينبغى أن يطرح عليهم - وهم أصل الانحراف - كيف نبنى حركة ثورية قوية فى الداخل والخارج ؟ .

ومثلما طرحت مجموعة من القوة الثورية آنذاك سؤالها: حول كيف يبنى الحركة من يعمل على تدميرها؟ فإن سؤالاً آخر يطرح فى هذا الملتقى يتعلق بمن ينفذ التعميم رقم « 1 »؟ وبتعبير آخر من يصفى من؟ ومن يسقط من؟ ومن يسائل من؟ ففى الوقت الذى نعى فيه مقدار خطورة هذا التعميم ودقة تقييمه لمجمل الانحرافات العقائدية والسلوكية والتى تتمثل فى ممارسة الإرهاب المادى والمعنوى ضد الجماهير وضد باقى أعضاء اللجان الثورية وممارسة التعالى على المؤتمرات الشعبية والعمل على خلق أتباع ورؤساء والإشاعة والمبالغة والنقض والغرضية فى تناول المواقف الثورية وتمييع العمل الثورى وتتفيه قضية الثورة والتعويض عن العجز والفشل فى القيام بمهام الحركة التاريخية بتدمير رفاقهم وتكوين زعامة زائفة على السذج منهم.

وفى ذات الوقت الذى نعرف فيه أن هذا التعميم إنما أفرزته جملة

الممارسات السابقة الذكر أى أنه لا يفترضها مسبقاً ويضع لها أحكاماً مستقبلية وإنما يعددها انطلاقاً من واقع الحركة واعترافاً بما فى ممارسات أعضاء اللجان الثورية من أخطاء وعلى ذلك فإننا رغم حاجتنا إلى قواعد ثابتة لضبط سلوكيات أعضاء الحركة منعاً لأى انحراف عقائدى أو مسلكى إلا إننا فى نفس الوقت ينبغى أن نضع نصب أعيننا الإعتبارات الآتية :

أولاً : إننا كحركة ثورية فريدة تظهر للمرة الأولى فى العالم متجاوزة كل الحركات والتنظيمات السياسية الأخرى فى العالم لا نضع قواعداً لأنفسنا وللمرحلة التى نعيشها فقط وإنما نترك تراثاً ثورياً يتراكم كل يوم ليشكل رصيداً لأى حركة مماثلة قد تظهر فى أى مكان من العالم ومن هنا فإن أى قانون تضعه الحركة الآن لأفرادها نتيجة معطيات آنية ربما يتم تجاوزها بعد فترة قد يشكل عائقاً يقيد حركة الثوريين.

ثانياً :حتى إذا ما وعت القوة الثورية بضرورة التعميم ووجوب تنفيذه فى هذه المرحلة نتيجة تفاقم السلبيات وتراكمها فهل من يجيب على جملة من الأسئلة الخطيرة التى تفرض نفسها علينا :

إذا قلنا ان لجنة ثورية ما ـ وهو مثال يمكن تعميمه وسحبه على كل الحركة ـ مصاب بعض أعضائها بجملة الأمراض التى عددها التعميم ومنقسمة على ذاتها إلى أكثر من مجموعة فمن يعطى الضمان بأن لا تصفى العصبة ذات القوة (والقوة هنا فى شكلها المعنوى والمادى) رغم أنها منحرفة غيرها من الثوريين الملتزمين المنتمين للثورة انتماءً صادقاً حين تشعر تلك المجموعة المنحرفة بأن نهايتها قد باتت قاب قوسين أو أدنى وأن امتيازاتها التى حققتها قد تسحب منها وقد يسحب أصحابها ذاتهم من حركة الثورة . . .

إن جملة الأسئلة السابقة لا تطرح من قبيل المزايدة ولا يخضع الرأى فيها لاجتهادات شخصية لأن الخطأ فيها غير قابل « للترقيع » وإنما نحتاج فيها لترشيد من كتب التعميم وشخص أصل العلة . .

المهام : مزيداً من الاقتحام(*)

إن الإشكال الحقيقى والجوهرى الذى سجله التاريخ لبعض الحركات السياسية هو قيامها بالتعبير عن تطلعات وأمانى الجماهير متخذة من غطاء الطليعية والنخبوية مبرراً للوصاية وحتى فى أحسن الظروف التى استطاعت فيه هذه الحركات نتيجة لصدق قادتها وحبهم للجماهير عمل بعض الأشياء الإيجابية لصالحهم ، إلا أن منطلقات الوصاية والنيابة والاحتكار والتعبير عن الجماهير « غير الأشدة والمؤسسة عليها قواعد هذه الحركات السياسية أدت وتؤدى دائماً إلى الاصطدام بالجماهير والانتهاء إما بقمع الجماهير أو بانهيار هذه التنظيمات حتى ولو كانت صديقة للجماهير.

ورغم أن أغلب اعضاء حركة اللجان الثورية يدركون هذا التحليل الثورى لأحداث التاريخ ويدركون أيضاً ما هية الحركة التى ينتمون إليها من حيث إنها تستهدف فى النهاية ذوبانها بارتفاع وعى كل الناس بما يؤهلهم لممارسة سلطتهم الممارسة الصحيحة وبناء المجتمع الجماهيرى الذى يشاع فيه ما تمنع الجماهير من أمتلاكه الآن .

واللجان الثورية وهى تمارس مهامها التاريخية وهى المهام التى تحدد بوضوح الفرق بين حركة ثورية كحركة اللجان الثورية وبين باقى الحركات السياسية والثورية فى العالم فحيث تكرس الأخيرة نفسها كأدوات سلطوية

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد ( ) 22- 11- 1985 م .

تؤمن اللجان الثورية بأن أى ممارسة فيها نيابة عن الجماهير حتى ولو كانت بدافع ثورى وعن حسن نية إلا أن مردودها سيكون بكل تأكيد سلبياً وسينعكس على المؤتمرات الشعبية الأساسية .

ولنأخذ ما حدث فى الايام الماضية مثالاً حيث قامت القوة الثورية بحرق ملفات السجل العقارى ، وهو أمر لا يمكن التشكيك فيه فى حد ذاته لأنه استهدف مؤسسة رجعية قائمة بتراكماتها التى تعرقل تطبيق المقولات الثورية وتقف عائقاً أمام حرية المواطن وهى المؤسسة التى وثقت وتحافظ على هذا التوثيق بل وتحميه بقوة القانون وتعطيه صفة التاريخية تقسيمات الأسر البرجوازية للأرض والعقارات فى أغلب مناطق ليبيا سواء التى كانت تملكها وقت اتساع نفوذها قبل الثورة وبعدها فى الفترة السابقة لبدء تطبيق أطروحات الكتاب الأخضر أو التى ظلت معها بتلاعباتها المختلفة بعد محاولة تقليم أظافرها بتحريرها من أدواتها السياسية والاقتصادية التى كانت مبرر ظهورها واستمرارها .

ثم إن هذا الحرق سيمكن المواطن من تثبيت ملكيته للبيت الذى يقطنه وأسرته دون خوف من محاولات البرجوازية التى كانت قائمة فى كل لحظة لأستعادة ما سرقته يوماً من الجماهير وادعت ملكيته تتويجاً لجهودها الاستغلالية التى أثمرت تكديساً للثروات نقداً وعيناً ، والتى تطمح لاستعادة أملاكها بالتلاعب الآن أو بالتآمر لتنتكس سلطة الناس وتعود سلطتهم .

ستكون الفرصة سانحة إذن لتطبيق مقولة البيت لساكنه هذه المرة دون خوف فليس هناك ملفات قديمة بالسجل العقارى ولا يحزنون . . إنه الحل الثورى يفرض نفسه مرة أخرى . . التدمير بلا رحمة والبناء البديل بلا كلل .

ولكن ليس هذا بيت القصيد . . ليس حرق ملفات التسجيل العقارى هو هدف النقاش لأن هذا الفعل فى ذاته لا تقبل مناقشته . . بيت القصيد هنا أن تقوم اللجان الثورية وليس المؤتمرات الشعبية الأساسية بذلك . .

فالعجز عن إقناع الجماهير بأن تقوم بنفسها بهذا العمل .. أو الافتراض مسبقاً بأنها لا تقتنع لوجود عناصر رجعية بها أو لعدم فهم أو اقتناع منها .

كل هذه المبررات ليست سوى دلائل تقصير فاضح لأداء الحركة الثورية لمهامها والقول بأن عرض مثل هذا الموضوع على المؤتمرات الشعبية وإقحام الجماهير فى تنفيذه هو مجرد « تمييع » للموضوع وتنصل منه أو هروب من تسجيل موقف ثورى هو أيضاً قول باطل ومردود على صاحبه ذلك أن الموقف الأشجع والمواقف الأكثر حسماً والذى يتطلب أن يستعد له عضو اللجنة الثورية بكل ما يملك من حجج وأدلة إقناعية هو الوقوف أمام جماهير المؤتمر لايضاح موضوع ما ولإقناع الجماهير ولا أعتقد أن هناك من يتنصل من مثل هذا الموقف إلا من فقد القدرة على الإقناع فرأى الاحتكام إلى القوة الجسدية أسهل ..

نعم من السهل جداً أن تتجمع القوة الثورية التى هى أصلاً مؤمنة بضرورة تدمير كل قواعد المجتمع القديم وتأسيس مجتمع جديد وفق قواعد وأسس جديدة عادلة .. من السهل أن تجتمع وتقرر حرق ملفات التسجيل العقارى مثلاً فالفكرة أصلاً راسخة فى ذهن عضو اللجنة الثورية والتنفيذ ولا شك أسهل وهى مسألة قد يقوم بها من حيث التنفيذ ـ حتى عسكريون بأمر عسكرى .. ولكن لنرى الفرق بين هذا وبين أن يقوم بذلك أعضاء المؤتمرات الشعبية (التى وقفت تتفرج دون فهم لمايحدث) ..

لنرى تأثير الموقف على وعى وتفكير مواطن اقتنع بالفكرة بفعل تحريض ثورى داخل مؤتمره فحمل بنفسه ملفاً يوثق أملاك بن كاطو والطرباقية وبادى والسوسى وطاطانكى وباقى قائمة الأسماء البرجوازية الملتوية ووضعه بنفسه فى النار !!.

إن حاجز الخوف الموروث الذى يعزل الجماهير عن شق طريقها بنفسها والتراكمات التاريخية التى تجعل المواطن يعتقد إنه لا يمكن أن

يكون سيد نفسه ، هذا الحاجز لن يزول أبداً طالما كان هناك من يتشدق بقصور الجماهير طوال الوقت وطالما هناك من يعمل دائماً كبديل عنها خاصة فى المواقف التى تساعد على إزالة عقدة الحاكم والمحكوم ، السيد والعبد الخ . .

وأى مبادرة ثورية تكون أكثر تأصيلاً حينما تطرحها القوة الثورية وتدفع المؤتمرات الشعبية إلى تبنيها وتنفيذها وقد كان هذا ميسوراً لو استغلت الدورة الثالثة للمؤتمرات الشعبية والتى ستنعقد بمنطقة معينة . إن اللجان الثورية هنا كانت ستقوم بدور مزدوج فهى من ناحية تؤكد فاعلية وحيوية الحركة الثورية رغم قلة عدد أفرادها . هذه الحركة التى ليست حزباً يسعى للسلطة ولا تنظيماً للصفوة متعالياً على الجماهير ، ومن ناحية أخرى تدفع بوعى أعضاء المؤتمرات خطوات للأمام وهذا هو الكسب الحقيقى . . وهو أفضل من الناحية الأستراتيجية من المكاسب الدعائية الآنية ، فالأخيرة ليست مرفوضة ولكنها ليست هدفاً مستقبلياً . .

إن المهام الأستثنائية للجان الثورية تخلق حماساً شديداً لأعمال مؤقتة تخرج أعضاء حركة اللجان الثورية من حالة الكساد العام وقلة برامج العمل الثورية وتنشط مثابات تظل تسبح فى المثاليات والأحلام الجملية عقب كل ملتقى وحتى موعد الملتقى التالى ولكن تعدد هذه المهام والقيام بها نيابة عن الجماهير ولو كان بدوافع ثورية قوية يؤدى إلى عرقلة تصاعد وعى الجماهير. . إذا لا يمكن أن يتساوى شعور من يفعل الفعل الثورى وشعور من يرقبه عن بعد. .

والأجدى تاريخياً أن نعرف أن ترسيخ سلطة الشعب يكون بالمزيد من الإقحام للجماهير وليس بإضافة المزيد من المهام الاستثنائية للجان الثورية. . .

فيا أيها الليبيون(*)

الدورة الطارئة للمؤتمرات الشعبية التى بدأت فى الانعقاد فى منتصف الاسبوع الماضى ، تأجل انعقادها أكثر من خمسة ايام بعد انعقاد الدورة الطارئة لمؤتمر الشعب العام ، احتراماً لإجازة العيد التى هى « أطول من ليلة بلا عشاء» نموذجاً لامثيل له بين إجازات العالم باعتبارها تسجل الرقم القياسى فى عدد الساعات الضائعة دون عمل . . اللهم إلا إذا اعتبرنا الذبح والسلخ فى اليوم الأول والشواء المتتالى مدة ثلاثة ايام هو عمل لا يختلف مثلاً عن الإنتاج فى المصانع أو أداء الخدمات فى أى مؤسسة عامة قياساً إلى الجهد المبذول فيه .

وبغض النظر عن هذا كله فإن المؤتمرات الشعبية انعقدت أخيراً لمناقشة مشروع النهر الصناعى مسجلة سلبية خطيرة جداً تبدت واضحة فى أغلب المؤتمرات سواء تلك التى نقل جزء من نقاشها عن طريق الإذاعة المرئية أو ذلك الذى انتمى إليه بحكم الإقامة وهذه السلبية هى: التناقص الكمى الرهيب فى حضور الأعضاء وإذا ما رغبنا فى البحث عن تبريرات تجيب على التساؤلات التى يطرحها عدم حضور الليبيين والليبيات لمؤتمراتهم الشعبية فى هذه الدورة الطارئة ، فإن ذلك يعنى واحداً أو أكثر من عدة أسباب ومبررات:

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد ( ) 23- 9- 1983 م .

ـ إما أن الليبين ما زالوا يعتقدون أن المؤتمرات الشعبية هى مجرد منابر للكلام والخطابة والتنفيس دون الفعل الحقيقى الذى يتخذ صورة اتخاذ القرار السائر نحو التنفيذ عن طريق الأداة التنفيذية « اللجان الشعبية » . وذلك بالنظر للإرث التاريخى الذى يقبع فى وجدان الجماهير مصوراً لها نفسها فى صورة التابع الأبدى للحكومة التى تقرر وتنفذ ما تشاء ، وبالتالى الاقتناع بأن المؤتمرات الشعبية لا دور لها (وأن كل شىء يأتى من فوق) (واللى يبوه يديروه) وهذا على أية حال تبرير قد ينسفه تحريض القائد المستمر وكذلك اللجان الثورية عبر كل الـوسائط الممكنـة حتى تمارس الجماهير سلطتها وترسخها فعلاً بالتطبيق السليم .

ـ أو أن اليمين الليبى الرجعى المشكك دائمـاً فى كل الإنجـازات المادية والمعنوية قد استغل النقطة الخاصة بتمويل جزء مما يتطلبه المشروع من قبل الجماهير ـ وبالتحديد تلك النقطة الخاصة برفع الدعم عن اللحوم ورفع سعر الوقود ـ ليكون لأولئك الذين لم يحضروا هذه الدورة ولم يشاركوا فى صنع القرار الإيجابى حق انتقاد هذه الإجراءات حين تبدأ اللجان الشعبية المعنية بتنفيذها ، وليمتلىء الشارع بعد ذلك بجمل من نوع (مش نحن اللى قررنا) (ومش نحن اللى قلنا) وكأن هناك من أجبرهم على عدم الحضور والإدلاء بارائهم .

ـ أو كأن المواطن لا يأتى للمؤتمر الشعبى إلا ليوافق فقط على ما يطرح عليه متناسين أن أعضاء المؤتمرات لهم الحرية الكاملة في الموافقة أو الرفض لكل ما يعرض عليهم .

وهناك رأى آخر قد يرجحه البعض وهو أن الليبيين قد شغفوا بإجازة العيد القصيرة جداً فأرادوا تمديدها واقسموا على عدم تعكيرها بالتفكير أو ما شـابه ذلك من العمليات التى تتطلب مجهوداً ذهنياً استناداً إلى رأى الأطباء القائل بأن كثرة التفكير تقصر العمر وتفسد ملذات الحياة .

أما أبعد تبرير عن التخيل فذلك الذى طرحه أحد الزملاء من أن الليبيين قد أضربوا عن الكلام واعتكفوا فى بيوتهم مشاركة منهم فى الحزن المخيم على الوطن العربى بمناسبة الذكرى الأولى لمذبحة صبرا وشاتيلا . وكذلك حداداً على مسلمى لبنان الذين قدمتهم أمريكا قرابين لإلهها النهم الذى لا يرتوى من الدم ولا يشبع من جثث الضحايا.

ومن ضمن قائمة التبريرات أيضاً فإننا لا يمكن أن ننسى أن نبرىء فئة أخرى لم تتواجد أبداً فى هذه الدورة وهن النساء اللائى كن بلا أدنى شك فى شغل شاغل عن المؤتمرات وعن المشروع بتشريح لحم ضحايا العيد ونشره مملحاً تمهيداً لإعداده « كقديد للحساء والأرز » وكذلك هن فى شغل عن اتخاذ القرار وتقرير المصير وتحقيق حريتهن بإعداد اللحم المشوى للبطون النهمة التى نسيت ـ وعلم السبب عند الله ـ أنها قد قررت فى الدورة الثالثة للمؤتمرات الشعبية للعام 1982 م التقشف والاكتفاء بالضرورات الذى يبدو أنه تعبير دقيق بما فيه الكفاية باعتبار أن الليبيين يدخلون تحت باب الضرورات كل شىء بدءاً من ورق الكلينكس والباسطى وحتى اللحم الوطنى والبلغارى والتركى والاسترالى .

فيا أيها الليبيون هذا المشروع سيكون عائده لكم أنتم وفى نطاق حدودكم الجغرافية الضيقة التى تدعى ليبيا . فلا مجال هنا لمزايدة اليمين المشككة دائماً فى كل طرح حضارى وما سوف تبذلونه اليوم من أموالكم (واحمدوا الله أنه ليس من جهدكم العضلى فقد كفتكم ذلك الشركة الكورية المنفذة) ، وما سوف يدفعه كل منكم من دخله سوف يعود عليكم بعد عشر سنوات فقط إما على شكل ماء لإستهلاككم ، أو على شكل مزارع مروية ، أو على شكل مصانع تصنع ما تحتاجونه من أشياء . . عوائد هذا المشروع لكم ولا مجال للمزايدة بأن شيئاً ما سيذهب للخارج دون فائدة كما يقول اليمين الرجعى عن مساعدات الجماهيرية للدول التقدمية ولحركات التحرر فى العالم!!

أيها الليبيون هل تريدون مثلاً أن ينزل سكان المريخ أو يأتيكم قاطنو هونولولو ليقرروا نيابة عنكم ما إذا كان من الضرورى لليبيا اقتصادياً وسياسياً واستراتيجياً أن ينفذ هذا المشروع أم لا ؟؟ وهل تريدون أن تكون المؤتمرات الشعبية مؤتمرات للقوة الثورية فقط مع بعض الشيوخ الكبار الذين يدفعهم الحماس والوطنية للحضور ، مع التأكيد بأن اللجان الثورية وهى تمارس دورها التحريضى والترشيدى تعرف جيداً أن الأمر لا يعنيها وحدها بل يعنى كل الليبيين، وتعلم جيداً بأن إقرار المشروع من عدمه لا يتوقف على حضورها هى وحدها بل على حضور كل أعضاء المؤتمرات. . وتعلم أيضاً بأنه ليس برنامجاً ثورياً توضع بنوده فى ملتقى ثورى كما حدث فى برنامج العمل الثورى الذى هو نتاج الملتقى الخامس للجان الثورية ويعرض جاهزا على المؤتمرات، إنما هذا المشروع يتطلب استيعاباً علمياً لكل مراحله وخطواته حتى يمكن فهمه ومن ثم إدخال تعديلات علمية عليه إضافة إلى ما تتطلبه لائحة القوانين الناشئة بالضرورة عن المشروع من مناقشة موضوعية علمية لا تتم إلا فى مؤتمرات واعية لها ثقلها الكيفى والكمى وليس العكس!!

أيها الليبيون هل تريدون أن تتيحوا المجال لأولئك القائلين بأنه كان ينبغى عدم إعلان سلطة الشعب فى ليبيا عام 77 م ، وبأنه كان ينبغى عدم القفز فوق حاجز الوعى لأن ذلك يقع فى منزلق القصور فى الإدراك « رغم وجود اللجان الثورية » ، وتأجيل ذلك الإعلان التاريخى حتى القرن الثانى والعشرين مثلاً ؟

أيها الليبيون الحرية ليست شيئاً قابلاً للعرض فى المزاد العلنى وليست كماً مادياً يمكن مثلاً مقارنته على كف ميزان برطل من لحم العيد لمعرفة أيهما أثقل وزناً وتحديد الأفضل قياساً على ذلك . وإذا كان كل شىء قد قدم لكم على طبق من ذهب منذ تفجر ثورة الفاتح 69 م وحتى الآن لم تصل حتى قطرة دم واحدة لتعرفوا ولتقدروا قيمة ما حدث ويحدث فإن ذلك لا يمنع من تذكيركم بأن جماهير فرنسا فى ثورتها الكبرى 1789 م

قد قدمت الآلاف من أبنائها لتحقيق الحرية السياسية والاقتصادية التى كبلها الملك والكنيسة والإقطاع. . ورغم عظمة تلك الثورة ورغم تضحية الجماهير المتناهية فإنها لم تنل شيئاً مما حلمت به وما لبثت البرجوازية أن احتكرت لنفسها نتائج الإنتصار الذى حققته الجماهير فى معركتها تلك ، والقصد من هذا التذكير أن كل الشعوب فى العالم دفعت وتـدفع ضريبة انتصـارها وحريتها دماً دون أن تنالها أو يتحقق لها حلم ممارستها واقعياً ، بينما يتاح لكم - انتم إيها الليبيون - فرصة أن تكونوا أول شعب سيد فى العالم ثم لا تجيدوا إداء هذا الدور التاريخى العظيم مسجلين أسوأ نقطة يمكن حسابها لصالح القوى المعادية للجماهير وهى رفض الحرية . . أو بشكل أخر إساءة فهمها وممارستها .

أيها الليبيون بقدر ما يكون الإنسان حراً بقدر ما يكون مسؤولاً عن حريته التى لا تعنى بأى حال من الأحوال الاسترخاء فى البيوت انتظاراً لعطايا السماء وكرم الرب . . كما أن إمكانية الحصول على الحرية وممارستها بهذه البساطة قد لا تكون متاحة أبـداً فى المستقبل لأى شعب من الشعـوب الأخرى ولكن هذا لا يعنى تهاونكم فى التمسك بها وممارستها بالشكل الصحيح . . أم أنكم تريدون ترجيح ما يقال من أن الأشياء التى يسهل الحصول عليها يسهل بنفس القدر فقدها ؟؟



هل يمارسون ديكتاتوريتهم ؟(*)

عام سيء جداً أيتها التفسيرات الرجعية ؟

عام سيء أيتها الثقافة القديمة المتراكمة فى الأذهان ، المترسبة كملح سبخة بنغازى . .

أيها القرار الموغل فى الدكتاتورية . . . المتخذ بدون وعى موضوعى ولا حتى منطقى أو علمى عام ليس طيباً أيتها التبريرات العقيمة . . المرتدية قناع الدين . . المتسترة بآيات القرآن المفسرة حسب أهواء الرجال ممارسى العسف والجور ضد النساء ؟؟

هل أستطيع أن أكون أكثر موضوعية فى تحليل سريع ومبسط لما جرى فى الأيام السابقة فى بعض المؤتمرات الشعبية أثناء مناقشة البند المتعلق بالطلاق والزواج ؟؟ . . لست أدرى كيف يعبر بشكل دقيق عن سير النقاش فى تلك المؤتمرات ؟ أهى أزمة وعى ؟ . . أزمة تفكير ؟ أزمة ثقافة ؟ . . أم هى حركة منظمة فعلاً وبشكل معاد يجهض فى الحال أى بادرة للوعى الجماهيرى عموماً وبمنظار ضيق عند النساء خصوصاً ؟ . .

على أية حال يمكن تناول هذا الموضوع من زوايا عديدة ولعل أهم

(*) نشر بصحيفة الزحف الأخضر عدد (   ) 17 - 1 - 1983 .

جانب يمكن التطرق إليه هو أن هناك مفاهيم جديدة وثقافة جديدة تحاول أن تطرح نفسها - فى مواجهة غير متكافئة الآن - فى مقابل ثقافة سائدة ومسيطرة تستمد سيطرتها على الأذهان من عدة تراكمات تاريخية يمكن إيجازها فى الموروث الثقافى المتمثل فى عادات وتقاليد وعرف هذا المجتمع الذى لا يمكن فصله أيضاً عن كونه متأثراً ومؤثراً فى غيره من المجتمعات الأخرى وكذلك فى الإرث الدينى المشوه عبر مروره بالمؤسسات الدينية التى احتكرت زمناً طويلاً الوساطة بين الله وعباده وعبر الثقافة الرجعية التى طرحتها هذه المؤسسات من خلال كتبها الصفراء وتفسيراتها المعوجة لآيات القرآن وتزويرها لأحاديث الرسول لترسيخ مفاهيم هذه الثقافة وقيمها فى الأذهان . . هذه الثقافة تطرح نفسها وبشكل ساخر فى بعض المؤتمرات الشعبية معلنة حرباً شعواء على كل ما هو جديد . . خاصة إذا كان هذا الجديد يمس العلاقات الاجتماعية مساً مباشراً وللأسف فإنه ينبغى الاعتراف بأن الموروث الرجعى قد انتصر بخروجه فى شكل قرارات بعض المؤتمرات مستغلاً عدة عوامل ، لعل من أهمها :

1 - نسبة حضور النساء الضعيفة فى تلك المؤتمرات مقارنة بنسبة حضور الرجال رغم أن هناك نقطة جديرة بالملاحظة وهى أن حضور النساء هذه الدورة هو أكثر من الحضور فى الدورات السابقة لكن هذا الحضور غير مؤثر على الإطلاق وهذا أمر واقعى باعتبار أنها التجربة الأولى فى الحضور لكثير من النساء وكذلك فإنه من المؤسف أن كثيراً من المؤسسات التعليمية قرنت عملية حضور الطالبات للمؤتمرات بدرجات امتحانات أعمال السنة رغم أنه فى سلطة الشعب لا إجبار ولا تعسف ضد من يرفض ممارسة حريته ويكفيه عقاباً أن يقرر المجتمع فى غيابه كل شىء متحملاً التطبيق دون انتقاد . . وهكذا فإن المحصلة التى نخرج بها من هذه النقطة أن الحضور كان فى عمومه ضعيفاً وحتى الحاضرات - عدا استثناءات قليلة - كن « صم بكم » .

2 - إن نسبة الوعى عند النساء بالذات هى أضعف منها عند الرجال

وأقصد بكلمة الوعى هو الإدراك الشمولى لكل معطيات الواقع بحيث أن النقاش فى أغلب بنود جدول الأعمال اقتصر على الرجال وحتى اللائى تحدثن كن يطرحن حقائق من الواقع أقصد أنهن يصغن أكثر مما يطرحن نقاطاً علمية يمكن أن تكون شيئاً ذا قيمة فى النقاش وهذا يرجع إلى أن أغلب الحاضرات إما:

أ ـ غير متعلمات أقصد أميات وأولئك لا نلومهن فى كونهن هكذا ولكن الذنب الحقيقى يرجع لظروف المجتمع فى السابق رغم أنه ينبغى الإشارة إلى أن الوعى غير مرتبط بشكل كلى بالتعليم .

ب ـ متعلمات تلقين تعليماً تقليدياً لا ترتبط مناهجه (البايتة) بالواقع على الإطلاق وهو فى أكثر الأحوال منهج تلقينى يخرج لنا دفعات متتالية من أنصاف المتعلمات اللائى يستطعن (فك الخط) دون فهم ما تعنيه الكلمات وكذلك فإن هؤلاء المتعلمات أيضاً يرتبطن بمجتمع ثقافته السائدة رجعية (ولا أقصد بها الارتداد فى التفكير إلى مئات السنوات السابقة دون مراعاة لتغير الأشياء بحكم التطور) . . وهذه الثقافة تطرح نفسها فى شكل عادات وتقاليد وتظهر فى شكل سلوكيات يومية أبدأها بالعلاقة الظالمة وغير العادلة بين الرجل والمرأة المدعمة بالتفسير غير الصحيح لآيات القرآن وللأحاديث المنسوبة للرسول وانتهاء بكل المترتبات الناتجة عن هذه العلاقات الظالمة من مشاكل اجتماعية وأعنى بها الطلاق، انحراف الأحداث، جنوح النساء، التفكك الأسرى الذى قد يظهر فى المجتمع بشكل عام . . . الخ . . . .

3 ـ ضعف الثقافة الدينية عند طرفى المجتمع من رجال ونساء ولا أقصد بالثقافة الدينية العبادات التى يؤديها الإنسان فتلك علاقة بين العبد وربه وهى قضية ذاتية لا يهمنا التطرق إليها ولكنى أقصد بالثقافة الدينية ما يتعلق منها بتحديد العلاقات والمعاملات بين أفراد المجتمع وخاصة فيما يتعلق بالزواج والطلاق حيث نرى فى أغلب المؤتمرات التفسيرات الغريبة والعجيبة لآيات القرآن وحيث نرى استخدام أحاديث الرسول فى غير مواقعها

الصحيحة وحيث نرى الخطب العصماء فى طاعة المرأة للرجل وسيادته عليها وهذا كله يحدث للأسف فى غياب التفسير الحقيقى والصحيح للقرآن . . إن الحاجة الماسة لتفسير جديد للقرآن أصبح أمراً تفرضه الرغبة فى إحلال القيم والمفاهيم الحقيقية للقرآن كبديل موضوعى وعلمى لما هو سائد من قوانين وعادات وعرف اجتماعى نابع من التفسير الرجعى للقرآن الذى ظل سائداً فترة طويلة من الزمن والتفسير الحقيقى والجديد للقرآن يحتاج إلى من يتشبع بقيم العدالة والخير والمساواة التى جاءت بها النظرية (كتدعيم لما هو مطروح فى القرآن) ورغم أننى أستغرب جداً أن يقتنع الناس فى الجماهيرية بأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم هى علاقة ظالمة لأنه أصلاً لا ينبغى أن يكون هناك حاكم ومحكوم وأن يقتنعوا بأن العلاقة بين رب العمل والأجير « هى علاقة ظالمة لأن الصحيح هو أن لا يكون هناك رب عمل وأجير بل شركاء دون وسيط . . استغرب اقتناعهم بذلك فى نفس الوقت الذى لا يستطيعون فيه أن يقتنعوا أن العلاقة الحالية بين الرجل والمرأة فى المجتمع الليبى هى علاقة ظالمة مبنية على أساس من عدم التساوى بين الإرادتين اللتين عقد بينهما الزواج ؟؟ على أية حال فإننى أحاول أن أقنع نفسى أن التغيير فى العلاقات الاجتماعية هو تغيير فى الأساس للأسس الثقافية التى ترتب عليها ظهور هذه العلاقات وهذا أمر يصعب تحقيقه فى سنوات قليلة رغم أن الفعل الثورى الواعى باتجاه التغيير لو حدث بشكله الصحيح من قبل اللجان الثورية لقصر الزمن الذى يستغرقه التغيير الذى يتم بشكله التلقائى الحالى .

• إن الحديث عن الثقافة الدينية الجديدة التى ينبغى التفكير جدياً فى كيفية طرحها المنطقى العلمى يجرنا إلى الحديث عن الآتى :

أ ـ عن المناهج الدينية الممتلئة بتفسيرات خاطئة والتى تدرس لأكثر من 12 سنة (6 سنوات ابتدائى و 6 إعدادى وثانوى) بشكل مشوه لحقيقة الدين فى حين أننا نحتاج إلى مناهج دينية تؤكد قيم العدالة والمساواة والتسامح والمحبة التى تؤكدها كل آيات القرآن ونحتاج إلى أن تتأكد هذه القيم فى

أذهان الطلاب منذ مراحل تعليمهم الأولى حتى لا يجدوا تناقضاً بين ما يدرسونه وبين ما يجرى تطبيقه فى الواقع لأن ما يحدث الآن أن الطلاب يلقنون (وفق المناهج الحالية) على سبيل المثال أن العلاقة بين الرجل والمرأة هى علاقة بين طرف أقوى وطرف أضعف وأنه لا يجوز للطرف الأضعف التمرد على الطرف الأقوى ولكنهم فى الواقع يجدون طرحاً وقيماً ومفاهيم جديدة تصطدم بما لقنتهم إياه المناهج الدينية . .

ب - إننا بطرحنا للثقافة الدينية الجديدة لن نجد مستقبلاً من يفسر لنا القرآن حسب أهوائه ومزاجه كما حدث فى دورة المؤتمرات الحالية حيث فسر أحدهم على سبيل المثال الآية التى تقول « الرجال قوامون على النساء » على أنها تعنى سيادة الرجل ووصايته على المرأة متناسياً بقية الآية التى تقول « بما فضل الله بعضهم عن بعض وبما أنفقوا من أموالهم» ومتناسياً التفسير الحقيقى لكلمة « قوامون » سائراً فى نفس طريقة الذين يكتفون بذكر « ولا تقربوا الصلاة دون ذكر بقية الآية التى تقول « وأنتم سكارى » وكذلك فإنه لن تأتينا امرأة (غير واعية) لتقول لنا إن اتفاق الطرفين على الطلاق كما هو وارد بالمذكرة التوضيحية الخاصة بمشروع قانون الزواج والطلاق هى نقطة متعارضة تماماً مع الآية التى تقول « وطلقوهن » على اعتبار أن الفعل هنا منته بنون النسون العائدة على النساء والدالة على أن الطلاق فى يد الرجل فقط متناسية أن هذه النقطة تعنى بالتحديد أن لفظ (الطلاق) يقوله الرجل أمام القاضى بعد أن يعرف من منهما الراغب فى الطلاق وليس المقصود من اتفاق الطرفين على الطلاق أن تقول المرأة للرجل (أنت طالق) وعلى أية حال فإن النقاش بهذا الشكل هو أمر سخيف لأن الغرض الأساسى من هذه النقطة هو عدم وقوع الطلاق غيابياً أى فى غياب المرأة كما يحدث الآن إذ تفاجأ المرأة بورقة الطلاق تأتيها أحياناً حتى دون أن تدرى شيئاً عن الموضوع .

● ولكن إلى أن تترسخ الثقافة الجديدة فى ذهن كل فرد من هذا

المجتمع برجاله ونسائه هل يمكن أن يمارس الـرجال دكتـاتوريتهم على النساء ؟ وهل يمكن أن يتحول الطرح الرجعى الذى طرح فى كثير من المؤتمرات بخصوص الزواج والطلاق إلى قوانين تحكم العلاقة بين الرجال والنساء مجسدة بشكل صريح علاقات ظالمة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من أبعاد ومآسى . . أم ننتظر أن يتدخل القائد ثانية فى مؤتمر الشعب العام الذى سيعقد بعد انتهاء المؤتمرات الشعبية من مناقشة جداول أعمالها ليوقف صدور مثل هذا القرار الجائر كما فعل فى العام الماضى ؟؟ أعتقد أن هذا التدخل مطلوب وبشكل ملح جداً . . فهل يفعلها ؟؟

دعوة لممارسة الثورة ؟(*)

الجماهير لا تحكم الآن فى ليبيا . . وإمكانات القوة ليست فى يدها رغم أنف المؤتمرات وقرارات الجماهير لا تختلف عن حق التعبير فى أنظمة أخرى .

ثمة نمو سرطانى لفئات خيل للجماهير أنه قد تم تجريدها من أوراقها السياسية والاقتصادية ولكن شبه للجماهير ذلك وها هى أوراقها الخبيثة تتفجر من جديد . .

ثمة أيضاً شرائح جديدة تبرجزت وظهرت بعد أن تسلقت حائط الانتهازية فتكرشت بطون أصحابها من فرط ما كدسوا وكنزوا .

البيت لساكنه، الأرض ملك للإقطاعيين. اللجان الشعبية طوع بنان القبيلة التشاركيات للبرجوازيين المرتدين رداء الاشتراكية. . والمنتجون ليسوا شركاء فى الواقع لأنهم أجراء للدولة والأجهزة تزداد قوة بحجة ازدياد الخطر على الثورة . . والمؤسسة العسكرية التقليدية لم تؤد مهمة بناء الشعب المسلح لأن ضباطها مقتنعون بأن من لا ينضوى تحت لواء مؤسسة

(*) نشر بصحيفة الجماهيرية عدد (   ) 6 - 11 - 86 م .

العسكرتاريا رسمياً غير مؤهل لأداء مهمة القتال . . ورغم هذا كله هل تحل المشكلة « دعوة ملحة لتشكيل حزب » .

إن التعامل مع (دعوة ملحة لتشكيل حـزب) لا يتم على أساس البحث عما وراء الفكرة بدعوى أن الحزب المقصود هنا ليس الذى تناوله الكتاب الأخضر بالتحليل والتشريح والذى نراه فى أغلب الأنظمة القائمة فى العالم . . . الدعوة هنا لا نتعامل معها على أنها تلاعب بالألفاظ . . لكننا نتعامل معها على أنها فكرة جريئة تطرح . . أفرزها الألم الرهيب الذى لا يحسه إلا من بذل عمره لتفجير ثورة وتحقيق حلم يراه يجهض الآن أمام عينيه وفى وجوده . . ولا شك أن الإحساس العميق بالخوف على الثورة الخوف من سرقة سلطة الشعب يبرر أى تطرف فى ممارسة الثورة لحمايتها لضمان بناء دولة الجماهير . لكن رغم قوة هذا الشعور إلا أن ذلك لا يعطى لأحد الحق أن يتصرف فى الفكرة وفى النظرية التى صارت ملكاً لكل الثوار لكل الجماهير وللإنسانية كنتاج رائع لعذابات كابدها الإنسان طويلاً فهل يسمح مثلاً لدولة الجماهير أن يحكمها رئيس بحجة الخوف عليها ؟ إننا فى اللحظة التى نضع فيها هذا القيد نكون قد ألغينا واقعياً « الجماهيرية »» وأفرغناها من محتواها .

ولو تجاوزنا هذه الأساسية إلى الدخول فى تفاصيل الفكرة فسنجد سؤالاً عمن يضمه هذا الحزب ؟ هل ثمة أحد يملك أن يعطى ولو ضماناً واحداً بأن من يصنفون بممارساتهم ضد الجماهير لن يدخلوا حزبها إن كثيراً من هؤلاء من أمنـاء بعقلية وزراء وضبـاط كبـار لهم خـدم فى بيـوتهم و«سواقون» لزوجاتهم وأتباع لقضاء حاجاتهم ومن ثوريين أتيحت لهم بفعل تكليفهم ببعض الأجهزة والمؤسسات فرصة إشباع عقد النقص ومـركبات الضعف فحشـدوا الطوابيـر خلفهم وكادوا يفتتـون الحركـة الثـوريـة إلى مجمـوعات متصـارعـة . . هؤلاء وغيـرهم من المحسـوبين على الثـورة يتحاجون بأن ملفاتهم الشخصية وسلوكياتهم اليومية لا علاقة لها بمسألة انتمائهم للثورة وإنهم سيدافعون عن « معمر » بأرواحهم وكأن المسألة ليست

مسألة فكرة مثلى خيرة ينبغى تطبيقها وهم رسلها والمبشرون بها الذين ينبغى أن يكونوا نموذجاً يحتذى . .

لقد حاول « عبد الناصر » بناء تنظيمات عدة لكنه كان يحلها فى كل مرة حين يجد أمامه ذات العناصر التى أراد إبعادها وقد تصدرت كل تنظيم يبنيه ، فهل بمثل هؤلاء يتم الفرز ؟ ! وهل بتشكيل حزب يتم الفرز ؟ ! ولا بد أن الكثيرين يتذكرون حواراً واسعاً جرى قبيل الملتقى السادس وأثناءه حول مسألة التنظيم الثورى ورفض هذا لأن تعبير « حركة » يتفق ومهمة اللجان الثورية التاريخية التى تقول بذوبانها حال وصول الجماهير إلى مستوى وعيها بينما مصطلح تنظيم يعطى انطباعاً بديمومتها فماذا عن الحزب إذا ؟؟ من يعطى ضماناً بأن مهمته ستنتهى حال انتهاء الفرز ؟ من يعطى ضماناً بأنه يستطيع أصلاً أن يحقق الفرز ؟

إن الديمقراطية ستنتكس مؤكداً إذا أعطينا لأنفسنا حق تشكيل حزب فتعطى الشرائح الأخرى التى تم تصنيفها على أنها معادية للجماهير العاملة لنفسها حق تشكيل حزب هى الأخرى وهكذا سينتهى الأمر بمهزلة كبرى إذ قد يتآلف أعوان الشيطان وينتصرون بحزبهم بما أنهم يشكلون منذ الآن - رغم عدم تجمعهم فى تنظيم محدد - طرفاً أقوى يسرق إمكانات الجماهير ويوظفها لصالحه .

إن التناقض فى الواقع ليس صورياً ، إنه تناقض واقعى فالجماهير - ولا استخدام هنا تعبير شعب - ليست أقلية . . ليس جزءاً . . الجماهير صاحبة المصلحة فى الثورة - ليس بالمعنى الانتهازى ولكن بالمعنى القيمى هذه الجماهير هى نقيض للجزء . . نقيض بالضرورة للتحزب . . الحزب بالمعنى السياسى والثورى لايمكن إلا أن يكون أداة حكم إنه لا يتشكل فى الفراغ ومن أجل لا شىء . . إنه يتشكل لأنه يريد فرض رؤيته على الآخرين وتحقيق مصالح الأقلية التى تنتمى إليه وفى هذا تضاد مع الفكرة الجماهيرية التى تعنى سلطة كل الناس . . إن القبول يعنى

القبول بنسف المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية واللجان الثورية أيضاً وبحجة المرحلية والخوف على الثورة يتم ذبح التجربة الجماهيرية من الوريد إلى الوريد .

إننا نعى بقوة الخطر المحدق بالثورة فى الداخل إلا أن هناك وعياً أقوى بأنه لن يساعد الجماهير تشكيل حزب .. ولن تتمكن من ممارسة سلطتها والسيطرة على مقدراتها بوسيلة هى نقيض الغاية .. لن تصل الجماهير إلى الديمقراطية المباشرة بطريق لا ديمقراطى .. ولن يكون ثمة معنى حقيقى وواقعى لمقولات إنسانية عادلة وستتحول مقولات .. السيارة لمن يقودها .. البيت لساكنه ، الأرض ليست ملكاً لأحد ، شركاء لا أجراء .. إلى مجرد شعارات .. لن يساعد الجماهير غير أن تقرأ النظرية الثورية مثنى وثلاث ورباع وأكثر من ذلك وأن يتم تحريضها ثورياً على فرز أعدائها وتصفيتهم.. وتتحول المؤتمرات الشعبية إلى ساحات صراع .. إنها مسألة وعى .. وعى الجماهير بأن الثورة من أجلها ، بأن السلطة لها والثروة لها والسلاح لها .

فلماذا نفترض أن هذا الوعى لا يحققه إلا حزب ؟ ! إن الإحساس بالغبن والوعى لا يتم بقرار ولا بأمر لكنه يتم بتفاعل يومى مستمر .. بتحريض ثورى ينقل الجماهير من مرحلة الإحساس إلى الوعى ومن ثم المواجهة وينبغى التذكير هنا بأن معالجة أخطاء فى الثورة لا تكون إلا بالمزيد من الثورة ولا ينبغى أن يتم التعويض عن الفشل بالاتجاه نحو التسلط ذلك أمر مرفوض لأنه يؤدى إلى الدكتاتورية حتى لو اتخذ غطاء حماية الثورة .

رابعاً: المسرحية

« الدائرة »

أشخاص المسرحية:

هدى

محسن

أسعد

خالد

أحمد

عمار

فاطمة

سناء

فؤاد

قائد المجموعة 1

قائد المجموعة 2

قائد المجموعة 4

قائد المجموعة 7

الأم

الفتاة

الفصل الأول

قاعة كبيرة مغلقة النوافذ، لها باب فى جانبها الأيمن وباب آخر أصغر حجماً فى الجانب الأيسر، طاولة دائرية وعدد من الكراسى قرب الباب الأيسر كرسيان للراحة تتكدس بقربهما أعداد كثيرة من المجلات والصحف.. يعطى المكان انطباع بكونه مكان للعمل السرى.

المشهد الأول

تدخل هدى من الباب الجانبى الأيسر ثم يتبعها أحمد.

هدى : **(تبدو وكأنها تحدث نفسها)** إن القلق يكاد يقتلنى...

أحمد : بأعجوبة أفلت منهم..

هدى : انقضت الفترة المحددة.

أحمد : نعم ولكن استطعت إلصاق كل المنشورات، هل تريدين أن تستمعى لأطرف موقف حدث لى اليوم **(تبدو هدى غير منتبهة لما يقوله)** وقفت أمام أحد المطاعم الصغيرة وطلبتُ من صاحبه «سندويشاً» وفيما هو يجهزه مددت له آخر نسخة من المنشور كانت معى قلت له: اقرأه فإذا به يلف به «السندويش» ويمده إلى قائلاً آسف يا أستاذ لا أعرف القراءة.

هدى : هيه.. أنت عما تتحدث؟

أحمد : عن العمل الذى كنت أؤديه.

هدى : ولكنى لم أسألك عنه ـ قلت إن المجموعة تأخرت.

أحمد : خسارة.. كنت أحسبك تهتمين بما أفعل.

هدى : أحمد أرجوك. هذا ليس وقت المزاح **«تواجهه»** مضت ثلاثة أيام مذ غادر «عمار» مع المجموعة لم يصلنا منهم أى خبر ولا نعرف عنهم شيئاً.

أحمد : ما دام «عمار» فلن يحدث لهم شيء رغم أننى أنا أيضاً لم أكن موافقاً على خروجه بذاته، كان يكفى رسم الخطة وترك قيادة المجموعة لمحسن أو خالد ولكن لا بأس. لا تقلقى. ربما اضطرتهم الظروف للاختفاء..

هدى : أتمنى ذلك.

أحمد : (وهو يتأهب للخروج) - هل تريدين منى شيئاً؟

هدى : هل ستخرج؟

أحمد : نعم.

هدى : إلى أين؟

أحمد : ينبغى أن أتصل بالمجموعة (6) وصلتنى معلومات تقول أن طلاب الجامعة يتأهبون للإضراب.

هدى : هل تذكر المعلومات أسباب الإضراب؟

أحمد : نعم. أسباب متعددة أحدها النشاط السياسى فى الجامعة اتحاد الطلاب. ارتفاع تكاليف الدراسة. وهكذا.

هدى : (بانتباه وتركيز) - هذا رائع اجعل المجموعة (6) تتحرك بسرعة ولكن بدقة لتطور الأمر من مجرد إضراب عادى إلى مظاهرة ودعهم يعدون شعارات وهتافات مناسبة. (تصمت هدى لفترة بسيطة). ثم اتصل بعبد القادر (رجلنا) فى «بوليس» المنطقة وقل له اننا نريد أن يحدث اشتباك بين الطلاب ورجال البوليس لنضع الحكومة فى موقف حرج.

أحمد : هل أعلم أسعد؟

هدى : لا بأس.

أحمد : بالمناسبة. هل أسألهم عن «عمار» والمجموعة فربما كانوا يعرفون معلومات تهمنا؟.

هدى : كلا. كلا لا ينبغى لأى مجموعة أن تعرف بغياب «عمار» عن مقر القيادة وسنعرف كيف نتدبر أمرنا إذا لم يأتنا خبر عنهم اليوم.

أحمد : حسناً. إلى اللقاء.

هدى : احتط لنفسك وتصرف بهدوء.

المشهد الثانى

هدى ـ أسعد

(هدى منكبة على قراءة مجموعة من الأوراق فى يدها تبدو وكأنها تقرير. يدخل أسعد وهو شاب وسيم. معتدل القامة فى نحو الخامسة والعشرين من عمره).

أسعد : أجمل تحية لأروع ثورية فى العالم.

هدى : (ملتفتة نحوه) ـ أهلاً أسعد. هل بدأت تكتب شعراً؟

أسعد : شعر فقط. هذا قليل فى حقك (تبتسم هدى).

هدى : هل أخذت كفايتك من النوم؟.

أسعد : إلى حد ما بما يكفى للعمل 24 ساعة أخرى.

هدى : أنت تتعب نفسك كثيراً.

أسعد : ليس بحجم ما هو مطلوب. ما ندعو إليه عظيم.. إعادة تشكيل لتركيبة الأشياء إعادة صياغة للكون.

هدى : إننى أغمض عينى كل ليلة قبل أن أنام وأحلم بمدينة فاضلة جديدة (تصمت لحظة) لكن حين افتحهما مجدداً أكاد أسقط حزناً. هذه البلاد غابة من الوحوش كل يسحق الآخر. نهم، جشع، جوع لا يشبع فقراء بلا عدد والرغيف حلم لا تطاله أيديهم كأنما يسكن أحشاء أغنياء هذا البلد غول مخيف يلتهم فقراءها كل يوم، عزاؤنا الوحيد هو ما نفعله الآن.

أسعد : فى وضع كالذى نعيشه تصبح المقامرة أفضل من الانحناء. على الأقل هناك أمل بالانتصار.

هدى : آه هل يمكن أن ننجح؟

أسعد : لِمَ لا؟ هذا يتوقف علينا

هدى : بالمناسبة هل أخبرك أحمد باتصاله بالمجموعة (7)؟

أسعد : نعم هذه فرصة جيدة للعمل سأبدأ فى إعداد منشور جديد.

هدى : والكتب الصغيرة؟.

أسعد : طبعنا خمساً منها والسادس لا زلت أكتبه. التوزيع كان رائعاً وبطريقة ذكية، وردود الفعل فى الشارع يمكن استثمارها.

هدى : أنا لا أريد أن أحلم أنا أريد لهذه الخارطة أن تتغير.

أسعد : الحلم هو البداية. لا يمكن أن نغيّر دون أن تكون صورة ما نريده بين أعيننا (يقترب منها) هدى أنا لى حلمَان. الوطن وأنت.

هدى : لكن ثانيهما أقرب إلى التحقق بكثير جداً من الحلم الأول.

أسعد : هذا الحق يمنحنى شحنة قوية للعمل. إنه محركى الداخلى.

هدى : حتى تعبيراتك التى تستخدمها منسجمة مع الحركة «منضبط» على الأصول (شحنة، محرك، داخلى) وبماذا أيضاً أيها الثورى؟ (تضحك).

أسعد : وكيف تريديننى أن أتكلم؟ إننى أعشقك يا صاحبة أجمل عينين رأيتهما فى حياتى. إن لشعرك بريق يسلب العقل إننى - إننى (يفكر كأنما يبحث عن كلمات) لاأنام الليل من فرط التفكير بك - يا إلّهى اسعفنى.. إننى...

هدى : كفى.. أردت ممازحتك فقط. أعرف أن مثل هذه الكلمات ليست لك وأنت لا تجيد سبكها.

أسعد : لا يهم ذلك ما دمت تعرفين ما تمثلين لى.

هدى : وأنا كذلك. ولكن هذا ليس وقتنا الخاص. إنه وقت الآخرين هل تدرك ذلك؟.

أسعد : أعرف. ولكن مثل هذه اللحظات تضفى طعماً خاصاً وقبل أن ننتقل للعمل هل ستخرج معنا الليلة؟.

هدى : نعم ولكن ليس قبل الاطمئنان على عمار والمجموعة التى معه.

أسعد : ألم يصل منهم شىء؟

هدى : كلا وهذا هو الغريب فى الأمر.

أسعد : ما كان «لعمار» أن يخرج بنفسه للعملية.

هدى : قلت له ذلك لكنه أصر. يرى أن هذه العملية خطيرة وإنها ينبغى أن تنفذ بالشكل المعدّ لها.

أسعد : لكن «محسن» و«خالد» كانا يستطيعان ذلك أيضاً.

هدى : لن يجدى مثل هذا النقاش ما حدث حدث. المهم معرفة مكانهم وما حلّ بهم.

أسعد : يمكننى الاتصال «بسعيد» قائد المجموعة الثامنة. إنه الأقرب إلى مكان العملية.

هدى : قلت لأحمد قبلك أنه ليس جيداً أن تعلم أى مجموعة غيرنا بغيابه عن «المقر».

أسعد : إنه قائد الحركة ومن حق قادة المجموعة معرفة تحركاته ليس فى ذلك بأس.

هدى : ليس دائماً إن مثل هذا الخبر قد يصيبهم بقلق ويخفض من روحهم المعنوية.

أسعد : لكن ثلاثة أيام مدة طويلة فى الأحوال العادية يكون الاتصال مستمراً وعلى فترات منتظمة. هذه المرة لم يتصلوا على الاطلاق.

هدى : ألم تشتم رائحة شيء غير عادى من أصدقائك فى وزارة الخارجية أو الإعلام؟

أسعد : كلا. لأننى لم أقابل أحداً منهم منذ عدة أيام .

هدى : أمن إذاً اتصالاً سريعاً بهم اليوم إن أمكن.

المشهد الثالث

(يدخل أحمد وهدى وأسعد يتناقشان)

أحمد : أحديث خاص أم يمكن الخوض فيه؟

هدى : تعال يا أحمد.

أسعد : هل أتممت الاتصال؟

أحمد : نعم الإضراب سيبدأ بعد غد. والمجموعة ستخطط للتحرك وفق ما أبلغتهم من تـعليـمــات.

(هدى تخطو نحو الخريطة العسكرية المعلقة على الجدار وتشير بعصا فى يدها إلى منطقة معينة عليها).

هدى : المنطقة (حـ) **(ملتفتة نحو أسعد وأحمد)**. إن هذا سيكون أول تحرك للمجموعـة (6). المنطقـة حساسـة وأى خلل فيها سيكون لصالحنا. ألا يمكن يا أحمد مد نطاق الإضراب إلى غير الطلاب؟

أحمد : هذا احتمال وارد إذا تطور الإضراب إلى مظاهرة وخرجت عن نطاق الجامعة ولكن نجاح هذا الاحتمال ليس كبير الآن «البوليس» متشدد وسيصطدم بهم بقسوة.

هدى : لا، لا أقصد أن يحرك الطلاب بقية الفئات الأخرى أن يكون لدى هذه الفئات ما يحركها هى أيضاً فى نفس الفترة.

أحمد : وفقاً لما نعرفه جميعاً. يعيش عمال هذه المنطقة وضعـاً سيئاً للغاية وبشكل عام فالمنطقة مهملة وهذا ما يثير الأهالى ضد الحكومة.

أسعد : الشمال والجنوب كالعادة.

هدى : **(مبتسمة)** تتحدث هكذا لأنك من الجنوب؟

أسعد : أليس هذاهو الواقع؟.

هدى : المسألة بالنسبة لنا أكبر من شمال وجنوب المسألة مسألة وطن بكامله وهذه التقسيمات لا تفيدنا إلا كتكتيك لأوليات العمل.

أسعد : وهذا ما أقصده أنا أيضاً حين تكون منطقة ما مهملة أكثر من غيرها وسكانها يعانون من الفقر والتخلف والقمع فإنها ستكون فى العادة أكثر تطلعاً إلى التغيير.

أحمد : ليس دائماً فى أحيان كثيرة يدفع الفقر والقمع إلى مزيد من الخضوع ثم إن المتخلفين يسهل خداعهم لأنهم يتعلقون

بالغيبيات ويتمسكون بالخرافات يكفى أن تسأل أحدهم عن سبب فقره ليقول لك الله غالب مشيئة الله ورفعنا بعضكم فوق بعض طبقات وخذ من هذا آلاف الأمثلة.

هدى : لا بأس بذلك يا أحمد نحن أيضاً كنا نقول ذلك القضية قضية وعى أن تعى أن الله لا دخل له فيما يفعله البشر إنه يخلق الإنسان ويبين له كافة السبل الإنسان هو الذى يختار ويتحمل تبعات اختياره. هؤلاء الذين تحكى عنهم يحتاجون إلى من يفهمهم أن سبب فقرهم من بينهم أولئك الذين يقتلونهم كل يوم ويتركونهم غير مالكين إلا ما يكفى لتشغيلهم كالحيوانات.

أحمد : هل يبيع الإنسان حريته مقابل كسرة خبز.

هدى : هذا يتعلق بجملة الظروف التى تحيط به من الناس من يخاف فيرضى بواقعه. ومنهم من يصاب باليأس فلا يفعل شيئاً وكثيرين يرضون بفقدان حريتهم مقابل رغيف خبز لأطفالهم وهكذا .

أحمد : الصعوبة الحقيقية هى تغيير كل هذه النماذج.

هدى : هذا صعب ولكن ليس مستحيلاً.

أسعد : أحياناً يقترب من الاستحالة فى وجود دولة كهذه. . . بوليس متفنن فى القمع. قوات خاصة. مخابرات، نجدة تأتي حال طلبها من الخارج. اللهم صلى على النبى وفوق هذا كله التخلف وعدم الوعى.

هدى : لا شىء فوق إرادة الإنسان لاشىء خارجها ما من قوة تعادلها حين يرغب فى تحقيق شىء ما. ثم لماذا بدأنا إذاً؟ أليس لأن ما يحدث ينبغى أن ينسف من قبل كل المتطلعين للشمس وليس بنا نحن فقط (تخاطب أحمد) مثلما تغيرنا نحن مثلما سيتغير تفكير كل هؤلاء لا شىء مستحيل.

أحمد : أنا أظن (يقطع حديثه صوت طرقات عنيفة على الباب. ثلاث طرقات يفصل بين كل منها فترة زمنية بسيطة يلتفتون جميعاً ناحية الباب تشير هدى إلى أحمد بفتح الباب فيما تخرج مسدسها من تحت معطفها.

هدى : أحمد افتح الباب.

(يفتح أحمد الباب يدخل خالد بسرعة وهو شاب يقترب من الثلاثين، طويل القامة جاد القسمات يتوقف فجأة فى منتصف المسافة فى مواجهة هدى).

أسعد : خالد!!

هدى : خالد ما بك (تتطلع إلى الباب وكأنها تنتظر دخول أحد) أين عمار ومحسن؟.

خالد : ....

هدى : خالد لا تحطم أعصابنا ماذا حدث؟.

خالد : (فاتحاً يديه كمن يعلن أن الأمر خارج عن إرادته) عمّار!!

هدى : (صارخة) ما به؟.

خالد : استشهد.

هدى وأسعد وأحمد فى نفس الوقت ـ لا.

هدى : (ترمى سلاحها بقوة علي الأرض) ـ لا مستحيل..

(يتهالك أحمد على أحد الكراسى دون أن يتكلم. فيما يلتفت أسعد وقد تمالك نفسه).

أسعد : ماذا حدث بالضبط.

خالد : (بحزن شديد) ـ هناك خيانة.

أسعد : ماذا؟.

خالد : كانت خطتنا لديهم وكادوا يمسكوا بنا لولا أننا تأخرنا بعض

الوقت أعدوا كميناً لنا واستطاعوا إصابة «عمار» وبعض الشباب الآخرين **(يصمت فى تأثر)**.

أسعد : ثم؟

خالد : نقلنا «عمار» بعد إصابته إلى مقر إحدى المجموعات القريبة ولم نشأ إبلاغكم حتى لا ترتبكوا ويتوقف العمل.

أسعد : كان هذا سيحدث إن آجلاً أم عاجلاً.

هدى : **(تخاطب نفسها)** آه يا إلهى لماذا يحدث هذا كله؟ أبعد أن بدأنا نَعِدُ أنفسنا بالانتصار؟ لكأن الزمن يتوقف ولحظاته تتجمد!! كم أود أن تكون لى أحداق كل البشر لأبكيه لكنى لكنى **(تبدأ دموعها فى التساقط وصوتها فى التقطع)** لا أملك غير عينين أتعبهما السهر. لا أملك غير دموع لو تساقطت العمر كله فلن يكفيه **(تصرخ)** «عمار» لماذا تتركنا الآن؟ لماذا يقتلونك الآن؟ القتلة... القتلة.. ألم يشبع عطشهم للدم وجوعهم للحم البشر ما يسفكون من دم كل يوم.. القتلة **(يقف أحمد يمسك كتفى هدى يهدئها)**.

أحمد : هدى إهدئى... إهدئى..

هدى : لكنهم قتلوا «عمار».

أحمد : لكن صراخك لن يفيد..

هدى : وهل يفيد الصمت؟.

أحمد : على الأقل للتفكير فيما ينبغى عمله.

هدى : لن تشفى غليلى مواساة العالم كله **(تخاطبهم)**، أتعرفون معنى أن يموت عمار؟ إما أنكم تتهربون من معرفة ما قد يحدث لكم؟.

خالد : **(بضيق)** لن تنتهى الحركة على أية حال وستستمر كما أسسها.

هدى : **(تصرخ بوجه خالد)** ـلو كنت تعرف ما تركتموهم يقتلونه.

خالد : هدى. لا تكررى ما قلته ثانية. لقد كان كميناً لم نتوقعه.

هدى : ها. كان بإمكان أحدكم أن يسبقه إلى الموت.

(يتدخل أحمد)

أحمد : هدى هيا بنا إلى الداخل. أعصابك متعبة.

هدى : **(تنفض يدها عنه بقوة)** - اتركنى أرجوك. لا أريد أن أرتاح بل كيف يغمض لى جفن ونحن على ما نحن فيه؟ أعصابى متعبة؟ طبعاً وهل تريدها أن تكون عكس ذلك؟ أم تريدنى أن أملأ الدنيا ضحكاً وابتساماً؟.

أحمد : هدى كفى. لم أقصد ذلك كل ما هنالك أنه لا مجال للصراخ ولا جدوى من الكلام الذى لن يفيد أحداً روح عمار لن تكون سعيدة إذا ما توقفنا بدعوى الحزن.

هدى : روح «عمار»؟ كان بامكاننا المحافظة على «عمار» وذاته لا التغزل بروحه الآن.. **(تخطو نحو خالد وتواجهه)**.

هدى : كيف مات «عمار»؟ أين أصيب هل مات مباشرة؟.

خالد : أصيب باطلاقتين إحداهما فى الكتف والأخرى وهى التى تسببت فى موته قرب القلب.

هدى : ألم يكن فى امكانكم مساعدته؟

خالد : عندما نقلناه كان لا يزال حياً ولكن مجرد وصولنا إلى المقر حتى..

هدى : هل دفنتموه؟

خالد : مساء أمس. لم يكن بالإمكان نقله إلى هنا؟!!

هدى : وهذا كله دون أن نعلم نحن هنا شيئاً منه.

خالد : وماذا كان بامكانكم أن تفعلوا هل سترجعينه حياً؟.

أسعد : لا تنفعل هكذا يا خالد. هدى هيا بنا إلى الداخل.

(يدخل أسعد بهدى إلى الداخل فيما يبقى أحمد وخالد).

أحمد : لماذا لم يأت «محسن» معك؟

خالد : لن يتأخر كثيراً، بقى فقط ليعيد ترتيب أمور المجموعة التى أصابها الارتباك نتيجة الحادث. ثم لا بد لنا من كثير من التروى والتدقيق لمعرفة من سرب معلومات العملية إلى الأجهزة.

أحمد : لن يخرج عن نطاق مجموعتين أما مجموعتنا نحن فى القيادة أو قادة المجموعات العشرة الذين حضروا التخطيط لها.

خالد : سنؤجل مثل هذا النقاش حتى يعود محسن وتلتئم المجموعة.

أحمد : ولكن أى تأخير قد يؤدى بنا إلى الهلاك.

خالد : وماذا تريدنا ـ أنا وأنت ـ أن نفعل؟.

أحمد : لنتفق على الأقل على تغيير هذا المكان.

خالد : فكرت فى ذلك (فترة صمت). هناك صعوبتان تواجهان اقتراحك الأولى إن المكان الاحتياطى الذى بدأنا منذ فترة فى إعداده لم يجهز بعد والثانية إذا كان من سرب المعلومات من بيننا فهذا يعنى أن المكان الآخر معروف لديهم.

أحمد : لم يبق لنا إلا اختيار مكان آخر.

خالد : ليس بهذه السهولة. لدينا هنا أجهزة كثيرة. كتب، منشورات، ملابس ولدينا فوق ذلك كله الأسلحة.

أحمد : أنت تعقّدها كثيراً أترى أن نبقى هنا فيمسكوا بنا بكل بساطة ودون أى جهد. سنكون بذلك كمن يقدم سكين ذبحه إلى قاتله.

خالد : أوف إننى متعب وذهنى عاجز عن ترتيب الأفكار. لننتظر قليلاً لن نخسر شيئاً.

أحمد : من جهتى سأحاول الاتصال بمكان تواجد محسن لأطلب منه الحضور بسرعة.

المشهد الرابع

محسن ـ خالد ـ أحمد ـ أسعد

(يقف خالد وحيداً يدخل محسن وأحمد ويتبعهما أسعد)

أحمد : ها قدعاد محسن ما كدت أبدأ فى الاتصال حتى رأيته أمامى.

خالد : **(ملتفتاً نحو محسن)** ـ عدت إذاً؟

محسن : لم أشأ أن يطول غيابى عنكم. ثم إن الحاجة إلى هنا أكبر **(فترة صمت)** كيف حال هدى؟

خالد : لقد انفعلت كثيراً. أنت تعلم أنها أكثرنا تعلقاً به.

محسن : لم يكن بإمكاننا فعل شىء لمنع ما حدث.

خالد : إنها لا تصدق ذلك.

محسن : وحتى نحن ما كنا لنصدقه لو لم نكن بأنفسنا هناك.

خالد : إن الارتباك يقود المجموعة وأخشى ما أخشاه أن يستغل هذا ضدنا.

أسعد : **(بحزن)** ـ أمر طبيعى أن يهزنا هذا الحدث فلا تتوقع العكس.

خالد : أعرف ولكننا نعرض أنفسنا لما هو أكبر.

أحمد : أتعتقد فعلاً أن أحداً أخبرهم؟.

خالد : لم أكن موافقاً منذ البداية على دعوة قادة المجموعات وإبلاغهم.. ولكن...

محسن : ولكن ماذا؟.

خالد : لكنك أنت الذى أصر على دعوتهم حتى قبل «عمار».

محسن : كان بامكانه أن يرفض ثم ما المانع من دعوتهم. قد كان المخطط كبيراً وكان من الضرورى أن نعلمهم.

أسعد : أتظن أنه أحدهم. إنها كارثة إن صحّ ما تقوله.

خالد : لا وقت الآن للظن بل للعمل.

محسن : (يقترب من الخريطة ثم يواجههم) هذا صحيح لقد أمرت قبل حضورى. إلى هنا بانتقال المجموعة الثامنة من مكانها بأقصى سرعة إلى المكان الاحتياطى كذلك أمرت بإبلاغ كل المجموعات بما حدث وبالاستعداد أو لمواجهة ما قد يحدث كذلك كلفت «محمد قاسم» بدلاً من يحيى لقيادة المجموعة الثامنة وطلبتُ من الجميع التأهب لانتظار أى تعليمات جديدة.

خالد : (بدهشة) - ومتى فعلت كل ذلك؟.

محسن : بعد مغادرتك.

خالد : ولماذا لم تخبرنى.

محسن : لم تكن هناك ضرورة.

خالد : ماذا تقول؟ ربما لا أكون موافقاً على هذه الترتيبات.

محسن : ولماذا تعترض؟ ما المبرر؟

خالد : وما مبرر تصرفك الفردى؟.

محسن : المسؤولية.

خالد : ولكن هذه مسؤوليتنا جميعاً لا مسؤوليتك وحدك.

محسن : قد يكون هذا صحيحاً فى الماضى.

خالد : فى الماضى؟؟ فى الماضى والحاضر دائماً يا عزيزى لا أريد أن أذكّرك.

محسن : كلا لست بحاجة إلى ذلك.

خالد : بل أجزم بحاجتك إلى ما اتفقنا عليه جميعاً.

محسن : لقد فعلت ما رأيته مناسباً.

خالد : أسعد. هل تعلم أنت أو هدى بهذه الترتيبات؟.

أسعد : فى الحقيقة لا؟

خالد : وأنت يا أحمد.

أحمد : (يبدو متردداً) ـ أنا أظن. . أنا أعتقد بأن محسن لم يكن لديه الوقت الكافى لاستشارة أحد.

خالد : لكننى كنت معه هناك ولم يخبرنى.

أحمد : مجرد ترتيبات بسيطة وضرورية فلماذا تغضب هكذا؟.

خالد : أكاد أجزم أنه يطمع إلى ما هو أكثر من ذلك.

محسن : خالد، أنا لا أسمح لك.

أسعد : (متدخلاً) ـ ألا يمكن أن يكون نقاشكما هادئـاً؟ أو على الأقل أجلاه إلى وقت آخر.

خالد : أرجوك ألا تتدخل يا أسعد هذه المسألة ينبغى أن تحسم بينى وبين محسن.

أحمد : لكن ما تتناقشان فيه لا يخصكما أنتما وحدكما.

خالد : على ما فهمت فأنت غير معترض على ما فعله محسن؟.

أحمد : أرى ما فعله ضرورياً.

خالد : إذاً اصمت أنت ولا تتدخل.

محسن : ما الذى تريده بالضبط.

خالد : لن أتركك تتصرف كما تريد.

محسن : وماذا ستفعل.

خالد : سترى ما سأفعله.

محسن : خالد لست بحاجة إلى مشاكلك أنت الآخر.

خالد : بالطبع تريد أن تكون كل الأشياء مهيأة لك.

محسن : بل كلها مهيأة للعمل.

خالد : لصالحك.

أحمد : لصالح الحركة.

خالد : (بسخرية) آه هذا واضح ولا يحتاج إلى نقاش.

أحمد : إذا كانت الأمور واضحة فلماذا تناقشها إذاً؟.

خالد : صدقت إنها تنضج بدرجة تدفعنى للعمل لا إلى النقاش.

محسن : (باستهزاء) أى عمل؟

خالد : الذى يجعلك تنتبه لما فعلت وما ستفعل.

محسن : لست محتاجاً إلى إرشاداتك أدرك جيداً ما أفعله.

خالد : إذا كنت قد رسمت غايتك وخططت لها فما الذى سيمنعك ولكن قل لى أكنت تعد لذلك منذ زمن؟ أكنت تنتظر هذه الفرصة لتعلن قرارك؟.

محسن : لم أعلن شيئاً هذه أمور بديهية.

خالد : «البديهيات» يقبلها الجميع دون اعتراض. ولكن ها أنا اعترض على ما أسميته بديهية.

محسن : أدرك غايتك. أنت أيضاً لك طموحك الخاص.

خالد : لتستغل ذلك ضدى. لن أعطيك الفرصة. أتريد أن تحول نفسك من متهَم إلى متهِم؟

محسن : ادع لك مثل هذا التفسير.

أسعد : خالد بدلاً من الخلاف ألا تجلس لنرتب أمورنا؟.

خالد : وهل ترك «الأستاذ» شيئاً يرتب إنه يرتب كل شىء بنفسه وكأن لا أحد موجود.

محسن : وبعد.

خالد : لا قبل ولا بعد. أنا خارج.

أسعد : (بدهشة) - تخرج فى مثل هذا الوقت إلى أين؟.

خالد : بعد اليوم لا شأن لأحد منكم بى وسأعرف كيف أدبر شؤونى.

أحمد : أهو تحذير؟.

خالد : إذا شئت أن تفهمه كذلك فلا بأس.

أسعد : «خالد» أرجوك لا تخطىء التصرف.

خالد(مشيراً إلى محسن) - أخطأ قبلى.

أسعد : لنتفاهم على الأقل.

خالد : لم تعد هناك إمكانية.

محسن : دعه يا أسعد فلن يفعل شيئاً.

خالد : (بغضب) - سترى (يخرج مسرعاً).

أسعد : خالد. . . خالد (يتبعه).

المشهد الخامس

(تدخل هدى إلى القاعة، محسن يقف مفكراً أمام الخريطة، أحمد يكتب شيئاً ما على المنضدة)

هدى : ما الذى يحدث هنا.

محسن : (مشيراً نحوها) ـماذا حدث؟.

هدى : رأيت خالد قبل قليل خارجاً والغضب يعلو وجهه وحتى أنه لم يرد على تحيتى.

محسن : لا تهتمى لذلك لا بد أنه سيعود.

أحمد : (متدخلاً) ـ لا أعتقد أنه سيعود إننى خائف من رد فعله فهو انفعالى وعنيف.

هدى : (متوجهة بالسؤال إلى أحمد) ـ هل حدث سوء تفاهم؟

أحمد : يبدو أن خالد يعتقد أنه الأحق بتبؤ مكان «عمار».

هدى : (بدهشة) ماذا؟.

أحمد : لقد اعترض على بعض التعليمات التنظمية التى أصدرها محسن لقادة المجموعات؟.

هدى : أصدرها محسن؟ دون الدعوة إلى اجتماع المجموعة؟.

أحمد : لا يحتاج الأمر إلى اجتماع.

هدى : كيف ألم نتفق على ذلك؟.

محسن : لو كان «عمار» حياً ما استشار أحداً.

هدى : (بانفعال) ـ وهل تقارن نفسك به.

محسن : لكنه لن يعود هل تفهمين. والحركة بحاجة إلى إعادة تنظيم بعد الارتباك الذى حدث.

هدى : لست أحرصنا على ذلك.

أحمد : لماذا أنت منفعلة هكذا.

هدى : لأن محسن أخطأ.

محسن : وهل كنت لأنتظر الأمر منك؟.

هدى : لم أقل ذلك لكن العمل دون الرجوع إلى المجموعة أو حتى إخطارها جرم فادح.

محسن : لم أتعود على أخذ التعليمات منك؟.

هدى : ما بك؟ ما هذه اللهجة الغريبة لاتنسَ أننى أنا أيضاً وكل واحد منا لم يتعود تلقى الأوامر ولا التصرف الفردى الطائش.

محسن : ما الذى تعنينه.

هدى : أعنى أن هذه بداية سيئة ومؤشر خطر.

محسن : هذا بعض ما قاله خالد لكأنكما متفقان.

هدى : إذن فهو لم يخطىء بخلافه معك.

محسن : لا تخطئى أنت أيضاً.

هدى : يا إلهى (فترة صمت) إننى فى غاية الدهشة. هل أنت محسن؟ أمتأكد من أنك هو؟ ذاك الذى قبل أسبوع واحد يؤكد أننا نقف أمامه على خط واحد لا يتجاوزه أحدنا عن الآخرين؟.

محسن : ذاك كان قبل رحيله.

هدى : لم يتغير شىء فذات المجموعة إنها ما زالت باقية.

محسن : لكنها تحتاج إلى من يقودها.

هدى : من قال ذلك.

محسن : العقل والمنطق.

هدى : آه العقل والمنطق؟! أى عقل وأى منطق ثم هل أبدى أحدنا عجزه حتى تتصدر القائمة.

محسن : هذه مسائل لاتحتاج إلى قرار تأتى تلقائياً.

هدى : هكذا. وكيف تأتى هذه التلقائية فجأة؟.

أحمد : (متدخلاً) ألا ترين عقم هذا النقاش.

هدى : وأنت أيضاً. ها. تبدو الأمور مرتبة ومعدة إعداداً جيداً لا أعتقد أن أسعد يوافقكم أيضاً؟.

أحمد : وما الذى يمنع ذلك؟.

محسن : هدى أنت تعقّدين الأمور كثيراً.

هدى : أنا لا أعقدها من حقى أن أفهم وأن أرفض ما لا يستطيع ذهنى تقبله.

محسن : حسناً هناك مجال دائماً للتفاهم.

هدى : حول ماذا؟.

محسن : حول ما لا يستطيع ذهنك استيعابه؟.

هدى : هل أستطيع أن أسألك سؤالاً محدداً؟.

محسن : بكل تأكيد.

هدى : هل تنوى أن تكرر هذا التصرف ثانية؟.

محسن : هذا يتوقف على تفاهم المجموعة على عدة نقاط أساسية.

هدى : وهى؟.

محسن : حاجة المجموعة إلى قائد.

هدى : آه ولكن فى العادة الحاجة لا تختلق اختلاقاً إلا إذا ادعيت امتلاك القدرة على التنبؤ بالمستقبل.

محسن : (بانزعاج) ـ أحسب إننى أمتلك القدرة على ترتيب الأمور فى شكل منطقى.

هدى : وماذا أيضاً؟.

محسن : إعادة توزيع المهام بينكم؟.

هدى : (بسخرية) ـألا تنوى كتابة دستور للحركة؟.

محسن : لِمَ؟

هدى : لتنظيم أمور الدولة الجديدة لكأنه حدث انقلاب على النظام القديم للجديد الرغبة فى الظهور بمظهر مختلف. قل لى ألا تنوى أيضاً إنشاء مجلس وزراء وإدارات و

أحمد : هدى كفى سخرية.

هدى : وهل تريدنى أن أحنى رأسى موافقة؟.

أحمد : لم يطرح «محسن» ما يثير الغضب .

هدى : ولماذا تدافع أنت عنه؟.

أحمد : لأننى أرى ما يفعله صحيحاً.

هدى : بالطبع وكم ستكون حصتك ما هذا كله؟.

محسن : ألا تكفين عن هذا التجريح. لا أريد أن أفقدك.

هدى : يالله يتحدث كما لو أنه مؤسس الحركة فعلاً. هيه استيقظ لا يأخذك الوهم فتجرى خلفه معتقداً نفسك المنقذ.

أحمد : فى مثل هذه الظروف. نعم.

هدى : أنا لا أناقشك أنت.

محسن : باختصار ما الذى تريدينه؟.

هدى : اجتماع المجموعة بكاملها.

محسن : ثم؟

هدى : أن تكف عن التصرف بشكل رئاسى.

محسن : وإذا لم يحدث ما طلبته.

هدى : وما المانع؟.

محسن : فقدان المبرر.

هدى : آه وهل ما فعلته أنت له مبرر.

محسن : ما قلته لا يحتاج إلى إجابة (يصمت) سألتك عما تنوين عمله.

هدى : سأبحث عن خالد. وكذلك أسعد.

أحمد : وبعد؟.

هدى : سنجتمع جميعاً للخروج برأى واحد.

أحمد : لم يكن هناك خلاف.

هدى : ولم يكن هناك اتفاق على ما حدث.

محسن : أنت تهولين الأمور.

هدى : لا أبالغ غير أنى أرى النذر فى السماء.

أحمد : (بسخرية) وما تقول نذرك؟.

هدى : ثمة ضباب ينبغى استجلائه.

محسن : لا ضباب ولا يحزنون كل ما فى الأمر أنك ينبغى أن تتخلصى من هذه العصبية وتنظرى للأمور بتمعن وهدوء.

هدى : لأكتشف الانحراف؟

محسن : إنك تثيرين غضبى.

هدى : لن يحدث أسوأ مما حدث.

محسن : بلى انتبهى لما تقولين.

هدى : سجل رفضى إذاً.

محسن : لن يمر هذا بهدوء.

هدى : ليكن.

أحمد : قد تندمين.

هدى : أهو تهديد؟

أحمد : سمه ما شئت ما دمت تصرين على عنادك الطفولى.

هدى : لا تسميه عناداً طفولياً بل موقفاً واضحاً.

(يرمى محسن لفافته على الأرض بغضب ويسحقها بقدمه).

محسن : هيا يا أحمد لا وقت لدى لسماع هذا الحديث.

هدى : ها. الزعماء عادة وقتهم ثمين جداً.

أحمد : أتسخرين.

هدى : (بسخرية)، بل اهتز استحساناً وطرباً **(تلتقط مسطرة من على المنضدة تضغط عليها بقوة)** أترى هذه يا «محسن» حين يتوالى الضغط عليها تنكسر **(يسمع صوت تكسر المسطرة).**

محسن : ماذا تعنين؟.

هدى : ألست سيد العارفين. استوعب إذاً ما قلته.

(ينفض محسن يده بقوة ويخرج يتبعه أحمد).

المشهد السادس

(هدى ـ عمار ـ أسعد)

تقف هدى وسط القاعة تدور حول نفسها كمن فقد شيئاً.. تقف وتتقدم نحو صورة «عمار» المعلقة على الحائط قرب الخريطة.

هدى : لماذا تفعل ذلك؟ لِمَ تتركنا الآن؟ ألا تعرف أننا أحوج ما نكون إليك لماذا فعلتها كنت مصمماً على الذهاب رغم معارضتى الشديدة ومعارضة كل الرفاق فعلتها رغماً عنا جميعاً **(تتراجع وهى تشير بأصبعها إليه تدور لتغطى الصورة بظهرها ثم تلتفت جهة اليمين ينطفىء ضوء القاعة ويسلط الضوء على ناحية يظهر فيها «عمّار» فى حدود الثامنة والعشرين من عمره شاب وسيم مهيب الطلعة مجعد الشعر يبدو على وجهه اكتئاب وشحوب).**

هدى : أرجوك أترك قيادة هذه العملية لمحسن أو خالد أوكلاهما إن شئت ولكن لا تذهب أنا غير مطمئنة لذهابك.

عمار : لماذا تقولين ذلك؟ ليست المرة الأولى التى أخرج فيها؟.

هدى : هذه العملية خطيرة.

عمار : قدتُ أخطر منها.

هدى : لم تكن حركتنا قد اتسعت إلى هذا الحد مجموعاتنا الآن كثيرة ومجموعة القيادة تحتاجك أكثر من أى وقت مضى.

عمار : لن أتغيب طويلاً.

هدى : وإن أصابك شىء؟.

عمار : لِمَ هذا التشاؤم؟

هدى : لست أدرى أنا قلقة.

عمار : وأنا أعانى ضيقاً نفسياً بالغاً. وهذه العملية قد تجدد لى حيويتى ونشاطى.

هدى : أدرك ذلك مذ غابت «أمل» وأنت لست على ما يرام.

عمار : هذا صحيح أود أن أهجر هذا المكان ولو لفترة بسيطة. إن التخطيط وإصدار الأوامر والتعليمات وكتابة المنشورات قد أرهقنى جداً وتنفيذ بعض العمليات قد يفيدنى.

هدى : ولكنها مغامرة غير مضمونة العواقب.

عمار : إن مثل هذه المغامرات غير المضمونة هى التى تصقلنا.

هدى : ليس أنت من يحتاج إلى الصقل. دع هذا لغيرك من الشباب.

عمار : هدى، أرجوك أنا متعب وقد اخترت تنفيذ هذه العملية ولا مجال للتراجع.

هدى : أنت تحزننى لم أتعود أن أرجو أحداً.

عمار : أقدر ما تفكرين فيه. ولكن ينبغى أيضاً أن تقدرى ما أحس به.

هدى : لكأنك تهرب منا؟.

عمار : أنتم قدرى واختيارى لا مفر من الاستمرار.

هدى : لا تقل هذا وكأنك متورط. ماذا لو سمعك الآخرون أنت قائد هذه المجموعات أنت الذى بنيتها من الصفر نقلتها من مجرد فكرة إلى عمل حقيقى.

عمار : أقصد أن كلاً منا متورط لأنه موجود فى هذه الدنيا ويصبح أمراً منطقياً أن يختار الدور الذى يؤديه والذى يبرر له وجوده ويعطيه معناه.

هدى : ها أنت تبحث عن وسيلة للهروب من هذا الالتزام الذى اخترته.

عمار : أحياناً تصبح التزاماتنا قيداً لنا.

هدى : أأنت محبط؟ لم أتعود على رؤيتك هكذا!!

عمار : لكل منا لحظات حزنه.

هدى : هذا يدفع إلى مقاومة أقوى لا إلى العجز.

عمار : ولـهـذا اختـرت الذهـاب.

(تتراجع هدى إلى اليسار ويختفى عمار فى الظلام تعود هـدى إلى الالتفات للصورة وتقول بعنف وحزن).

هدى : لقد اخترت أن تموت الآن؟ لماذا؟ هل أنت سعيد بمـا أصاب المجموعة من تفكك وانهيار **(تضحك بجنون وتعطى الصورة ظهرها).**

هدى : هاها... هل ترى خلايا المرض السرطانى وهى تنفجر بينهـم. هم الذين كانوا يقسمـون أمامـك على الإخلاص

للحركة والوفاء لك نعم الذين أقسموا ألا يكون من بينهم رئيس ولا زعيم وأنها مجموعة منسجمة وعقل جماعى. ها عقل جماعى من يرى صراعهم الآن يعتقد أنهم انتصروا وأن كل ما خططوا له قد تحقق ولم يبق إلا هذه المشكلة. **(تلتفت بقوة نحو صورة عمار).**

هدى : أنا أدينك أتسمعنى أدينك لأنك اخترت الذهاب فى الوقت الذى كان يجب أن تبقى فيه **(تصمت فترة تطرق برأسها فى حزن)** ولكن هل تجدى الإدانة؟ هل أنسى ما علمتنى هل أكون أنا أيضاً مثلهم ناكرة جاحدة متناسية؟ **(يدخل أسعد وهى تكلم نفسها).**

أسعد : هدى ما بك.

هدى : **(تنتبه فجأة)** - هه.

أسعد : أنت متعبة كثيراً لِمَ لا تأخذين قسطاً من الراحة.

هدى : وحين أعود أجد أن كل شىء قد تدمر بسبب صراعاتهم التافهة أليس كذلك؟.

أسعد : لست أدرى لا أحد كان يتوقع ما يحدث!! أنا لا أستطيع الاستيعاب؛ عمار رحل فجأة والانقسامات دبت فجأة والمجموعات الأخرى مذ علمت بالنبأ وهى تجمّد نشاطها فى انتظار ما نقوله لها ونحن لم نعد نعرف بعضنا لم يلتقِ أحد منا إلا لكى ينتقد الآخر لست أدرى هذه دائرة مغلقة أخاف أن تسحقنا جميعاً فى دوراتها السريعة.

هدى : نحن السبب كان بامكاننا ايقاف استفحال هذا الداء.

أسعد : لا أعتقد أحس فى بعض اللحظات كأننى مسيّر وكأن الأشياء تحدث رغماً عنى لم أشترك فى صنعها كلها تحدث خارجى. خارج إرادتى.

هدى : ربما لهذا السبب حدثت فعلاً. لأننا لم نعمل شيئاً أمامها.

أسعد : إنهم زملاؤ نا رفاق نضالنا ننحاز مع من ضد من؟.

هدى : انحاز للحركة طوال حركتنا ،كان انحيازنا لعمار لأنه صانعها أما الآخرون فمتساوون فى الوقوف أمامه ومتساوون فى قيادتها بعده.

أسعد : من يستوعب هذا؟.

هدى : كان ينبغى لبعض الرؤوس أن تتطاير مذ بدأت بوادر الكارثة.

أسعد : هل تملكين الجرأة؟

هدى : من أجل سلامة المجموع نعم.

أسعد : أنا لا أملك مثل هذه الشجاعة.

هدى : من لا يملكها يا عزيزى سيُقاد ولن يكون بمقدوره أن يقود.

أسعد : أنا متعب وذهنى يكاد يتوقف عن التفكير. سأذهب لأنام قليلاً وأنت ماذا ستفعلين؟.

هدى : سأعود إلى البيت منذ مدة لم أر فاطمة وسناء ثم إننى بحاجة إلى إعادة تنظيم أفكارى.

أسعد : حسناً سنلتقى.

هدى : فكر فيما قلته لك.

أسعد : أنا محتاج لعدم التفكير حتى يكون بإمكانى النوم.

هدى : سأذهب الآن. هل تحتاج لشىء؟.

أسعد : لا شكراً. مع السلامة.

هدى : إلى اللقاء.

المشهد السابع

(أسعد ـ محسن ـ أحمد)

(تخرج هدى يتأهب أسعد للخروج. لكنه يتوقف عندما يدخل إلى القاعة محسن وأحمد).

محسن : أسعد. ماذا تفعل لوحدك؟

أسعد : كانت هدى هنا ولكنها خرجت قبل ثوان.

محسن : هدى. آه.

أسعد : نعم هدى. ماذا هناك؟.

محسن : لا شيء. لا شيء أبداً. **(يصمت)** ولكن ألا ترى يا عزيزى أنها أصبحت لا تحتمل. تتحدث بشراسة وترفض كل شيء حتى قبل التفكير فيه.

أحمد : أضف إلى ذلك أنها لم تتبنى موقفاً واضحاً حتى الآن لا منك ولا من خالد.

أسعد : هدى لم تحتمل رحيل «عمار» بسهولة ولكننى رغم إقرارى بأن أعصابها متعبة لا أعتقد يا أحمد بأن موقفها ليس واضحاً. على العكس إن لها الموقف الأكثر وضوحاً وصراحة.

محسن : أيعنى هذا أنك توافقها؟.

أسعد : لم أقصد ذلك تماماً.

أحمد : كانت هدى تسعى من جانب خفىّ لتدمير الحركة لوقوفها هذا الموقف المتشنج.

أسعد : (باستغراب) ـ هدى تريد التدمير؟ ما هذا الكلام الذى تقوله. هل يمكن أن تشكك فى إخلاصها؟.

محسن : أنا لا تهمنى النيات فهى وحدها لا تكفى. أنا يهمنى العمل وهذه تقف عائقاً أمامه.

أسعد : يمكن أن تصل إلى نتيجة بالحوار وليس بالتسرع فى إطلاق الأحكام

محسن : ليس لدينا الوقت الكافى لذلك. ينبغى معرفة مكان خالد وما ينوى القيام بـه ولا يمكننى التفرغ لإعـادة تنـظيم عمـل المجموعات ما لم أكن مطمئناً للقاعدة التى انطلق منها.

أسعد : هدى زميلتنا بل إن «عمار» كان يثق فيها أكثر من ثقته بكثير منا أرجو أن لا تنسوا ذلك.

أحمد : «عمار» رحل ونحن لا نعيش على ما قد مضى نحن بحاجة إلى العمل وأى عرقلة لن تكون فى صالحنا.

أسعد : يحزننى أن تقول ذلك يا أحمد «عمار» رحل هذا صحيح لكن تبقى أفكاره هى المحرك لنا دائماً.

محسن : كفى جدالاً بيزنطياً ما يهمنى هو ألا تتوقف الحركة أمامنا الكثير من المسؤوليات ولن أتوقف لمجرد أن عضواً كهذى لها آراء مخالفة.

أسعد : لكن هذى ليست عضواً عادياً حتى يمكن استثناؤها بهذه البساطة.

محسن : وماذا تريدنى أن أفعل إذاً؟ أأقبل يديها راجياً عفوها؟ أم أحنى رأسى لأفكارها النيّرة؟.

أسعد : هكذا إذاً!! ما دمت تعرف ذلك فالأولى أن تعرف أن هذا الفرد ما كان بامكانه أن يفعل شيئاً بمفرده.

أحمد : ماذا تريد أن تقول؟.

أسعد : أعنى أن الفرد ليس له تاريخ. حتى الأبطال لا يخلدون كأبطال إلا لأنهم فعلوا شيئاً من أجل الآخرين.

أحمد : لم نفتح حلقة نقاش.

أسعد : أتكون نهاية الثوار بهذه البساطة (فترة صمت) إنه لأمر مفزع

أن يدب المرض العضال فى أنفسنا بهذه السرعة المرعبة بت أخشى أن أستيقظ لأجد بأن كل شىء قد انتهى. هذه الدائرة المفرغة التى أدور بين حلقاتها من نقطة الصفر إلى نقطة الصفر أشعر أنها تصيبنى بدوار حاد ما بال الأشياء تتآكل من داخلها **(يهز كتفيه فى إعياء)** لست أفهم؟!.

محسن : **(يستدير إليه مغيراً طريقته فى الحديث) ـ** اووه أسعد أنت تعرف مكانتك فى المجموعة أنت قلمنا ـ صوتنا الذى يصل عبر آلاف المنشورات والكتب إلى الناس ومن المهم جداً أن لا يصيبك لا يأس ولا إحباط **(يضع يده على كتف أسعد)** من المهم أن تستوعب الضرورة التى تدفعنى إلى اتخاذ مثل هذا الموقف.

أسعد : **(ملتفتاً إليه)** ـ أى موقف تعنيه؟

محسن : موقف «هدى» المعارض يعرقلنا ولا بد من وضع حد لهذه المسألة.

أسعد : كيف؟.

أحمد : لدينا ضوابطنا التى نعود إليها كفيصل بين الحق والباطل.

أسعد : **(منزعجاً)**تعنون محاكمتها؟

أحمد : لِمَ لا، أليست أحد أعضاء الحركة ويسرى عليها ما يسرى على الآخرين.

أسعد : آه قل إذاً إنكم تريدون التخلص منها؟.

محسن : ليس هكذا تماماً؟.

أسعد : وماذا إذا ألا تدرك عاقبة ذلك؟ ماذا لو أسقطتموها؟ ألا تخشون ردة فعلها؟.

أحمد : وماذا بإمكانها أن تفعل؟ ثم من قال لك أن الحكم سيكون بإسقاطها ؟ .

أسعد : لا أعتقد أنكم تفكرون بشيء أكبر؟.

أحمد : . . . .

محسن : ألا تلاحظ يا أحمد أن «أسعد» يدافع عن هدى بقوة.

أحمد : ربما كان موافقاً على ما تقوله.

محسن : أوه لا أعتقد أن أسعد يوافقها على مثل هذه الآراء الحمقاء.

أحمد : أو ربما كانت أسباب الدفاع شخصية.

أسعد : لا تتدخل فيما لا يعنيك.

محسن : وكيف لا يتدخل يا عزيزى؟ لا بد أن تحدد أنت أيضاً موقفك؟.

أسعد : موقفى كان دائماً واضحاً ولا يحتاج إلى تحديد أنا مع الحركة ولو على نفسى.

محسن : هذا عظيم موافق أنت على ما قلته قبل قليل؟.

أسعد : . . . .

أحمد : عندما يتعلق الأمر بهدى فالقضية تحتاج منه إلى تفكير.

أسعد : أحمق أنت.

محسن : لا داعى لهذا الانفعال أحمد يقصد أن الوقت ليس فى صالحنا ولا بد أن تضع فى اعتبارك أننا بحاجة إلى إعادة النظر فى كل أمورنا حتى نستطيع البدء من جديد.

أسعد : أعرف ذلك ولكن عندما يتعلق الأمر بواحد من أفراد مجموعتنا نحن بالذات فالأمر لا يمكن أخذه بهذه البساطة لاحظ أننا سنبقى ثلاثة فقط.

أحمد : وماذا فى ذلك؟.

أسعد : ماذا فى ذلك؟ أسهل عليك تقبل خسارة أحدنا ببساطة؟ يا للوفاء العظيم!! لكأنك لم تتعلم شيئاً.

أحمد : تعلمت كيف أدوس على عواطفى حين يتعلق الأمر بمصلحة الحركة.

أسعد : ومن مصلحتها أن تخسر كل يوم أحد أبرز عناصرها؟.

أحمد : لم أقل ذلك. التضحية بفرد أو اثنين ضرورية إذا وقفا فى وجه العمل.

أسعد : لا تقل لى أن على كل منا أن يقولب وفق ما تريده الحركة؟ يا عزيزى (يخطو نحو أحمد) نحن الذين صنعناها ووضعنا ضوابطها ولا يمكن لها أن تتحول إلى غول يلتهمنا ما لم نرد نحن ذلك ما من شيء يتمرد على خالقه.

أحمد : (باستخفاف) - حتى الإنسان قد يتمرد على خالقه.

أسعد : الأمر يختلف تماماً. والقياس هنا صحيح إذا فرّغت الحركة من أفرادها فماذا سيبقى منها. لا شيء.

أحمد : لست مستعداً للدخول معك فى حوار غير مجدى.

أسعد : مستعد لماذا لإسقاط زملائك والتهليل لبقائك وحدك.

أحمد : أنا لا أسمح بذلك.

محسن : هيا توقفا عن هذا النقاش. لا وقت للتشاحن.

أسعد : ولكن هناك وقت كاف حين يتعلق الأمر بالإسقاط والتصفية!!

محسن : (هازاً كتفيه) - لمصلحة الحركة.

أسعد : بل قل لمصلحتك أنت!!

محسن : لا يا أسعد لا تخطىء لا أريد أن أخسرك.

أسعد : ولِمَ استسهلت خسران «هدى» وقبلها «خالد»؟

محسن : أنت لم تكن مثلهم.

أسعد : قد أكون.

أحمد : لا تلعب بالنار يا عزيزى.

أسعد : أهذا تهديد.

أحمد : إذا فهمته كذلك. القضية لا تتعلق بأمور شخصية إنها قضية الثورة.

أسعد : قد نختلف فى التفاصيل الصغيرة ولكن لا يمكن أن نختلف فى الوسيلة والغاية إذا حدث ذلك فهذا يعنى أن أحدنا غير صادق.

أحمد : لن أسمح لك بتقييمى أنا أعرف نفسى جيداً.

أسعد : ومن يضعك فى ميزان التقييم إذاً؟ من لا يعرفونك؟

أحمد : ولماذا لاتكون أنت فى هذا الميزان؟

أسعد : أنا لا أرفض أنا أعى ما أفعله.

محسن : ما هذا النقاش العقيم؟ لم أجمعكم لهذا (فترة صمت). أنت يا أحمد وكذلك أسعد لا يمكن التشكيك فى مواقف أى منكما وما التقينا لمناقشة مثل هذا الأمر لأننا تجاوزناه منذ زمن لاحظوا أن كل دقيقة تمضى ليست فى صالحنا. أنا (بطريقة مضخمة) حريص على أن أعيد ترتيب وتنظيم المجموعات فى أقصر مدة ممكنة.

أسعد : (مقاطعاً) ـ لست أحرص منا.

محسن : لماذا تتكلم بهذه الطريقة يا أسعد؟

أسعد : سأتكلمها مادمت أشعر أن ثمة خطأ يحدث.

محسن : وأين تراه الخطأ؟

أسعد : هذه الضربات التى تهوى على رؤوس أفضل أفرادنا.

محسن : الأحسن أن تنظر بشكل موضوعى ولا تنحاز لمجرد ارتباطك «بهدى».

أسعد : لم تكن علاقتى الخاصة «بهدى» لتجعلنى أرى الأشياء بزاوية حادة وأنت أول ما يعرف ذلك.

أحمد : لكن من الصعب الفصل بين «هدى» الصديقة و « هدى » زميلتك فى الحركة.

أسعد :

محسن : ألا ترى رأى أحمد.

أسعد : كلا. أملك القدرة على الفصل بين الخطأ والصواب وهذا هو الأهم.

محسن : فهل ترى ما فعلته هدى صواباً؟.

أحمد : أنت تهرب (فترة صمت وجيزة).

(محسن يقترب من أسعد).

محسن : أسعد أنت أكثر من يعرف حراجة الموقف وبقاؤنا بهذا الشكل لا يمكننا من العمل أبداً وإذا لم نرتب أمورنا بسرعة فقدنا زمام المبادرة وتفتت باقى المجموعة بفعل تهاوننا والتحرك السريع للأجهزة القائمة.

أسعد : أفهم ذلك لكنك أنت من يساعد على هذا التشرذم.

محسن : لننسى ذلك مؤقتاً «هدى» تنفعل عندما أناقشها ويغدو الحديث المفيد معها مستحيلاً فهل يمكننى أن أوكل هذا الأمر إليك.

أسعد : لا أعتقد أن ذلك سيكون مجدياً.

محسن : لماذا.

أسعد : هدى تعتقد أن ما يحدث ينطوى على خيانة وانحراف فكيف تريدنى أن أقنعها بالنقيض.

محسن : لن تكون هذه القناعة مفيدة لها.

أسعد : أتطلب منها الرضوخ؟

محسن : لن يكون فيما أطلبه تحطيم لكبريائها.

أسعد : لكنك تعرف إن القضية ليست قضية كبرياء بقدر ما هى قضية مبدأ.

محسن : وأنا أطلب منك أن تناقشها لا أن تنقل إلىّ آراءها مسبقاً.

أسعد : وإذا فشلت أكاد أجزم بذلك منذ الآن.

محسن : حاول لن تخسر شيئاً (يلتفت إلى أحمد) اتصل بها يا أحمد وقل لها إن أسعد يريدك.

محسن : سأخرج قبل أن تأتى. أرغب فى الذهاب للبحث عن مكان ثالث غير ذاك الاحتياطى الذى نعده الآن.

أسعد : أتعتقد فعلاً أن ثمة خيانة.

محسن : ليس تماماً فقد يكون ما حدث لنا أثناء العملية مجرد تخمين منهم.

أسعد : لا أعتقد أن لهم كل هذا الذكاء.

محسن : هذا صحيح ولكن لا تنسَ أننا كثفنا من نشاطنا فى الشهر الماضى بشكل ملحوظ.

أسعد : خذ حذرك إذاً إذا اخترت مكاناً ثالثاً أقصر معرفته على مجموعة محددة.

محسن : نعم ولا تنسَ أنت أيضاً أن تهىء نفسك للكتابة.

أسعد :بعد كل هذا أحس بتعب حقيقى هذه المرة.

محسن : تعب أم إحباط؟

أسعد : ....

محسن : ماذا

أسعد : تريد الحقيقة الإثنان معاً كأننى أعيش فى جو من الإحباط وفقدان التوازن.

محسن : لا بأس المهم أن تكون قادراً على الاجتياز.

أسعد : هذا يتوقف على ما يحدث هنا.

محسن : أنت لا تتهمنى؟

أسعد : لا أريد أن أفعل إلا إذا وضعت نفسك...

محسن : **(مقاطعاً)** - طلبت منك أن تنسى مؤقتاً. لا أريد فتح جبهة جديدة يكفينى «خالد» و«هدى».

أسعد : لا تفتح كوة للريح ثم تبحث عمن يسدها.

محسن : يا للنية الحسنة. ألم نتفق؟؟... سأخرج الآن فقد تأتى هدى فى أية لحظة. لن أوصيك.

(يخرج محسن ويبقى أسعد وحيداً)

المشهد الثامن

(أسعد - الأم - الفتاة)

(يدور أسعد فى القاعة كالتائه. يقترب من المنضدة الدائرية يتحدث إلى نفسه)

أسعد : كم تبدو تلك اللحظات بعيدة **(يشمل الكراسى المحيطة بالمنضدة بإشارة شاملة من يده)** حينما كنا نجتمع هنا لم يكن ثمة شىء يشغلنا غير الحلم. آه يا للوحدة التى تمزقنى الآن **(بصوت أعلى)** أن تجتاحك الغربة حتى ترغب فى التفتت إلى ذرات تتناثر فى الفضاء وتختفى **(يصمت فترة قصيرة)** قبل أن أغادر بيتنا لم تكن تراودنى غير رغبة واحدة. العمل فى مثل هذا المكان مع مجموعة مثل هذه ولكن **(يرفع يديه ويخفضهما فى يأس)**. كانت تلك الرغبة تسيطر على وتسيرنى بسببها رفضت الانصياع لبكاء أمى وتوسلات أختى.ما من فائدة أبداً ما من فائدة. **(يصمت أسعد كأنه يتذكر)**.

(يسود الظلام المكان الذى يقف فيه ويضىء الجانب الآخر من القاعة تبدو امرأة متشحة بثوب بدوى غامق اللون فى حوالى الخامسة والأربعين من عمرها يبدو على وجهها الحزن والانزعاج توجه حديثها إلى فتاة فى مقتبل العمر تبدو ابنتها).

الأم : وما العمل الآن يا بنتى؟

الفتاة : لست أدرى يا أمى لطالما حذرت أسعد.

الأم : لقد كانت دراسة أسعد هى أملنا وها هم يطردونه اليوم منها.

الفتاة : كنت أقول له دائماً إن ما يفعله سيؤدى به إلى التهلكة. لكنه لم يكن يصغى إلى.

الأم : سيموت أبوك كمداً لو علم بالأمر.

الفتاة : أخاف ألا يكتفوا بطرده فقط.

الأم : يا إلهى ما الذى تقصدينه.

الفتاة : أعنى أنهم قد يمسكونه فى أية لحظة.

الأم : لا تقولى ذلك.

الفتاة : إنه مصدر إزعاج بالنسبة لهم ولن يتركوه هكذا؟.

الأم : وأين هو الآن؟

الفتاة : فى غرفته رأيته يجمع ملابسه لم أعد أدرى كيف يفكر ولا ماذا يخطط فى ذهنه.

الأم : يجمع ملابسه؟ هل سيتركنا؟

الفتاة : لا أستبعد هذا وربما كان من الأفضل له أن يختفى لفترة.

الأم : وماذا عنا نحن أنا وأبوه وأخوته؟ يا إلهى ألا يكفينا ما نحن فيه من هم. تعالى علنا ننجح فى إبقائه.
(تخرج الأم وتهز الفتاة كتفيها فى يأس وتتبعها).

المشهد التاسع

(أسعد ـ هدى)

(يضاء المكان الذى يقف فيه أسعد تدريجياً فيما يفتح الباب وتدخل هدى تقف لحظة حينما ترى أسعد وحده ثم تدخل)

هدى : مساء الخير.

أسعد : **(منتهياً من شروده)** ـآه هدى

هدى : لماذا أرسلت فى طلبى هل حدث شىء.

أسعد : وهل لا بد أن يحدث شىء لتكونى بجانبى؟.

هدى : لم أقصد. لكننى كنت هنا قبل قليل وقلت لى بأنك متعب.

أسعد : لم أستطع النوم فرجوت أحمد أن يتصل بك لتأتى.

هدى : وها أنا قد جئت.

أسعد : إننى أحتاجك بشدة هل ستفهميننى حين أشرح لك.

هدى : ماذا؟.

أسعد : إحساس بالاشمئزاز من كل شىء يحتل كيانى شعور بالغثيان السأم والملل يكاد يحطمنى.

هدى : تفكر كثيراً.

أسعد : لا أريد أن أفكر لو أملك امكانية تعطيل هذه الحاسة لفعلت لكأننى متورط رغماً عنى. أنا الذى جئتكم بقدماى لم يدفعنى غير إحساس بالغبن وحلم الانتصار. هل تعرفين معنى أن يحبط الثورى؟ إنها النهاية.

هدى : (بصوت رقيق) ـ لا تقل ذلك أسعد هذه تأثيرات مؤقتة تنتهى بانتهاء الأسباب.

أسعد : أووه لست أنت من يقول ذلك لأنك تعيشين نفس الدوامة التى أعيشها.

هدى : حتى ولو كنت كذلك فسأخرج منها حتماً حين اتطلع إلى ما ينتظر منا تحقيقه يراودنى شعور بالتفاهة ما نشعر به الآن.

أسعد : لكننا لسنا آلات تسير بضغط زر وتتوقف لأخرى. نحن بشر كتلة مشاعر وأحاسيس إذا لم تكن مهيأة بشحنات معنوية قوية أصابها الفتور.

هدى : تقول ذلك لأنك متردد ولم تستطع أن تحسم أمرك.

أسعد : ربما كان الأمر كذلك. لكن ألا ترين الصعوبة؟.

هدى : ليس هناك صعوبة إذا ما حاول أحدهم أن يقنعك أن الماء بارد وأنت تراه يغلى فلن يكون ثمة إمكانية للحوار.

أسعد : ولكنه مصير الحركة كلها يا هدى ـ هل تفهمين؟ ولا يمكننى تصور هذا المصير معلقاً بصراعات خطيرة.

هدى : (مقاطعة) ليست صراعات صغيرة إنها أساسيات.

أسعد : لكنكم قد تدمرون كل ما تم بناؤه.

هدى : ما فعله «محسن» هو بداية التدمير الفعلى.

أسعد : ربما كانت له مبرراته.

هدى : ألهذا أرسلت فى طلبى لتدافع عن خطئه؟.

أسعد : بل لنصل إلى حل.

هدى : إذا تم تصحيح الخطأ لم تبقَ هناك مشكلة.

أسعد : تبدين كمن يعقد الأمور.

هدى : أنا لا أعقدها وإنما أحاول مساعدتك.

أسعد : أريدك وأريدهم. وليس مستحيلاً الجمع بينهما وقد كانا كذلك فى الماضى.

هدى : لكن هذا المستحيل قائم بقيام الخطأ.

أسعد : كم تبتعدين عنى!!

هدى : وأنت أيضاً!!

أسعد : أنا أحبك.

هدى : كلا

أسعد : اقسم

هدى : لا أريد قسماً.

أسعد : ماذا تريدين إذاً؟

هدى : احساساً حقيقياً.

أسعد : لكنك تعرفين!

هدى : ماذا

أسعد : لا يمكننى الابتعاد عنك.

هدى : لكنك ستفعلها أو كدت.

أسعد : أوف... حائر

هدى : إذاً أنت لا تحب؟!

أسعد : بالعكس أنا حائر لأننى موزع بينك وبينهم.

هدى : لن أضعك فى موقف الاختيار.

أسعد : مرغماً سأقفه

هدى : حتى لو لم أرد ذلك؟

أسعد : حتى لو فعلت. هذه أمور تخرج عن إرادة الإنسان ولا يملك حيالها شيئاً.

هدى : إذاً كن معى **(تقترب منه وتضع يدها على كتفه) (بصوت رقيق)** أسعد مذ بدأنا ونحن معاً. لا يمكننى تصور وأد هذا الرابط معاً يمكننا عمل أشياء كثيرة رائعة.

أسعد : أنا... أنا حائر.

هدى : **(يبدأ صوتها فى الارتفاع قليلاً)** - إلى متى؟

أسعد : لست أدرى

هدى : لكنك تقتلنى بهذا التردد

أسعد : بحجم الهوة التى اتسعت بين مجموعتنا.

هدى : أنت تلومنى وكأننى مخطئة!

أسعد : لم أقل ذلك.

هدى : لقد خدعت فيك.

أسعد : لا تقولينها ثانية أرجوك.

هدى : كنت أعتقدك متطرفاً.

أسعد : ما زلت كذلك.

هدى : ها. كلا يا عزيزى. قد كنت كذلك. ربما أصدق هـذا. لكنك تغيرت الآن إنك تجذف ضد التيار وجل ما أخشاه أن ينقلب بك القارب.

أسعد : من منّا يجذف ضد التيار.

هدى : لا تتهمنى لتجد منفذاً للهرب من تهمتك.

أسعد : لم أعهدك هكذا. لشد ما أثرت فيك الأحداث.

هدى : تقصد التوحش. أنت لا تفهم يا عزيزى هل تتصور أن تبقى الأم ساكنة فى مواجهة قاتل أطفالها. إنها تنشب أظافرها فى عنقه وقد تلوك كبده وتتعطش لدمه هل كنت تتصور أننى سأقف ساكنة أمام الخيانة لم أفعل شيئاً يا عزيـزى حتى الآن. إننى أتخبط وأبعثر الأشياء فى فوضى ولكننى فى حمى اليأس قد أفعل ما لا تتصورونه.

أسعد : قد دافعت عنك كثيراً.

هدى : ها. شكراً أيها الفارس لم أطلب منك ذلك.

أسعد : **(يقترب منها محاولاً أن يمسك يدها)** ـ هدى حبيبتى.

هدى : (تنفض يدها بعنف من يده) - ابتعد عنى أشعر بدبيب الكراهية يزحف إلى قلبى أنا لا أعرف كيف أحب نصف حب أو أكره نصف كراهية إما أن أحب كل الحب أو أكره أشد الكراهية.

أسعد : لا يمكن لحبك أن ينقلب إلى كراهية أعرف أن قلبك أطيب من أن يحمل لى مثل هذا الشعور.

هدى : ابتعد عنى يا أسعد يمكننى أن أفعل ما هو أكثر.

أسعد : ولكن.

هدى : (مقاطعة) - ولكن ماذا؟ حتى أنت فقدت شجاعتك فى مواجهتهم. يا لى من غبية حين تصورتك بطلاً.

أسعد : ضعى نفسك مكانى. ما الذى كنت ستفعلين (يصمت لحظة) - اووف أنا متعب جداً هل أنا حقاً جبان؟ هل فقدت شجاعتى (يدور حول نفسه) قلت لكم أن الدائرة تدور من نقطة الصفر إلى نقطة الصفر وما كنتم لتصدقونى فتسحقنا فى دورانها فرداً فرداً كالفئران الصغيرة وستتلذذ بالتهامنا ونحن نتقاذف بالسباب كأطفال الشارع هل رأيت فى حياتك قطاً يطارد فأراً صغيراً؟ أنا رأيته إنه لا يمسكه فى لحظات المطاردة الأولى كلا يطارده حتى يفقده أنفاسه ويحاصره فى كل الزوايا الممكنة ويتلذذ بهذا كتلذذ طفل بقطعة حلوى ثم يمسكه فى النهاية.

هدى : ما الذى تريد قوله؟

أسعد : أنت لا تفهميننى. لم تعد لديك الرغبة فى فهمى ما دمت قد أصدرت حكمك.

هدى : الأحاسيس المرهفة تقتل أصحابها.

أسعد : آه طوال الليلة الماضية وأنا أذرع الغرفة طولاً وعرضاً من الباب إلى النافذة ومن النافذة إلى الباب. سألت نفسى ألف سؤال. سحقت ألف لفافة دخان ولم أحصل على إجابة واحدة.

هدى : ولم تقرر لأنك كنت تبحث عن مبرر لكل شىء.

أسعد : حينما يصل الإنسان إلى مثل هذه النقطة الحرجة. إلى خط التماس القاطع يصبح الهرب من كل شىء حلم يـدغدغ القلب.

هدى : (بفزع) ـ لا تقلها. لكأنك تبرر فشلك.

أسعد : ليكن ـ لم أعد راغباً فى شئ.

هدى : والتزامك والآخرون. وأنا؟

أسعد : جميعكم تفلتون من يدى كزئبق لزج كلما توهمت أننى أمسكت به أراه يهرب مجدداً.

هدى : لا تمسك بها جميعاً فى مرة واحدة.

أسعد : لقد كانت كذلك فى يوم من الأيام.

هدى : لكنها مضت بمضىّ من أقام التوازن بينها.

(فترة صمت)

أسعد : هدى.

هدى : نعم **(يتقابلان)**

أسعد : منذ البداية ونحن ندور حول نقطة واحدة. لا نحن توقفنا ولا اجتزنا.

هدى : أدرى.

أسعد : أنا حزين ومتعب.

هدى : وأنا كذلك **(تصمت قليلاً)**. سأمضى

أسعد : إلى أين؟

هدى : لست أدرى.

أسعد : (بحزن) وتتركيننى؟

هدى : أنت أيضاً تتخلى.

(يطرق أسعد برأسه فيما تغادر هدى القاعة).

الفصل الثانى/ المشهد الأول

المنظر الأول

(حجرة استقبال بسيطة الأثاث لكنها منظمة باب فى المواجهة أرفف مكتبة صغيرة فى الجانب الأيمن وباب مقابلها ينفد إلى باقى غرف الشقة. صالون صغير يحتل الوسط جهاز تسجيل على أحد أرفف المكتبة).

المشهد الأول

(فاطمة تجلس على الكرسى الطويل تطالع مجلة فيما تكب سناء على الكتابة من أحد الكتب صوت موسيقى وغناء أجنبى صاخب ينبعث من جهاز التسجيل.

تفتح هدى الباب بمفتاحها الخاص ثم تغلق الباب وراءها. يبدو منظرهما مرهقاً تلقى بنفسها على أحد الكراسى)

فاطمة : **(تلقى بالمجلة على الأرض)** ـ أهلاً هدى فى العادة عندما يدخل أحد على مجموعة يلقى السلام ولو من باب المجاملة.

(دون أن ترفع رأسها عن الكتابة) ـ ربما بدأت «هدى» تصنف السلام فى باب المجاملة الاجتماعية الزائفة التى يفرزها المجتمع البرجوازى.

(تضحك فاطمة، فيما تقف «هدى» لتغلق جهاز التسجيل).

هدى : أى انسجام يمكن أن تحققنه بالاستماع إلى مثل هذا الصراخ؟

سناء : بدأت الزعيمة فى إلقاء محاضراتها. يـا سيدتى هـذا فن عالمى، موسيقى، رقص، إبداع.

هدى : هذا محض صراخ وضجيج، وحتى لو اعتبرناه فناً فهو لا يخصناولا يحرك مشاعر أى منكما.

(تقفز سناء وتفتح الجهاز، تحاول أن تقلد رقصة أجنبية، تدور حول هدى فى محاولة لازعاجها ثم تقفل الجهاز وهى تضحك).

سناء : يا عزيزتى إذا كنت أنتِ لا تهمك متابعة آخر أسطوانات الغناء الغربى فأنا أفعل، وأنا أيضاً لا أحب أن أبدو متخلفة أمام زملائى، لا أعرف شيئاً مما يدور فى العالم.

هدى : ها. أهذا هو إذا مقياس التخلف والتقدم عندكم؟

سناء : هكذا يفكرون!

هدى : إذا كـان الآخرون تـافهون فهـل يجرونـك إلى ممـارسـة تفاهاتهم.

سناء : هذه هى «الموضة» وأنت آخر من يمكن مناقشتك فى مثل هذا الأمر.

هدى : لماذا؟ هل لأننى أدفعك لاتخاذ موقف جدى والبعد عن هذا السخف الذى تضيعين وقتك فيه.

سناء : أووه يا عزيزتى، أنا أؤمن بمبدأ التخصص. أترك لك قراءة الكتب والقاء المحاضرات والتنظير والتحدث عن الفراغ فى العالم الذى ستملئيه أنت **(تهز كتفيهـا استخفافـاً)** لا أدرى بما؟؟ بالله عليك يا عزيزتى اتركينى أعيش حيـاتى كيفما أرغب.

هدى : لكنك تتوهمين أنك تعيشينها. فى حين أنك تضيعينها عبثاً.

سناء : أنا لا أريد أن أصدِّع رأسى بما تصدعين أنت به رأسك انظرى إلى وجهك فى المرآة. إنك دائمة الشحوب، دائمة

التفكير أنت تقتلين نفسك بهذه الطريقـة ولن تصلى إلى الثلاثين من عمرك إلا وشكلك يشبه شكل جدتى. . . فى رأيك أنى لا أعيش حياة حقيقية. حسناً، اتركينى أعيش وهمها الذى أصنعه باختيارى.

(هدى تهز كتفيها كمن يئس من النقاش وتلتفت نحو فاطمة)

هدى : وأنت يا فاطمة لماذا تدخنين بهذه الشراهة؟

فاطمة : لكى أنسى

هدى : تنسين ماذا؟ هذا محض هروب. . . تمرد سلبى. . . وعى قاصر لا يحقق شيئاً. . يقتلك وأنت تراوحين فى محلك.

فاطمة : لا بأس **(تنهض من مكانها) ومن قال أنى أكره ذلك.**

هدى : ولكن هذا غير مجدٍ.

فاطمة : ومن سأل عن الجدوى؟ إنى ابتعد عن أسرتى لأكثر من خمس سنوات لأنهى هذه الدراسة اللعينة وأخرج بـورقة تافهة، لكنها مفيدة فى نهاية كل شهر إنها الحياة. هـل تفهمين **(نفخت دخان سيجارتها)** أنت تعرفين كيف اقتطع من دم أبى وتعبه اليومى ثمن هذه الورقة. ومنذ خمس سنوات وهو ينتظر أن أسدد له ثمن أتعابه. هو يدفع الآن جزءاً من ايجار هذا المكان الذى نتقاسمه ومصاريف الدراسة ثمن الكتب والمواصلات والملابس. . . الخ وأنا سأبدأ بالدفع بمجرد البدء فى العمل. . . أى حياة حقيرة أبى يقتطع من راتبه الضئيل لأدرس ويعلق علّى كل آماله باعتبارى الأكبر، أمى تعمل خادمة لتساعده. ها. وتريدنى أن أتـوقف عن التدخين؟؟ هذا عزاء لى.

هدى : هذا ليس عزاءً. . هذا تدمير لك. . ما من امكانية كهذه بامكانها أن تبدل ظروفك وفق ما تشتهين. حتى لو ظللت طوال حياتك تدخنين.

(تقفز سناء فوق أحد الكراسى)

سناء : أيها الأخوة المواطنين. أنا احتج.

(تلتفت هدى)

هدى : لِمَ أيتها المواطنة الصالحة؟

سناء : احتج على تعكير الجو وقلبه إلى جو تراجيدى... كأننا نشاهد فلماً هندياً.. أو مسرحية مأسوية.

فاطمة : أليست حياتنا مسرحية مأسوية فعلاً؟

سناء : أيها الأخوة. ما قد فات مات وما هو آتٍ آت.

هدى : (مقاطعة) يا للاستنتاج العظيم وبعد؟

سناء : دعونا نعيش حياتنا طولاً وعرضاً. من الشمال إلى الجنوب. ومن الغرب إلى الشرق. وفى كل الاتجاهات. إنى أعدكم إذا أتحتم لى الفرصة بأن أخلق لكم كل امكانيات الابتهاج والمرح.

هدى : تذكريننى بالوعود الانتخابية.

(تجلس فاطمة وهى تدخن وترفع رأسها مفكرة فيما تنحنى سناء مكانها تستمع إلى تصفيق مزعوم).

سناء : شكراً أيها المواطنون. لا داعى للتصفيق. لم أقل إلا ما هو واجب.

(تقفز من على الكرسى)

سناء : فاطمة هل تذكرين فؤاد؟

فاطمة : (تنتهى من شرودها) هه. أى فؤاد؟

سناء : ذلك الشاب الوسيم ذوالعينين الخضراوين واللباس المستورد.

فاطمة : ذلك الذى لا يكف عن مضغ اللبان كالعجائز والتحدث بلسان مطاطى ملتوٍ.

سناء : أووه ـ لا تقولى عنه ذلك. إنه وسيم على كل الأحوال.

فاطمة : حسناً. لا تغضبى هكذا ما به؟.

سناء : أوقعته.

هدى : يا للانتصار العظيم.

سناء : هدى أرجوك - أنا لا أتكلم حين تمضين جل وقتك وأنت تمضغين الكتب كالقوارض. ولا حين تذهبين - لست أدرى إلى أين - وتعودين فـى أوقات متأخرة.. ولا على هذه الجدية التى تكاد تقتلك. ولا موسيقى، لا حب، لا رقص. أووه هذا كثير. أنا لست مثلك. لا أفكر بذات الطريقة التى تفكـرين بهـا. ولا يعجبنى أن أدفن نفسى بين الكتب كالجاحظ أو أفكر بتغيير هذا العالم. لاأحب السياسة كما تشغلين بها أنت باختصار أحب أن ألعب بالرجال كما تلعب الدنيا بى. أود أن استمتع بحياتى هنا قبل أن أدفن فى تلك المدينة القذرة التى قدمت منها وقبل أن أتزوج ممن ترغب عائلتى أن أتزوج منه. ذلك الفأر ابن عمتى. هل فهمت يا عزيزتى بى شحنة حقد رهيب وسأفرغها بالطريقة التى أراها مناسبة.

هدى : ولكن فى النهاية لن تحققى انتصاراً واحداً وستجدين نفسك ركاماً من خيبات الأمل المتلاحقة.

سناء : لا يهمنى شىء ما دامت نهايتى معروفة.

هدى : ربما لفترة وجيزة - لكنك فى النهاية مجبرة على الخضوع لأوامر أسرتك وسيكون ما تعلمته فى صندوق القمامة.

سناء : بالله عليك - يا هدى كفى عن هذا الحوار البيـزنطى ألا تكفينا محاضرات الدكتور «محسن» طوال الوقت فى القسم وهـو يتحدث عن الـوجود وحـريـة الاختيـار... والإرادة والتغيير.. لكأنكما تدرسان هذه الأشياء معاً.

(هدى تبتسم ولا تعلق)

فاطمة : حسناً يا سناء. . . وماذا حدث مع فؤاد؟

سناء : قلت لك لقد وقع. . . . لقد دعوته لشرب الشاى معنا اليوم؟

فاطمة : هنا؟

سناء : هنا. . . نعم. . هل هناك مانـع. ستقولين لى هـذه شقة فتيـات فى الجامعة وكل سكان العمارة يعرفون ذلك رؤ ية رجل يدخل ستثير شكوكهم.

هدى : (مقاطعة) ـ ما دمت تعرفين ذلك يا شاطرة لماذا دعوته؟

سناء : ليذهبوا جميعاً إلى الجحيم. أنا لا أرتكب جريمة. أنا أدعو صديق لتناول الشاى ولأعرفه عليكن.

هدى : أعتقــد أنت التى ستـذهبين إلى الجحيم. . . أنت لست مخطئة أعرف. ولا ترتكبين جريمة بدعوة صديقك. . وأتفق معك على أنك حرة فى اختياراتك غير أنك لا تستطيعين كسب الآخرين إذا فعلت ما يزعجهم منك.

سناء : لا أريد أن أكسب أحداً منهم. هذا مجتمع يملؤه النفاق والزيف تنتشر فيه الأوبئة كانتشار خلايا السرطان فى الجسد ثم يرفع فى (الفترينة) شعار الشرف والعفة. هؤلاء جميعاً مصابون بانفصام فى الشخصية. كل منهم له وجهان. . . وجه يقابل به الآخرين ووجه مدنس يخبئه عنهم.

هدى : **(تطرق رأسها ثم ترفعه)** حسناً ومتى سيأتى؟

سناء : الساعة الثامنة.

فاطمة : ها. . . لهذا وأنت بكامل زينتك منذ الساعة الخامسة. يا إلهى كان لا بد أن استغرب لماذا نظفت الشقة هذا اليوم؟ أتت التى تكرهين القيام بهذه الأعمال؟؟

سناء : أووه يكفى مهاجمة واحد. أنا لا أستطيع الحرب على عدة جبهات.

فاطمة : يا للصغيرة المسكينة. وهل سيحضر فؤادك هذا وحده؟

سناء : لست أدرى تماماً قد يحضر معه أحد أصدقائه؟

فاطمة : أيضاً. لا بد أنها ستكون ليلة تاريخية يتغنى بها كل سكان العمارة مدة عام.

سناء : قلت لك إنهم لا يعنون لى شيئاً.

فاطمة : لكنهم يعنون لى أشياء كثيرة.

سناء : لن ينـقلـب العالـم على أية حال وستبقى الكرة الأرضية كما هى.

فاطمة : ألن تغيـرى من أسلوبك الهـزلى هذا. سيؤدى بـك إلى الهاوية إن شاء الله.

سناء : (بمرح) - المهم أن ترافقينى أنت وهدى إليها. أليس كذلك يا هدى؟
(تنظر إليها فتراها شاردة) هيه أنت لم كل هذا الشرود؟

هدى : ماذا تريدين.

سناء : أقول لك أنه لا يستحق منك كل هذا التفكير. انسيه.

هدى : من؟

سناء : هذا الذى تفكرين فيه.

هدى : ومن قال لك أنه رجل؟

سناء : هذه قضية لا تحتاج الفتوى فيها إلى ثقافة. لا تفكر المرأة إلا بالرجل ولا يفكر الرجل إلا بالمرأة.

هدى : (بسخرية) - عظيم جداً. وبعد؟

سناء : لا شيء. سوى أن نصف المائة خمسون. وليس هناك فى هذا الكوكب ما يستحق منك هذا التفكير والتردد.

هدى : ألا يمكن أن تكونى جادة يوماً ما أبداً؟

سناء : فكرت ذات مرة فى ذلك. غير أنى لم أجد الوقت الكافى لتنفيذه.

هدى : لكنك تجدين الوقت الكافى للعبث.

سناء : (تضحك) ولهذا السبب لا أجد وقتاً للجدية. ثم ماذا أفعل بها ولست رئيسة حزب أو دولة لأشغل وقتى بالتفكير فيما سأفعله أو سأقوله.

هدى : ولكن هؤلاء هم الذين يرسمون لك حياتك.

سناء : أترك لهم هذه المهمة مقابل ساعات من الابتهاج والمرح.

هدى : والغاية.

سناء : المتعة ذاتها.. أليست غاية تستحق المجازفة؟

فاطمة : يا للتهور!!

سناء : تكلمت «العاقلة» بعد صمت فقالت ما لا يساوي قرشاً.

فاطمة : أتسخرين منى؟

سناء : كلا. كلا. أرجوك لا تغضبى... من سيعد لنا الشاى و«لوازمه» إذا أتى الضيف الجميل؟

هدى : أنت مسكينة.

سناء : وأنت مثقفة إلى درجة التخمر.

هدى : لا أدرى إلى أين يؤدى بك عبثك هذا؟

سناء : إلى حيث تؤدى بك ثقافتك.... سيجمعنا القبر يا عزيزتى ويومها لا تجدى ثقافة ولا يحزنون.

هدى : هذا إذا أفادك الهزل؟

سناء : ما دام لا شىء يفيد... إذا نحن متساويتان... واحد لواحد..

فاطمة : وهل ستتحدثين مع فؤادك بهذه الطريقة؟

سناء : إنها تعجبه فما دخلك أنت؟

هدى : لا بد أنه أسوء منك حتى تعجبينه.

فاطمة : أجزم بأنه يرغب فى تسلية يقتل بها وقت فراغه.

سناء : فى الحقيقة أنا أريد أن اتخذ منه صديقاً. . . لكنه إذا تحول إلى التسلية فأنا لها.

فاطمة : كم أخاف عليك من تفكيرك هذا.

سناء : أووه لا تخشى شيئاً. . . لم يحدث أن هزمته. .

فاطمة : أتبنين صداقات أم تدخلين معارك.

سناء : الصداقة مع الرجال فى الواقع معركة. إنهما يلتقيان - أقصد الرجل والمرأة - يتحدثان معاً. . . يبتسمان ولكن كل منهما يظل متحفزاً متأهباً . . . كأنما سينقض على فريسة. . .

فاطمة : هذا إذا رغب أحدهما أو كلاهما أبعد من الصداقة.

سناء : من خلال خبرتى فى التعامل مع الطرفين «أعتقد أن كل منهما الرجل والمرأة يحمل فى أعماقه هذا الشعور. . . هما قطبا مغناطيس ينجذب كل منهما للآخر. . . لكن هذا التجاذب يلجم بعوامل اجتماعية.

فاطمة : تقصدين الدين؟

سناء : الدين. . . . ثقافة الناس. . . الخ.

فاطمة : وأنت ماذا تريدين منه بالضبط؟

سناء : تقصدين فؤاد؟ لا شيء مجرد ارتباط عادى.

فاطمة : وماذا عنه؟

سناء : لا أظنه يفكر فى شيء آخر.

فاطمة : لست أدرى كيف تحتملين صداقتهم؟

سناء : من تعنين.

فاطمة : أولئك البرجوازيون أصحاب الألقاب الفخمة والسيارات الأفخم.

سناء : ما بهم.

فاطمة : إن لهم «بروتوكولات» سخيفة جداً.... يمشون بطريقة متميزة... ويتحدثون بلسان ملتو ومتكلف وبتشدق بطريقة خاصة زد على ذلك ما يرتدونه باسم الأناقة من ثياب... يا إلهى... وباسم المستوى الاجتماعى ينغلقون على أنفسهم فى مجموعات صغيرة... قولى لى كيف استطعت اختراقهم؟.

سناء : ولكن فؤاد يختلف عنهم... صحيح أنه ينتمى إليهم... وصحيح أنه يتكلف بعض الشىء ولكن ليس إلى حد الغرور والتصنع.

فاطمة : وكيف تعرفت عليه؟

سناء : لقد تغيب فترة وحين عاد طلب منى ما فاته من محاضرات وهكذا تعرفنا... وقد دعانى إلى بيتهم.

فاطمة : أذهبت معه؟

سناء : نعم.

فاطمة : وحدكما؟

سناء : كلا... بل كانت معنا أخته ثم إنى كنت أزور عائلته فهو لا يسكن وحده.

فاطمة : (الحكاية) متطورة إذن؟... وهل أعجبك بيتهم؟.

سناء : إنه قصر. لست أدرى كيف سينظر إلى هذه الشقة الصغيرة؟

فاطمة : إذا لم تعجبه فليشرب من البحر.

سناء : بل سأرميك أنت فى البحر إذا أسأت التصرف معه. ثم لماذا تحكمين عليه مسبقاً ألا تنتظرين حتى تتعرفين عليه؟ إنك مثل «هدى» دائماً تتعجلين الحكم.

فاطمة : فى المثل القديم يقولون «الكتاب يعرف من عنوانه».

سناء : هل لأن أسرته غنية تحكمين عليه أنه سيء؟.

فاطمة : العـادة يطبع الابن بطابع أسرته.

سناء : ليس دائماً.. أعرف من الفقراء مـن يفكر بعقلية الأغنياء وأعرف أيضاً من يكره غنى أسرته.

فاطمة : هذا أمر نادر الحدوث.

هدى : (متدخلة) ألن تكفا عن هذا الازعاج. لقد سببتما لى صداعاً بسبب هذا «الفؤاد».

سناء : قولى لها أن لا تهاجمه وسأصمت.

فاطمة : سوف يأتى بعد قليل وسنرى.

سناء : أتعدينى بأن تكونى رقيقـة معه؟

فاطمة : لماذا؟

سناء : لماذا؟ يا إلهى أرحنى من هذه الفتاة. لماذا خلقتها قاسية بلا قلب. يا رب إذا عاملته بقسوة يا عزيزتى فسيفرّ هل تفهميننى؟

فاطمة : أخشى أن يكون الأمر أكبر من الصداقة فعـلاً.

سناء : قد أفعلها إذا كنت جافة معه.

فاطمة : يا للفتاة الـرقيقة الطيبة!!

سناء : ويا لك من متـوحشة!! لمـاذا لم يمنحك الله قليـلاً من العواطف؟

فاطمة : أترييننى مجردة منها؟

سناء : أراك تدفنين نفسك وتقتلينها بالتفكير والتدخين والعزلة أين أهرب منكما أنت وتلك المثقفة.

فاطمة : ولماذا لا ترثين لحالنا نحن من تهورك؟

سناء : لو كنا جميعاً مثقفات لتصدعت جدران هذه الغرفة مللاً.

فاطمة : لماذا؟

سناء : لأنها ستظل طوال الوقت تنقل من نقاش إلى آخر ومن قضية إلى أخرى ومن أزمة السكن إلى الغزو الثقافى ومن أخبار الفضاء إلى الأزمة الاقتصادية وستصاب جدران هذه الشقة أيضاً بارتفاع ضغط الدم والسكر.

فاطمة : الجدران أم أنتِ؟

سناء : أنا؟... لقد أصبت بها منذ أن سكنت معكما لكن الله منحنى صبر أيوب.

هدى : ليته يمنحنى أنا أيضاً قليلاً منه حتى لا أقذفك من النافذة.

سناء : ستفقدانني حتماً ولن تجدا من يزعجكما بعدى.... وسيسود هذا المكان الهدوء القاتل وستبكيان يوم لا ينفع البكاء وسوف...

هدى : **(مقاطعة) ـ** كفى... كفى... سيكون ذلك أسعد يوم بلا شك يوم نتخلص من إزعاجك.

فاطمة : آمين.

هدى : خذيها معك «فاطمة» إلى الداخل. اذهبى يا «صغيرتى» واعدى الشاى «لفؤادك» القادم بعد قليل.

سناء : لا تطمعى بغيابى أكثر من دقائق معدودة.

(تخرج فاطمة وسناء)

المشهد الثانى

هدى ـ فؤاد ـ سناء ـ أمجد ـ فاطمة

(صوت دقات على الباب ـ تقوم هدى لفتحه، لكن سناء تأتى مهرولة من الداخل)

سناء : سأفتحه أنا.

هدى : تفضلى.

(سناء تصلح هندامها ثم تفتح الباب، يدخل فؤاد)

فؤاد : مساء الخير.

سناء : فؤاد... أهلاً... أهلاً.

فؤاد : هذا صديقي.... (يدخل أمجد)

هدى : (بدهشة) أمجد؟؟

أمجد : هدى؟

فؤاد : (باستغراب) - تعرفان بعضكما؟

سناء : هذه صديقتي (الفيلسوفة) هدى عبد الحميد.

فؤاد : وهذا صديقي «أمجد».

سناء : هل ستقفون هكذا أمام الباب؟ ألن تدخلوا؟
(يدخلون)

فؤاد : أمجد، تعرف هدى من قبل؟

أمجد : نعم نحن صديقان قديمان.

هدى : هذه مفاجأة لم أتوقعها.

أمجد : ولا أنا ماذا تفعلين هنا؟

سناء : إننا نسكن معاً تنقصنا فاطمة فقط.
(تدخل فاطمة تحمل عدة أكواب من العصير، تحييهم ثم تجلس قرب هدى).

هدى : أهذا هو فؤاد؟ (تلتفت إليه) سناء تتحدث عنك دائماً.

سناء : (بارتباك) -أنا كنت... أقصد....
(يضحكون منها)

فؤاد : تتحدث بالايجاب أم بالسلب؟

هدى : بالإيجاب طبعاً (تضربها سناء بشكل خفي لتصمت)

سناء : (هامسة لهدى) ـ لا تفضحينى يا هدى أرجوك.

هدى : (متوجهة بسؤالها لأمجد) ـ أمجد متى جئت إلى هنا؟

أمجد : منذ أكثر منْ أسبوع.

هدى : أين تقيم.

أمجد : مع فؤاد.

فؤاد : (يدير بصره فى الغرفة) إن لكن شقة جميلة.

سناء : هل أعجبتك!

فؤاد : إنها بسيطة وجميلة.

سناء : إنها لا تقارن أبداً ببيتكم.

أمجد : الجمال ليس قريناً بالضخامة والفخامة... على العكس أرى أن الأشياء الصغيرة المنظمة أكثر جمالاً.

سناء : أتعنى أنك تفضل مثلاً سيارة صغيرة عادية على سيارة فخمة مريحة؟.

أمجد : السيارة واحدة ومهمتها سواء كانت كبيرة أم صغيرة واحدة الاهتمام بالتفاصيل الشكلية لا يدل إلا على الغباء والفراغ.

سناء : غريبة.

أمجد : ما وجه الغرابة؟

سناء : فؤاد أخبرنى أن أسرتك غنية جداً.

أمجد : أسرتى ولست أنا.

سناء : أنت واحد منهم.

أمجد : أنت لم تعيشى حياة المترفين ولذا تتطلعين إليها. لكنها فى الحقيقة مملة وسخيفة جداً. إنها مجرد زخاريف خارجية تخفى عيوباً لا تعد (تذهب هدى إلى جهاز التسجيل تتظاهر

بالبحث عن شريط ثم تشير على نحو لا يراه أحد إلا سناء. تفهم سناء الإشارة وتذهب إليها).

سناء : هل تبحثين عن شريط معين؟

هدى : نعم أتساعدينني؟ **(تميل عليها وتهمس لها).**

هدى : سناء اسمعى أريد أن أتحدث إلى أمجد على انفراد. خذى فؤاد وفاطمة إلى الداخل.

سناء : **(بخبث)** ـ تتحدثان على انفراد؟ أهو صديق حميم إلى هذه الدرجة؟

هدى : كفى عن هذا السخف.

سناء : حسناً لا تغضبى. سأتدبر الأمر ولكن سوف أتجسس عليكما.

هدى : وتتركين فؤاد وحيداً؟ لاأعتقد. **(تضحكان وتعودان للانضمام إلى المجموعة).**

سناء : فؤاد ألم تقل أنك تحب الرسم.

فؤاد : نعم إنه أحد اهتماماتى.

سناء : **(تشير إلى فاطمة)** ـ أتعلم أن فاطمة رسامة ماهرة؟

فؤاد : هل هذا صحيح؟ رسامة؟ هذا شيء عظيم.

فاطمة : **(بخجل)** ـ لا. تهولى الأمر يا سناء. لست إلا هاوية.

سناء : كلا، كلا لا تصدقوها. إن لها لوحات رائعة.

فاطمة : لكن عددها بسيط.

سناء : على العكس إنها تكفى لمعرض لو شئت. لكنك متواضعة أكثر مما يجب.

فؤاد : أتنتمين لمدرسة معينة؟

فاطمة : أنا أرسم بشكل عفوى.

سناء : وهذا فى ظنى سر جمالها. لماذا لا ترينها لفؤاد؟

فؤاد : هل يمكنني ذلك؟

فاطمة : بالطبع. ما المانع **(ينهضون استعداداً للدخول)**.

(تنشغل هدى فى هذا الوقت بحديث خافت مع أمجد).

فؤاد : ألن تأتى معنا يا أمجد؟

هدى : سنلحق بكم بعد دقائق.

سناء : حسناً. هيا بنا.

المشهد الثالث

هدى ـ أمجد

أمجد : وأخيراً..

هدى : كيف حالك «أمجد»؟ منذ زمن لم أرك؟

أمجد : وأنا كذلك.. آخر مرة رأيتك فيها كانت قبل «رحيله» بشهر تقريباً.

هدى : ماذا تفعل هنا؟

أمجد : أقيم عند «فؤاد» هذه الفترة.

هدى : كانت مفاجأة لى عندما دخلت.

أمجد : وأنا أيضاً لم أتصور أن سناء تسكن معك.

هدى : أهو صديقك منذ زمن؟

أمجد : بحكم العلاقات العائلية... لكنى لم أوثق صلتى به إلا مؤخراً.

هدى : لِمَ؟

أمجد : فى البداية لأنه كان مصدر معلومات هامة لنا لعلاقات أسرته الواسعة... أما الآن... **(يصمت)**.

هدى : أما الآن. . . ماذا؟

أمجد : إننى أقضى فترة «نقاهة» إذا جاز التعبير.

هدى : أكنت مريضاً؟

أمجد : نعم مما حدث لنا.

هدى : مع أى الفريقين أنت؟

أمجد : لا أحد.

هدى : وحدك إذن؟

أمجد : مثلك، غير أنى لم أناقش أحداً. لقد انسحبت بهدوء وجئت إلى مدينتى إلى هنا كى استريح وأفكر.

هدى : وما الذى تنوى أن تفعله؟

أمجد : حتى الآن لا أدرى. وأنتِ؟

هدى : لم أقرر شيئاً بعد. ولا أريد أن أفكر.

(فترة صمت)

هدى : هل ستطول إقامتك عند فؤاد؟

أمجد : ليس كثيراً. إننى استغل وجودى هنا وأذهب إلى الجامعة يومياً غير إننى لم أصادفك هناك.

هدى : لم أذهب إليها منذ وقت طويل. هل هناك شىء جديد؟

أمجد : ربما يكون هناك إضراب. سأحاول أن أفعل شيئاً.

هدى : لا تدع أحد ينتبه إليك.

أمجد : وجود «فؤاد» غطاء كافٍ.

هدى : وما رأيك فيه؟

أمجد : فى فؤاد؟

هدى : نعم.

أمجد : طيب ومدلل.

هدى : أيمكن تغييره؟

أمجد : أفضل أن استفيد منه هكذا... تغييره يحتاج إلى وقت طويل وليس هناك ضمان أكيد للنجاح معه.

هدى : أراه متعلقاً بسناء!

أمجد : إنه لا يمل الحديث عنها هذه الأيام. وهى كما تبدو لطيفة.

هدى : نعم. لكنها لا مبالية.

أمجد : قد تكون اللامبالاة ردة فعل.

هدى : هى كذلك... إنها فى حالة لا توازن... أرجو أن تتحدث إلى فؤاد حتى يكون صديقاً لها ولا يتحول ما بينهما إلى مجرد تسلية.

(فترة صمت قصيرة)

أمجد : أتذهبين إلى هناك؟

هدى : نعم لا زلت أذهب.

أمجد : وما الموقف؟.

هدى : محسن لا زال على موقفه... أحمد معه.... أسعد حائر.... وهكذا.

أمجد : أترين أن الأمور قد تتحسن.

هدى : لست أدرى.... قد تتحسن وقد تسوء... وماذا عن مجموعتكم؟

أمجد : استبدل محسن قائدها بشخص آخر... حدث خلاف على التغيير ... وأثرت أنا الانسحاب المؤقت.

هدى : ألم تخطىء.

أمجد : وماذا أفعل؟ لا أريد أن أكون مثل خالد...

هدى : أتراه أخطأ؟

أمجد : بالطبع.

هدى : ونحن؟ أليس حيادنا جريمة؟

أمجد : جرم أهون من آخر، ثم ما عسانا نفعل؟

هدى : ونترك كل شيء بهذه البساطة؟.

أمجد : لنرى على الأقل ما سيحدث فى الفترة القادمة؟.

هدى : كنت أقوى مما أنت عليه الآن «أمجد»!!

أمجد : موقفى الآن لا يعنى الضعف.

هدى : لم أقصد ذلك. آسفة.

أمجد : لا بأس (**ينظر إلى ساعته**) أعتقد أننا تأخرنا. هل يمكن أن تنادى عليهم؟

هدى : ألن تبقيا لتناول العشاء؟

أمجد : الوقت لايتسع ولا ينبغى لنا أن نتأخر فى البقاء هنا.

هدى : كما تريد (**تصمت لحظة**) هل سأراك ثانية؟.

أمجد : هذا ضرورى إذا بقيت هنا.

هدى : إذا قررت الرجوع إلى منطقتك أبلغنى قبلها.

أمجد : بالطبع سأفعل.

هدى : سأنادى على المجموعة.. سناء.. فاطمة.

المنظر الثانى

(مقر المجموعة، نفس القاعة الأولى. فقط تختفى صورة «عمار» وتستبدل الطاولة الدائرية بأخرى مستطيلة).

المشهد الأول

محسن ـ أسعد ـ أحمد

محسن : (يبدو غاضباً) هكذا إذاً؟

أسعد : نعم.

محسن : لم توافق.

أسعد : نعم.

محسن : لا فائدة من نقاشك معها؟

أسعد : لا فائدة.

محسن : تعتقد أننى المخطىء؟

أسعد : كما أخبرتك بنفسها.

محسن : إنها تدفعنى إلى ما لا أحب.

أسعد : ماذا تقصد؟

محسن : الضوابط؟

أسعد : لا.

محسن : إنها ترغمنى على التعامل معها بهذه الطريقة؟.

أسعد : كل ما أرجوه أن لا تتسرع.

محسن : كلا لقد صبرت بما فيه الكفاية. إن مجرد التفكير بتعنتها يسبب لى صداعاً.

أسعد : ولكنها إذا علمت بما تنويه قد تفعل ما يسبب لك ما هو أكثر من الصداع.

محسن : لا أظن. هدى تعتقد أنه بالإمكان اصلاح ما تراه خطأ بالنقاش.

أسعد : ربما كان النقاش مرحلة أولى.

محسن : كلا. لا أعتقد إنها تملك امكانية فعل شىء آخر. وحتى لو فكرت بذلك فلن أعطيها الفرصة.

أسعد : ماذا تنوى أن تفعل؟

محسن : سأنتهى من أمرها اليوم، وأتفرغ لما هو أكبر. **((ملتفتاً نحو أحمد))**، أحمد هل أحضرت المجموعة.

أحمد : نعم. قائد المجموعة الأولى والثانية والرابعة والسابعة.

أسعد : لماذا أرسلت فى طلبهم؟

محسن : إن الموقف يتأزم. خالد استطاع أن يسيطر على باقى المجموعات الأربعة الأخرى وهو يهدد بالاستيلاء على أماكن مجموعاتنا هذه.

أسعد : ستغير هذه المجموعات أماكنها؟.

محسن : هذا ما سنناقشه. المشكلة خالد يعرف المقار الرئيسية والاحتياطية أيضاً. «أحمد» هل تناقشت معهم.

أحمد : طويلاً.

محسن : وإلام توصلتم؟

أحمد : لديهم الكثير من المقترحات العملية **(يمد إليه بعض الأوراق)** لكنهم يشكون هبوط الروح المعنوية لأفرادهم.

محسن : بالطبع. ما دمنا نراوح فى مكاننا فلن يحدث غير ذلك. إسمع لقد مللت أنا أيضاً هذه المراوحة. دع المجموعة تدخل بعد قليل واذهب لاستدعاء «هدى».

أحمد : هل أخبرها بما نويته؟

محسن : نعم.

أحمد : وإذا رفضت الحضور؟

محسن : لا أظنها ترفض، ومع ذلك ' إلزمها بالحضور ولو بالقوة إذا رفضت.

أحمد : نعم.

(يخرج أحمد)

محسن : أسعد لم أنت صامت؟

أسعد : وما الذى سأقوله؟

محسن : أأنت غاضب؟

أسعد : بل حزين.

محسن : أقرر ذلك. لكنى فى موقف صعب وينبغى أن انتهى من كل ما يعيقنى.

أسعد : كان بامكانك أن تكسب هدى.

محسن : هى لا تريد.

أسعد : ولكنا الآن سنتحول إلى جلاديها؟

محسن : لقد تعرض بعضنا فيما سبق لمثل هذا الموقف... ولم تكن أنت هكذا؟

أسعد : كانت الظروف تختلف. ثم إن «هدى» لا ترى نفسها مخطئة.

محسن : هكذا؟ ومن هو المخطىء؟ أسعد إن عواطفك تجرك بعيداً.

أسعد : لو كنت كذلك لاتخذت موقفاً آخر. ولكن ها أنت ترانى معكم.

المشهد الثانى

محسن ـ أسعد ـ الرجال الأربعة

(يدخل أربعة رجال إلى القاعة ـ يلقون بالتحية ويقفون متجاورين)

محسن : أهلاً بكم. أهلاً. هؤلاء هم شبابنا الجدد فى قيادة مجموعاتنا الأربعة يا أسعد.

أسعد : آه. ولكن أين المجموعة السابقة.

محسن : لقد استبعدتهم بعد أن أصابهم الترهل..

أسعد : ولم تكلف نفسك حتى عناء إخبارنا؟

محسن : لقد حدث الاستبدال بشكل سريع وقد نسيت وسط هذا الازدحام أن أخبرك.

أسعد : نسيت؟؟ نسيت أم تناسيت؟؟

محسن : أسعد ما بك؟ هذا ليس وقت الانتقاد.

أسعد : نعم قد فات وقت الانتقاد.

محسن : ما الذى تعنيه؟

أسعد : آسف. لم أعنِ شيئاً.

محسن : (متوجهاً بالسؤال الى الرجال) ـ هل أخبـركم أحمد شيئـاً عن هدى؟

قائد المجموعة (1): تقصد ماذا سيحدث بعد حضورها؟

محسن : نعم.

قائد المجموعة (2): لم تطلبنا لهذا فقط؟

محسن : كلا على أية حال سنؤجل نقاش ما توصلتم إليه مع «أحمد» بعد حضور «هدى».

أسعد : تقصد بعد الانتهاء من «هدى»؟

محسن : (هازاً كتفيه) ـ ليكن الأمر كذلك. لا بد من الخروج من هذه الدوامة.

أسعد : وماذا عنا نحن؟ إن هذه الدوامة تلفنا جميعاً.

محسن : ها أنت تقولها بنفسك.. إن الخروج منها ضرورة.

أسعد : أترى وسائلك مناسبة؟

محسن : سنرى ذلك.. سنرى ذلك.. فلا تكثر من الأسئلة!!

المشهد الثالث

محسن ـ هدى ـ أسعد ـ أحمد ـ الرجال الأربعة

(يجلس على يمين محسن الرجال الأربعة وعلى يساره أسعد ، تدخل هدى تقف فى مواجهتهم ، يعقبها أحمد يتخـذ مجلسه بجانب أسعد ، يشير محسن إلى هدى بالجلوس فتجلس)

هدى : (بسخرية وحزن) ها أنتم تفعلونها أخيراً.

أحمد : وهل كنت تتوقعين غير ذلك ؟

هدى : كَانت البوادر تقود إلى مثل هذه النتيجة .

أحمد : لا تصورى نفسك كضحية . . أنت من يلام لا نحن .

هدى : إذا أتتك مذمتى من ناقص . . (تصمت ولا تكمل) .

أحمد : لكنك تقفين وحيدة . . فى مقابل سبع إشارات إدانة (يشير إلى المجموعة) .

هدى : لم تكن الكثرة دائماً دليل صواب .

أحمد : والعكس أيضاً صحيح .

هدى : ولكن لماذا أضيع وقتى فى نقاش عقيم (تصمت لحظة) ماذا لديكم أيها السادة . المسرحية تقترب من ذروتها المأساوية . . هلموا ألقوا ما لديكم واخرجوا ما أعددتموه لهذا اللقاء الطريف .

محسن : نحن أيضاً ليس لدينا وقت فراغ لنضيعه فلا داعى لهذه السخرية .

هدى : عظيم جداً . ها إننى أنتظر إبداعاتكم . يا من نصبتم أنفسكم قضاة . تفتون وتجتهدون وتحكمون فهل يجوز لى أنا الوحيدة أن أقف منكم موقف سخرية أو استهزاء ؟؟ هذا كثير بالطبع . أعتذر سادتى عن هذه الاستطرادات التى هى فى نظركم ليس لها معنى - غير أننى أردت حثكم على الانتهاء من هذه المهزلة وفق ما رتبتم مسبقاً .

محسن : (بقوة) لم نرتب لشىء . إنما تصرفاتك هى التى قادتك إلى مثل هذا الموقف .

هدى : كان ينبغى أن يُقاد آخرون لا أنا إلى مثل هذا الموقف .

أحمد : ماذا تقصدين ؟

هدى : أنت تعرف ما أعنى . تقلبون الحق باطلاً وتلبسون الباطل ثوب الحق ثم تريدون أن يسير كل شىء على ما يرام ؟ أشد أنواع الكفر - يا من كنتم رفاقاً - هو أن يعرف الإنسان أنه كافر ومع ذلك لا يحيد عنه إلى الصواب.

أحمد : ذاك ما كنا نريد قوله لكِ أنتِ .

هدى : أأنا من انحرف وخان أم أنتم ؟

محسن : قد أكون أنا على خطأ . ولكن ما قولك فى إجماع هؤلاء **(يشير إلى من يجلسون إلى جانبه)** .

هدى : تبدو لى هذه الوجوه جديدة . آه استبدلت السابقين ! وكيف إذاً يخالفون لك أمراً وأنت الزعيم الأوحد . ولكن قل لى لما لم يحضر قادة المجموعات الأربع الأخرى ؟ **(فترة صمت)**.

هدى : لم تجيبوا لأنهم انحازوا « لخالد » بعد خلافه معك .

أحمد : ذاك لا يعنى شيئاً « فخالد » منشق وما معه إلا فئة قليلة .

هدى : لكنكم لم تستطيعوا محاكمته لأنكم لم تستطيعوا الوصول إلى مكانه . . ؟ كان ينبغى لى أنا أيضاً أن أتصرف بنفس الطريقة بدلاً من جدل عقيم كنت أظنه يجدى معكم . . أنا المخطئة لأنى أسلمتكم نفسى بنفسى .

محسن : كانت أمامكِ فرصة كبيرة للتراجع .

هدى : عما ؟

محسن : عن عدم قبولك بالأمر الواقع .

هدى : ومَن قال أن الأمر الواقع هو الصواب ؟

محسن : لعلك لاحظت أنك وحدك من يقول هذا ؟

هدى : وخالد ؟

محسن : « لخالد » مطامعه الخاصة .

هدى : (بسخرية) ها . ما قاله « خالد » وما فعله كان لمطامع خاصة ، حسناً وماذا عنك أنت .

أحمد : أعتقد أنك أنت من أحضر للمحاكمة وليس نحن ؟

هدى : وأنا أعتقد أنه حتى فى المحاكم العادية يعطى المتهم فرصة الدفاع عن نفسه فكيف بى أنا التى أرفض منطقكم الأعوج من أساسه ؟ !

محسن : هدوءاً . اختصاراً للوقت دعونا نبدأ وفقاً للائحة الحركة

(يسود الصمت لفترة قصيرة)

(يقف محسن ويتجه نحو هدى ـ ممسكاً كتاباً متوسط الحجم) .

محسن : «هدى عبد الحميد» تقرين أننا معاً وضعنا هذه اللائحة وأقسمنا جميعاً على المثول أمام هذه المحكمة إذا ارتكبنا ما يخالف إحدى نقاطها؟ .

هدى : أوافق على القسم الأول من حديثك ولكن أطعن فى مصداقية هذه المحكمة وفى مصداقية التجريح .

محسن : فلِمَ امتثلت أمامها إذاً ؟ .

هدى : لتبيان الحق من الباطل الخيط الأبيض من الأسود .

محسن : لكن من يقفون أمامك جميعاً مقتنعون بخطأ ما تقولين .

هدى : ليس مهماً فى نظرى ما ستصدرونه من حكم فلستم أنتم من ألبسنى رداء الثورة ليخلعه عنى ولو جرحتمونى كلكم وهذا ما أظنكم قدمتم من أجله فسوف يزداد يقينى بصدق ما أقول وزيف ما تدعون .

محسن : إذا تجاوزنا اتهاماتك التى توزعينها يميناً ويساراً فإن اللائحة تنص على وجوب محاكمة من يعرقل سير الحركة .

هدى : هذه هى إذاً التهمة بالتحديد .

أحمد : أترينها صغيرة ؟

هدى : **(ولا ترد عليه)** وماذا أيضاً ؟

محسن : وأنت أيضاً ترتكبين خطأ آخر بانحيازك للعمل الفردى ضد عمل المجموع والتهديد بالردة وبردود فعل ضد الحركة لم تفصحى عن ماهيتها .

هدى : بل قل ضدكم أنتم ـ وأنت بالتحديد ـ وليس الحركة .

محسن : **(متوجهاً بالسؤال نحو المجموعة)** ـ أتوافقون على أن هذه جملة الأخطاء التى ارتكبتها « هدى عبد الحميد » والتى رتبت بالتالى ضرورة مساءلتها ؟

(يرفع الجميع أيديهم . يتردد أسعد بعض الوقت ، يلتفت إلى الجالسين ثم يرفع يده هو الآخر . تنظر إليه هدى ، تهز رأسها فى أسى) .

هدى : حتى أنت يا أسعد؟ حتى أنت **(يطرق أسعد برأسه هارباً من مواجهتها)** .

هدى : استمروا . . استمروا لماذا توقفتم ؟

أحمد : فى انتظار ما ستقولين .

(تنهض هدى تهز كتفيها فى يأس).

هدى : فى انتظار ما سأقول ؟ وما الذى تنتظرونه منى وقد جعلتمونى كلبوة فى قفص حديدى ؟ . . ترتكبون الخيانة وتوجهون سهامكم إلىّ لتتجنبوا التهمة ؟ وأنت **(تواجه محسن)** يا من لا تجيد غير اصطياد أخطاء الآخرين متجاهلاً ما فعلته ؟ إذا كان الذى أقوله وأفعله ردة، فهذا يعنى أن هناك فعلاً سابقاً استوجب هذا الرد المضاد . وإذا كنت تجيد قراءة بنود اللائحة فاقرأ إذاً تهمتك قبل أن تقذف الآخرين بالحجارة ؟

ألست أنت من أجاد لعبته تمزيق المجموعة باصطيادك لأول فرصة للتسلط ؟ هه . ماذا تقول اللائحة عن هذا ؟ أم أنك مزقت الصفحات التى لا تعجبك ؟ أتذكر يوم وقف « عمار » فى نفس مكانك الآن وتخوف من حدوث ما يجرى الآن فعلاً ؟ . . أتذكر كيف كان ردك ؟ **(تصمت لحظة)** كدت تقبل يده وأنت تؤكد أن ذلك لن يحدث أبداً .

أحمد : لكنه الآن قد رحل . ولن يعود أبداً .

هدى : **(بسخرية)** ولماذا تحدث عنه بهذا القدر العظيم من الوفاء ؟

أحمد : **(متهرباً)** على أية حال . ليس هذا موضوع نقاشنا . فلماذا تنتقلين من دور الدفاع إلى دور الهجوم ؟

هدى : ينبغى أن تضع فى اعتبارك أننى لا أضع نفسى فى قفص الاتهام حتى أتحول إلى الدفاع : قلت لكم منذ البداية إننى أرغب فى فرز الخيط الأبيض من الخيط الأسود .

محسن : تقرين إذن أنك أسأت إلى هذه المجموعة بالوقوف فى وجه عملها ؟

هدى : إذا كنت تعنى الوقوف فى وجه الانحراف فنعم .

أحمد : (باستهزاء) وكيف تقيسين هذا الانحراف ؟

هدى : بميزان الحركة .

أحمد : كيف ؟

هدى : أضع ما اتفقنا عليه منذ البداية فى كفة وما تفعلونه فى الكفة الأخرى وأقيس الانحراف بمقدار ما تميل الكفة الثانية عن الأولى .

أحمد : وإذا وضع ما تفعلينه أنت فى الكفة الأخرى فماذا سنرى ؟

هدى : لا شىء .

أحمد : لماذا ؟

هدى : لأن الكفتين لن تتحركا وسيظل التوازن قائماً بينهما .

أحمد : بالطبع . . كنا نتوقع أن تقولى مثل هذا الكلام . فأغلب المذنبين لا يعترفون بذنوبهم وحتى إذا اعترفوا «فإنهم يزيفون الأشياء وكأنهم كانوا مدفوعين إلى ما فعلوه دفعاً .

هدى : لا أظننى بحاجة إلى تكرار إننى لا أقبل لفظ مذنبة.

أحمد : وأنا لا أظن أننا اجتمعنا لتكريمك .

هدى : أنا معك ثمة أخطاء تحدث وأخطاء كبيرة جداً . وكان الأجدى أن تجتمعوا لتناقشوا أنفسكم لا لتتسلوا بتجريم الآخرين.

محسن : لنختصر هذا كله . . أيها الرفاق الحق بيّن والذنب بـيّن فما قولكم ؟

هدى : (بسخرية) فـأنتم الخصم والحكم إذن ؟ . . لن تكـون الخاتمة بأسوأ مما حدث ؟ لقد مللت هذه اللعبة وبإمكانكم أن تضعوا الحكم الذى تشاؤون فلم أعد أبالى حين تأتيك الطعنة من أخيك فإن الحزن سيقتلك قبل الطعنة .

محسن : (**معيداً السؤال**) **هه** ماقولكم ؟

قائد المجموعة (1): (**يقف**) بوصفى قائد المجموعة الأولى ووفقاً لما سمعته الآن وما وصلنى مسبقاً أطالب بوضع حد لمثل هذه التجاوزات حتى لا تتكرر (**يجلس**).

قائد المجموعة (2): (**يقف**) وأنا أعتقد أن مثل هذه الانحرافات ستؤثر فى عملنا إلى حد كبير وعليه لا بد من التعامل معها بقسوة (**يجلس**) .

قائد المجموعة (4): ما دامت اللائحة تضع عقوبة لمثل هذا السلوك فلا بد ـ والحال هكذا ـ من تطبيقها (**يجلس**) .

قائد المجموعة (7): ليس لى إلا أن أثنى على ما قاله الرفاق (**يجلس**).

هدى : (**مصفقة**) عظيم ، عظيم جداً (**ملتفتة نحو محسن**)وتقول إنك لم ترتب لشىء ؟؟

محسن : (**متجاهلاً ما قالته**) وأنت « أحمد » لم تقل برأيك ؟

أحمد : إذا كان الحق بين والذنب بين فماذا سيكون قولى ؟ الأشياء واضحة ولا يحتاج الفصل فيها إلى فتوى واجتهاد .

أسعد : (**يقف ويبدو عليه الضيق**) أرجوك يا محسن ـ إذا كان لوجودى احترام بينكم ـ أن تؤجل إصدار أى حكم بعض الوقت.

أحمد : ها أنت تنحاز لعواطفك مرة أخرى .

محسن : دعه يا أحمد **(ملتفتاً نحو أسعد)** ولكن لماذا تطلب ذلك ؟ ماذا سيفيد التأجيل ؟

أسعد : سيفيد كثيراً . سنكون بعد نقاش هادىء أكثر قدرة على التصرف .

أحمد : لا أظن أن أى منا يسيطر عليه الانفعال ؟

أسعد : بلى ، وأنت بالذات يا أحمد .

(يسود الصمت لحظات) .

محسن : لا بأس بما قلته يا أسعد .

أحمد : ولكن . .

محسن : **(مقاطعاً)** ، لن نخسر شيئاً أحمد .

(يتهامس أحمد وقائد المجموعة الأولى).

محسن : من هناك؟

قائد المجموعة (1): **(مشيراً إلى هدى)** كيف نضمن وجودها.

أسعد : بضمانتى أنا.

هدى : لا أحتاج إلى ضمان أحد . لو كنت أريد الهرب لفعلتها منذ البداية . **(تقف هدى، تلتفت إليهم)** إنها النهاية إذاً؟.

(يسود الصمت فيما تخرج هدى) .

المنظر الثانى

شقة هدى ـ صالة الاستقبال

المشهد الأول

هدى ـ خالد

(تدخل هدى ، لا تنتبه لوجود خالد جالساً على الكرسى ، تستند إلى الباب لثوان تبدو متعبة وحزينة)

هدى : (**تحدث نفسها**) ـ آه يا إلهى ، لماذا تبقين حتى الآن ؟

خالد : (**ينهض من مكانه**) وهل تتمنين الموت يا هدى ؟

هدى : (**بدهشة كبيرة**) من ؟

خالد : هل نسيتنى بهذه السرعة ؟

هدى : خالد ؟ غير معقول ؟ !

خالد : وما هو الغير معقول هذا ؟

هدى : أن تعود ، أنا لا أصدق .

خالد : فرحاً أم انزعاجاً !

هدى : لكأننى أرى وجهاً من تلك الوجوه الحبيبة القديمة التى افتقدتها .

خالد : وأنا أيضاً افتقدت ودك البالغ .

هدى : كيف أتيت إلى هنا ؟ ومتى ؟ هل انتظرت طويلاً ؟

خالد : جداً ، جداً لقد جئت أو بالأحرى خاطرت بالمجىء بنفسى لأراك .

دققت الباب أكثر من مرة فلم أتلق جواباً ولذا قفزت من نافذة المطبخ وجلست أنتظرك . .

هدى : هل تأخرت ؟

خالد : كلا ، لم أنتظر أكثر من نصف ساعة .

هدى : أنا آسفة لكنى لم أتوقع زيارتك .

خالد : كنت أريد أن أزورك منذ فترة لكنى كنت مشغولاً طوال الوقت .

هدى : آخر مرة رأيتك فيها يوم خروجك من « المقر » .

خالد : كنت غاضباً ولم أرد على تحيتك .

هدى : نعم ، وقد أحزننى ذلك .

خالد : إننى آسف . ولكنى متأكد من أنك قد عذرتنى عندما فهمت الموقف .

هدى : بل إن حزنى قد ازداد .

خالد : لماذا ؟

هدى : قد أخبرنى محسن عنك ما أحزننى؟

خالد : بالطبع وهل تتوقعين بعد خلافى معه أن يمدحنى .

هدى : لقد تحدث عن خلافك الشخصى معه ويرى أنك تنافسه لتنتزع لنفسك ما يريده هو .

خالد : كلا .

هدى : ويؤكد ذلك باستيلائك الأخير على أربع من مجموعاتنا الثمانية .

خالد : قد دفعنى إلى هذا التصرف .

هدى : ويذكر أيضاً أن تهديداتك له مستمرة .

خالد : لا أنكر ذلك ولو استطعت اليوم قبل الغد .

هدى : ولكن لماذا يا خالد لماذا ؟

خالد : أتريدننى أن أصمت وأنا أراه يعبث بأشيائنا التى بنيناها معاً .

هدى : ولكنك تمارس نفس اللعبة .

خالد : رد فعل على تصرفه . ولم يكن بإمكانى الوقوف ساكناً . أنت رأيتِ بنفسك عدم جدوى النقاش معه فلماذا أناقشه ؟

هدى : قد مللت كل شىء إننى متعبة .

خالد : (**بصوت هادىء**) هدى تعرفين مقدار احترامى لكِ . . وشد ما آلمنى ما سمعته عن مهزلة اليوم .

هدى : (**باستغراب**) كيف علمت ؟

خالد :لى طرقى ـ هذا الموقف ليس لك ، لكنهم لا يفهمون ثم « أسعد » كيف يوافق ؟

هدى : أسعد مسكين إنه أكثرنا تخبطاً وحيرة .

خالد : أتحاولين إيجاد مبرر له بعد كل هذا ؟

هدى : اللوم لا يقع عليه .

خالد : هذا صحيح ، وأنا أجيئك لأصحح خطأ الآخرين .

هدى : كيف ؟

خالد : أريدك أن تأتى معى .

هدى : إلى أين ؟

خالد : تنضمين إلينا إننى أحترمك وأحترم قدراتك وبيننا فيما سبق عمل كثير .

هدى : تعنى ضد محسن ومجموعته ؟ .

خالد : أنت واقعياً ضدهم ، هم يعاملونك على هذا الأساس .

هدى : لكننى ناقشتهم فقط .

خالد : أنت فى هذه لست هدى التى أعرفها ، أترين النقاش مفيداً؟

هدى : لم أعد أرى أى شىء مجدٍ .

خالد : قلت ذلك فى البداية لكننى لم أيأس وها أنت ترين النتيجة ، أربع مجموعات خلال مدة بسيطة جداً .

هدى : وفيما تختلف عن « محسن »هو هنا وأنت هناك ؟ ما الفرق ؟

خالد : لم أبدأ بالخطأ .

هدى : لعله إن لم يكن هو البادىء لكنت أنت .

خالد : أهو اتهام ؟

هدى : أنتما تلعبان لعبة خطرة ولن تكون النتيجة لصالح أى منكما .

خالد : ستكون النتيجة إلى جانبى وسيدعم موقفى وقوفك بجانبى .

هدى : أرأيت ؟ . . أنت تريد استخدامى كعامل مساعد .

خالد : للانتصار .

هدى : لطموحك الشخصى ؟

خالد : بل للحركة .

هدى : لم أعد أعرف من يعمل للحركة ومن يعمل ضدها ؟

خالد : يمكنك الحكم من خلال معرفتك بى .

هدى : وكنت أظن أننى أعرف « محسن » و « أحمد » و « أسعد » ثم اكتشفت أننى لا أعرف أحداً منهم .

خالد : قد كنا أصدقاء .

هدى : وأولئك كانوا زملائى أيضاً .

خالد : تنحازين إليهم رغم ما فعلوه بك ؟ .

هدى : لا أنحاز لأحد ، هم أيضاً أخطأوا والخطأ قاتل .

خالد : وماذا عنى أنا ؟

هدى : أنت تدمر من حيث تريد أن تصلح ، هذا إذا افترضنا حسن النية .

خالد : أيمكنك أن تشكى بى ؟

هدى : بت أشك حتى فى نفسى .

خالد : كنت أعتقد أنك ستأتين معى ؟ !

هدى : لماذا ؟ ألأننى واقعة تحت ضغط ظروف قاسية ؟

خالد : قد يكون ، ظننت أيضاً أن ارتباطنا القديم ومعرفتك العميقة بى ستؤثر عليكِ .

هدى : لقد تغيرت أشياء كثيرة ، أنت تغيرت ، محسن تغير ، أحمد تغير وأسعد كذلك .

خالد : لسنـا فى وضع حـرج ويمكننا بكثيـر من الجهـد تحقيق الانتصار .

هدى : وتسميه انتصاراً ؟ .

خالد : ألا تثقين بى ؟

هدى : وما دخل الثقة هنا ؟

خالد : إنها الأساس وبدونها لن أضمن ذهابك معى .

هدى : لن أذهب .

خالد : لا تثقين أليس كذلك ؟

هدى : أنا آسفة ، لكننى متعبة ، متعبة .

خالد : لن تأتى معى .

هدى : كلا ، فلا جدوى من ذلك .

خالد : وهل يفيد الحياد .

هدى : ومن قال إنى كذلك .

خالد : لست مع محسن ولا معى ؟ .

هدى : ومن قال إن أياً منكما على صواب ؟ من جهتى فإنى أعتقد النقيض ، فهل من الضرورى أن أنضم إلى أحدكما لأكون غير محايدة ، إننى أختار روح الحركة ولن أنحاز عنها إلا بموتى .

خالد : يا للخسارة .

هدى : لماذا تقول ذلك ؟

خالد : تردينني خائباً؟

هدى : لكنك تعرفنى جيداً فما كنت لتتعب نفسك .

خالد : حسبت أننى أساعدك .

هدى : على ماذا ؟ .

خالد : على الخروج معى من هذا المأزق .

هدى : أنا التى اخترت وسأتحمل التبعات .

خالد : ألن تفكرى ؟

هدى : لا أحتاج إلى دقيقة مراجعة .

خالد : إذاً إلى اللقاء .

(فترة صمت) .

هدى : ألن تبقى .

خالد : لقد جئتك أنت ، وها أنت تردينني فلماذا أبقى ؟

هدى : خالد ، لماذا تفعلون كل هذا ، ألا يمكنك التوقف ؟

خالد : سؤال متأخر ، متأخر جداً ، هدى لا مجال الآن للتراجع .

(هدى لا ترد يمد يده إليها فلا تمد يدها) .

خالد : إلى اللقاء هدى ، أتمنى أن أراك قريباً ، أبوابنا دائماً مفتوحة لك ، هذا رقم هاتف أحد أفرادنا . . إذا احتجت لشىء اتصلى به .

(يعطيها الورقة ، يربت على كتفها ثم يخرج) .

المشهد الثانى

فاطمة ـ سناء ـ هدى .

(تجلس هدى على الكرسى ، تدخل فاطمة وسناء ، هيئتهما غير منظمة) .

فاطمة : (بصوت أعلى من المعتاد)هل كنت تتوقعين ما حدث اليوم ؟

سناء : (منتبهة إلى وجود هدى) أهلاً هدى ، جئت اليوم مبكـرة ، غريبة ؟

هدى : أهلاً .

سناء : كان ينبغى أن تكونى هناك اليوم لا هنا ؟

هدى : أين ؟

سناء : فى الجامعة .

هدى : وماذا حدث فيها ؟

فاطمة : (بحماس)أشياء كثيرة ، تعلمين أننى حدثتك عن الإضراب الـذى قرره الـطلاب منذ الأسبـوع الماضى ، لقـد تفجر الموقف اليوم .

سناء : تـدخل البـوليس ، وبدأوا فى ضـرب الطلاب ورد عليهم الطلاب بعنف مماثل شىء لا يصدق كما نراه فى نشرات الإذاعة المرئية ، قنابـل ودخان وعصى واختلطت الأشيـاء ببعضها وضاعت كتبى .

فاطمة : لقد وجدت نفسى فى وسط هذا الجو المشحون ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أصرخ معهم ضد البوليس وضد الحكومة وقتها تذكـرت أبى وأمى ورغيف الخبز والفقـر وأخوتى ، جرفتنى الجموع الملتهبة ولم أدرِ أين تسير بى .

سناء : (تضحك)وأنا أيضاً وجدت الموقف يشدنى رغماً عنى ولم أستطع مقاومة الإغراء لكننى ارتكبت خطأً شنيعاً .

فاطمة : كيف ؟

سناء : التقطت عصا عن الأرض وعندما ألقيت قنبـلة دخان بالقرب من تجمعنـا ضربت بـالعصا رأس أول رأس صـادفته فى الزحام لكن عندما صرخ والتفت نحوى عـرفت فيه أحـد زملائى (**تضحك فاطمة وسناء فيما تبقى هدى صامتة**) .

سناء : هدى ما بك تقفين هكذا وتستمعين ببرود، كأن الكـلام لا يعنيك ؟؟ أأنت متعبة ؟

هدى : كلا ، كلا إننى أستمع .

سناء : ببرود ؟

فاطمة : ما بك هدى لست كعادتك ؟

سناء : إنها منذ فترة هكذا ، ساهمة ، شاردة ، حزينة ، لكن يبدو أن مؤشرها قد ارتفع اليوم عما سبق .

هدى : ليس هناك شىء أبداً .

فاطمة : لا بد أن هناك شيئاً ، وإلا لما تغيبت فى يوم كهذا عن الجامعة .

هدى : لم أكن أعلم .

فاطمة : لكننى أخبرتك بأمر الإضراب.

هدى : لم أركز تماماً عندما أخبرتنى (**تصمت لحظة**) أخبرانى كيف استطعتما الخروج والعودة إلى هنا ؟

سناء : لقد قفزت من أحد الأسوار الجانبية والتقيت بفاطمة بالقرب من هنا .

فاطمة : وأنا كذلك قفزت من السور الخلفى .

هدى : ألم تكن الجامعة محاصرة ؟

سناء : هناك بعض الثغرات ثم إن كل شىء قد انفجر فجأة .

فاطمة : لكن ما حدث كان متوقعاً .

سناء : أنا أيضاً كنت أتوقعه ولكن ليس بهذه الصورة .

فاطمة : أتصدقينى يا هدى ؟ أحس بتجددٍ غير عادى كمن فقد حيويته ثم استعادها !!

هدى : بماذا كنتم تهتفون ؟

سناء : بكل ما يخطر لكِ على بال ، عنى أنا فقد شتمت كل شىء بداية من الحكومة ونهاية بأستاذ المنهج .

فاطمة : طبعاً فرصة لن تعوض لشتمهم جميعاً .

سناء : (تتنهد بقوة) كم هو مريح الصراخ والهتاف أحس إننى ألقى عبئاً عن كتفى .

فاطمة : هل رأيت فؤاد ؟

سناء : كلا .

فاطمة : ولا أمجد ؟

سناء : ولا أمجد أيضاً ، فى الحقيقة أنا لم أكن منتبهة لأحد لقد كنت أريد أن أصرخ بكل ما عندى وكنت فى نفس الوقت خائفة من البوليس .

فاطمة : أنت تخافين ؟ أنت تخيفين . . لقد كنت كالمتوحشة .

سناء : هل رأيتنى ؟

فاطمة : قبل أن تبدأ سيارة المطافىء فى رش الماء .

سناء : حمام مجانى !

هدى : ستتوقف الدراسة بالتأكيد ؟

فاطمة : طبعاً لن يسمحوا لنا بالدخول .

هدى : هل قبضوا على أحد ؟

سناء : **(بحركة مصاحبة من يدها)** كثيرين كثيرين جداً **(تصمت لحظة)** فاطمة هل رأيت سيارة البوليس البيضاء الواقفة قلب مدخل كليتنا؟

فاطمة : نعم ، رأيتها ما بها ؟

سناء : أتتوقعين من كان فيها ؟

فاطمة : لا ، لا أعرف ، من ؟

سناء : الفأر ابن عمتى .

فاطمة : ماذا ، غير معقولْ ؟

سناء : نعم ، ألم أخبرك من قبل أنه ضابط فى البوليس » ؟

فاطمة : وهل كنت تنوين الزواج من أبناء الحكومة ؟ يا للهول . . !!

سناء : أنت لم تعرفى ما فعلته به ؟

فاطمة : كلا ، ماذا فعلت ؟

سناء : ضربت السيارة بحجر كبير هشم زجاجها الأمامى دون أن يرانى وبرز وجهه وهو يسب ويلعن .

فاطمة : لو أنه رآكِ .

سناء : وماذا سيفعل ؟ لو كان ذا فائدة ما دخل «البوليس».

فاطمة : أتهزئين بابن الحكومة ؟ لو سمعك تقولين عنه ذلك لانتحر من الدور الثالث عشر .

سناء : إنه أجبن من أن يفعل ولذلك فهو يغطى عجزه بمسدسه .

فاطمة : ولكنك ستتزوجينه ؟

سناء :(**باستهزاء**)أنا ؟

فاطمة :لا أنا !!

سناء : لن أفعل . . إننى أحتقره من قبل وازددت اليوم كرهاً له عندما رأيته يفر ويطير سلاحه من يده حين انهال عليه أحد الطلاب ضرباً .

فاطمة : يا للمسكين ، من سوء حظه لم يخطب سواك .

سناء : سوء حظى أنا وليس هو .

فاطمة : هدى ، أنت لست معنا نهائياً :

هدى : أسمع ما تقولانه .

سناء : ولا تتكلمين ؟

هدى : ماذا أقول ؟

سناء : أى شىء.

هدى : عندما أشعر بحاجتى للكلام سوف أتكلم .

سناء : (**ناظرة إلى فاطمة**) عزيزتى يبدو أن الحالة خطيرة .

هدى : أتسخرين سناء ؟ هذا ليس وقت إلقاء النكت .

سناء : معاذ الله كنت أقوم بالتشخيص فقط وأقترح عليك العودة إلى حالة الصمت فهى على ما يبدو أفضل .

هدى : ماذا تقصدين ؟

سناء : أقصد أنك متوترة والهدوء سيريحك .

هدى : أنا آسفة .

فاطمة : سناء . هل تعتقدين أن الأحداث ستقف عند هذا الحد ؟

سناء : أترين أنها ستستمر ؟

فاطمة : لا أظن . فالبوليس وباقى أجهزتهم متشددة جداً ومتأهبة هل رأيت كيف كشروا عن أنيابهم اليوم كحيوان شرس متعطش لدم الضحية ؟

سناء : وأنا أسأل نفسي دائماً لماذا لم تتحرر « فلسطين » حتى الآن ؟ هكذا إذاً ؟

فاطمة : وما دخل « فلسطين » ؟

سناء : كيف لا ؟ إذا كانوا جميعاً متأهبين لخوض المعارك الحاسمة فى الداخل فمن أين سيأتون بالقوة للحرب فى الخارج ؟ إنهم يستنفذون كل ما لديهم هنا !!

فاطمة : يا إلهى . . أحس أننى أكاد أسقط تعباً .

سناء : وأنا أيضاً سندخل على الأقل لتغيير هذه الملابس . . بالمناسبة لا تنسى أن تحتفظى بها ذكرى للمعركة .

فاطمة : يا لها من معركة (**ملتفتة نحو هدى**) وأنت يا هدى ألا تدخلين معنا ؟

هدى : كلا ، دعونى هنا أريد أن أفكر .

سناء : (بمرح) خذى حذرك هدى لئلا تعثرين بحجر أثناء تفكيرك .

فاطمة : سناء كفى عن هذا .

هدى : دعيها ، دعيها .

المشهد الثالث

فؤاد ـ فاطمة ـ سناء ـ هدى .

(تُسمع صوت دقات على الباب قبل أن تغادر فاطمة وسناء الغرفة. تفتح سناء الباب يدخل فؤاد وهو يلهث).

سناء : فؤاد ؟

فؤاد : اغلقى الباب بسرعة .

سناء : لماذا ؟ ماذا حدث ؟

فؤاد : لقد كانوا يطاردوننا .

فاطمة : يطاردونك ، أنت ؟

فؤاد : نعم .

فاطمة : وحدك ؟

فؤاد : دعينى ألتقط أنفاسى قليلاً **(يرتمى على مقعد بجوار هدى)** .

فؤاد : هدى !! أهلاً بالزعيمة أين كنتِ اليوم ؟

هدى : أهلاً فؤاد ، لم أذهب إلى الجامعة .

فؤاد : كيف تفوتك مثل هذه المعركة ؟

هدى : أكانت معركة حقاً ؟

فؤاد : بل أكثر . . الرصاص يتطاير فوق الرؤوس والدخان والمياه وألواح الخشب والكراسى والحجارة ، كل شىء .

هدى : لكنها دائماً تُحسم فى غير صالحكم .

فاطمة : طرفان غير متكافئان . . عندما تتقابل العصا والرصاص فإن العصا قد تكون قادرة على المقاومة لفترة لكن النصر فى النهاية ليس لها .

هدى : هى المرة الأولى لك يا فؤاد ؟

فؤاد : نعم ، تعرفين أن مثل هذه الأشياء لم تكن تتوافق مع طبيعتى ، أنا بطبعى أميل إلى بقاء الأشياء على ما هى عليه دون تغيير . . فى البداية رغبت فى البقاء كمتفرج غير أننى عندما رأيت اعتداءهم على الطلاب اندفعت نحوهم ثم إننى فقدت أعصابى عندما رأيت مجموعة منهم تحاصر « أمجد » .

سناء : (**بقوة**) أمجد ؟

فاطمة : هل أمسكوا به ؟

فؤاد : نعم ، (**يصمت لحظة**) إنهم يتحدثون عنه اليوم كأحد الأطراف الأساسية المحركة للشغب .

سناء : ماذا ؟ أمجد ؟

فؤاد : يبدو لى أن ما سمعته صحيح ، فأمجد كان يختفى كثيراً فى الأيام الأخيرة ولم أعد أراه إلا لماماً .

فاطمة : أكان يخفى خلف مظهره الهادىء روحاً متمردة ؟ غريبة ؟ !

فؤاد : وأين الغرابة ؟ إنه يكره وضعه الاجتماعى بطريقة غير عادية ، وعدة مرات اختلفنا حول ذلك لكنه كان يعود

ليقول : إن ذلك يخدمنى ، ولم أكن أعرف ماذا يعنى بهذه العبارة .

فاطمة : تعنى أنه كان يعمل متستراً خلف وضعه الاجتماعى ؟

فؤاد : ما كان بإمكان أحد أن يشك ، لا تنسى أن أسرته معروفة جداً .

سناء : وأنت ، ماذا فعلت ؟

فؤاد : ظللت أضرب معهم حتى تمكنت مع مجموعة صغيرة من الهرب .

سناء : اتبعكم أحد ؟

فؤاد : لفترة غير أننا حين دخلنا فى زحام الشوارع الجانبية افترقنا ففقدوا أثرنا **(يصمت لحظة)** إننى خائف على «أمجد» سيعاملونه بقسوة.

سناء : لا تخف عليه ، إنه رجل .

فاطمة : فى سجونهم يفقد أشجع الأبطال شجاعته .

فؤاد : لا تقولى ذلك .

فاطمة : لا تكن رقيقاً هكذا .

فؤاد : لكنه صديقى بل الأقرب إلىّ .

فاطمة : أظن أن أسرته ستتدخل وسيسوى الأمر بهدوء .

فؤاد : وإذا لم يوافقوا ؟

فاطمة : وما الداعى لوجودك أنت حراً ؟

فؤاد : ماذا تعنين ؟

فاطمة : أن تفعل أنت شيئاً .

فؤاد : أنا ؟ كيف ؟

فاطمة : لست أدرى كيف ؟ لكن لا أعتقد أنك ستقف صامتاً ؟

فؤاد : أقف صامتاً ؟ كلا ، كلا ولكن ماذا أفعل ؟ **(يصمت برهة)** هدى ما رأيك ؟

هدى :(تصمت فترة) أنا لا أرىَ جدوى لأى شىء فعلتموه وقد تفعلونه .

سناء : ماذا ؟ بعد هذا كله ؟

هدى : وما النتيجة ؟

سناء : ليس المهم كسب الجولة الأولى .

هدى : أتعتقدين الصراخ مجدٍ ؟

سناء : لكنها كانت مواجهة ساخنة .

هدى : قُمعت بأسرع مما كنتم تتصورون .

فاطمة : إنها المرة الأولى فى جامعتنا ولن تكون الأخيرة حتماً .

هدى : ثم ؟

فاطمة : ثم ماذا ؟

هدى : أقصد ما الهدف ؟

فاطمة : تحقيق ما نريده .

هدى : فى الجامعة ؟

فاطمة : نعم .

هدى : وخارجها ؟

فاطمة : ماذا تعنين ؟

هدى : أعنى أن تفكيركم محدود بحدود الجامعة .

فاطمة : أيمكننا فعل ما هو أكثر ؟

(هدى لا تجيب) .

فؤاد : أترين طريقة أخرى هدى ؟

هدى : لا أرى شيئاً .

سناء : لكأنكِ تعانين من حالة يأس مدمرة ؟

هدى : لا فائدة من أى شىء يعمل . كل الطرق تُسد .

فاطمة : لو كنت معنا اليوم لما قلت ذلك .

هدى : وما الفائدة ،إضراب تحول إلى صدام بين قوتين غير متعادلتين والنتيجة معروفة .

فاطمة : لكن الأمر قد لن يكون كذلك فى المستقبل .

هدى : وقد يكون .

سناء : أنا لا أصدق حالة الإحباط التى تعانين منها ، كأنك هُزمت فى معركة ضخمة .

هدى : **(تصمت لحظة)** نعم .

سناء : لماذا يا هدى ؟

هدى : لأننا اخترنا طريقاً أصعب من طريقكم ومع ذلك فشلنا .

(تبدو عليهم جميعاً الدهشة)

(تدور هدى بينهم وتخاطبهم جميعاً) .

هدى : كنت أكثر منكم حماساً ، تدفعنى كل الظروف المحيطة بى للتمرد والتطرف ، لم أكن وحدى التقينا على الغاية ورسمنا معاً الوسائل ، رغم التعب اليومى المتواصل كنا نشعر بالسعادة لأننا معاً ، ولأننا نعد لما هو أفيد من الصراخ الأجوف ولكن . . (**بحركة يائسة من يدها**) ها هى كل الأشياء تنهار .

فاطمة : (**بانبهار**) أتعدون لشىء كبير ؟

هدى : كنا . .

فاطمة : والآن ؟

هدى : (**تخاطب نفسها**) يخيل لى إن ما كان يقوله « أسعد » صحيح ! هذه دائرة مغلقة ما من بداية لها ولا نهاية تماماً كالدوامة تدور وتدور تدفعك من نقطة الصفر إلى نقطة الصفر ، لا تتوقف إلا بسحق من فيها » .

سناء : من أسعد هذا ؟

هدى : (**منتبهة**)هه ـ أسعد ؟ إنه أحد رفاقى .

فؤاد : هل توقفتم .

هدى : تقريباً .

فؤاد : تقريباً ! كيف ؟

هدى : على الأقل أنا وآخرين .

فاطمة : أنتِ ؟ لماذا ؟

هدى : كيف يمكننى أن أختصر لكِ يا عزيزتى ، جهد وتعب سنين فى لحظات . . تلك أشياء لا تختزل .

فاطمة : أتبقين هكذا ؟

هدى : (تصمت قليلاً)لست أدرى .

سناء : هدى لا تدرى ؟ . . من يدرى إذاً ؟

هدى : ألم يحدث أن شغلكِ موضوع ما إلى الدرجة التى لا تفكرين معها بشىء آخر ثم عندما تبحثين عن ثمرة لهذا التفكير فلا تجدين شيئاً .

سناء : أتشعرين بالعجز ؟ لا أصدق !

هدى : لِمَ لا ؟ كلنا معرضون للانهيار .

سناء : ليس بهذه السهولة وأنت بالذات ؟ تتخلين عن كل شىء ؟

هدى : بل هى التى تتخلى عنى .

سناء : ألست أنت من تقول إن الشىء الوحيد الذى لا يهزم هو إنسان قرر عدم السقوط .

هدى : كنت أقول .

سناء : لم يتغير شىء .

هدى : بل تغيرت أشياء كثيرة ، هم لم يعودوا كما أعرفهم . . وحتى أنا لم أعد أنا .

فؤاد : لا تكثروا عليها ربما كان الهدوء والراحة يساعدانك هدى .

هدى : لا أظن . . ليس هناك فائدة .

المشهد الرابع

نفس الأشخاص ـ أسعد .

(تسمع صوت دقات سريعة على الباب ، تفتح « فاطمة » يدخل « أسعد » مسرعاً)

أسعد : هدى أووف ، أحمد الله إننى وجدتكِ ؟

هدى : (تنظر إليه بهدوء)ماذا تريد ؟

أسعد : هدى هذا ليس وقت الغضب .

هدى : ومن قال إننى غاضبة ؟ بل هل يحق لى بعد ؟

أسعد : اسمعى أريد أن أحادثكِ على انفراد .

هدى : قل ما عندك ولا تخشَ شيئاً هؤلاء أصدقائى سناء ، فاطمة ، فؤاد .

أسعد : ولكن . .

هدى : قلت لا تخشَ شيئاً .

أسعد : إننا فى خطر وينبغى أن نغادر هذا المكان فوراً .

هدى : (بدهشة)لماذا ؟ ما الذى حدث ؟

أسعد : ما كنا نخشاه !

هدى : خالد ؟؟

أسعد : بل البوليس .

هدى : لا .

أسعد : بل هى الحقيقة .

هدى : كيف حدث ذلك ؟

أسعد : كنت خارج « المكان » وما كدت أقترب منه أثناء عودتى حتى رأيته محاصراً .

هدى : أهم بداخله ؟

أسعد : بالطبع ، كان لديهم اجتماع « محسن » و « أحمد » والأربعة الآخرون .

هدى : رغم أنكم كنتم تعرفون أن المكان قد صار خطراً عليكم .

أسعد : أووف، هدى، لا وقت للنصائح الآن، إذا فتشوا المكان ولا بد أنهم فاعلون فحتماً سيأتون إلى هنا بعد قليل.

هدى : حسناً ، وماذا تريدنى أن أفعل ؟

أسعد : نغادر فوراً .

هدى : إلى أين .

أسعد : إلى أى مكان آمن .

هدى : ما من مكان آمن !!

أسعد : على الأقل لنختفى فترة ، ثم بعد ذلك نتدبر أمرنا .

هدى : وباقى المجموعات ؟

أسعد : أنت تكثرين من الأسئلة التى لا إجابة لها عندى كيف يمكننى أن أعرف الآن ؟

هدى : (**بحزن**) إذاً انتهى كل شىء .

أسعد : . . . . . .

هدى : (**ملتفتة نحو أسعد**) لن أغادر .

أسعد : ماذا ؟ لن أتركك لهم أبداً .

هدى : لن أغادر .

أسعد : مجنونة .

هدى : ليكن لم يعد لدى ما أخسره .

أسعد : لكنهم سيكسبون إذا أمسكوا بنا وأنا لن أمنحهم لذة الشعور بالانتصار الكامل أبداً .

هدى : لقد انتصروا منذ زمن ، منذ رحيل « عمار » .

أسعد : ذهنى لا يستوعب هذا النقاش .

هدى : لو رغبت فى الاستيعاب منذ البداية لما وجدت نفسك فى مثل هذا الموقف.

أسعد : اسمعى ، ستذهبين معى إن لم يكن بإرادتك فبالقوة.

هدى : وما الجدوى من ذلك ؟ عندما كان بإمكاننا فعل شىء لم نفعل ، إنك تأتى بعد فوات الأوان .

فاطمة : (متدخلة) كلا ، « هدى » لم يفت الأوان بعد .

(ينظران إليها هدى وأسعد بدهشة) .

هدى : ماذا تقصدين؟

فاطمة : آن لى أن أتخذ موقفاً، ظللت طوال حياتى أجر من يدى كطفلة غبية وأنفث حزنى مع دخان لفافات تافهة وأفكر بتغيير العالم دون أن أخطو خارج هذا المكان خطوة واحدة لكن هذا لن يستمر سأذهب معكم .

سناء : وأنا أيضاً . . أبيع حياتى مقابل ساعة واحدة لا أحس فيها بالمجانية واللاجدوى . . عشت حياتى طولاً وعرضاً وفى كل مرة أحس بأغلال العبث تقيدنى وتجرنى خلفها . . لأول مرة سأنفضها وأخلص نفسى منها علنى أشعر بالحرية .

فؤاد : لن أكون أقل منكما . . سأذهب معكم أنا أيضاً يا هدى .

هدى : (بقوة)كلا لن تذهبوا .

أسعد : بل سيذهبون، سنذهب جميعاً «إذا انفجرت الحرية فى نفس إنسان فلن يكون لأحد سيطرة عليه » أنتِ لا يمكنكِ منعهم ولا حتى منع نفسك وسنمضى .

فاطمة : أترين هدى إن من يرى الشمس يعود للظلام ؟

هدى : الشمس ملتهبة وقد تحرقكم .

فاطمة : لنتطهر جميعاً من الدنس العالق بنا .

سناء : سنمـضى كلنا هدى وستكونين معنا .

هدى : (للجميع) أتريدون ذلك حقاً ؟؟

انتـهـت

فهرس

استهلال : ـ

أولاً : الشعر

من يطفىء الحزن

ثانياً : القصة
رحيل نحو الخلاص

ثالثاً : المقالة الصحفية

رابعاً : المسرحية

زاهية محمد على

1 ـ ولـدت بمـدينـة المـرج بتـاريـخ 1964/3/2 م.

2 ـ حصلت على الثانوية العامة سنة 1981 .

3 ـ دخلت الجامعة بتاريخ 81/10/1 (جامعة قاريونس).

4 ـ تخرجت من الجامعة فى شهر مايو 1985 .

5 ـ كلفت بالعمل بوكالة الانباء بتاريخ 1985/6/1 م.

6 ـ عينت معيدة بجامعة قاريونس بتاريخ 86/1/10 .

7 ـ انتقلت إلى جوار ربها إثر حادث بمدينة سرت بتاريخ 86/12/13 .

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الثمن

2500 درهم